الى عمادة شؤون المكتبات بمكة المكرمة ومكتبتها المركزية / اهدى باكورة انتاجى العلمى
عبد الفتاح مقلد

جامعة القاهرة
معهد البحوث والدراسات الافريقية

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠١٢٨

# سلطنة البرنو الاسلامية حتى ظهور محمد الامين الكانمى

( رسالة ماجستير )
فى
التاريخ الاسلامى

مقدمة من الطالب
عبد الفتاح حسنين مقلد بكر

جامعة أم القرى / مكة المكرمة
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH
عمادة شؤون المكتبات
قسم المخطوطات

أشراف
الاستاذ الدكتور/ حسن أحمد محمود

١٩٧٥م/ ١٣٩٥هـ

| | | |
|---|---|---|
| العلاقات السياسية مع السودان | ١٢٦ | ١٣٤ |
| ثانيا : العلاقات الثقافيـــة : | ١٣٥ | ١٦٠ |
| العلاقات الثقافية مع مصـــر | ١٣٥ | ١٤٢ |
| العلاقات الثقافية مع دول الشمال الافريقى | ١٤٣ | ١٤٨ |
| العلاقات الثقافية مع غرب افريقيـــا | ١٤٩ | ١٥٤ |
| العلاقات الثقافيـــة مع الســـودا ن | ١٥٥ | ١٦٠ |
| ثالثا : العلاقات الاقتصـــادية : | ١٦١ | ١٨٠ |
| العلاقات الاقتصادية مع مصـــر | ١٦١ | ١٦٧ |
| العلاقات الاقتصادية مع دول الشمال الافريقى | ١٦٨ | ١٧٢ |
| العلاقات الاقتصادية مع غرب افريقيـــا | ١٧٣ | ١٧٦ |
| العلاقات الاقتصادية مع الســـودا ن | ١٧٧ | ١٨٠ |


الفصـل الرابع :


| | | |
|---|---|---|
| الاســـلام والثقافة العربيـــة | ١٨١ | ٢٤٣ |
| انتشار الاســـلام وأثـــره | ١٨١ | ١٨٤ |
| الاسلام فى برنو بعد رحيل الاسرة الحاكمة اليها | ١٨٥ | ١٩٣ |
| اللغة العربية وأثرها فى حركة التعريب فى البلاد | ١٩٤ | ٢٠٦ |
| اثر المعاهد العلمية والمساجد فى الحياة الثقافيه فى برنـــو ................ | ٢٠٧ | ٢١٨ |
| دور المساجد فى الحياة الثقافيـــة | ٢١٩ | ٢٢٤ |
| الحج وأثره فى نشر الثقافه العربيـــة | ٢٢٥ | ٢٣١ |
| الطرق الصوفيه وأثرها فى الحياة الثقافيـــة | ٢٣٢ | ٢٣٧ |
| الطريقة القا دريـــة | ٢٣٨ | ٢٤٠ |
| الطريقه التيجانيـــة | ٢٤١ | ٢٤٢ |
| الطريقـــة المهديـــة | ٢٤٣ | ٢٤٤ |

( ٣ )


الخاتمـــــــة ٢٤٩ ــ

الملاحـــــــق

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمـــــــة

يستمد هذا الموضوع الذى أتناوله بالدراسة أهميته فى عدة اعتبارات سياسيـة وتاريخيه وحضاريه . وذلك أن سلطنة برنو . التى قامت فى السودان الاوسط . كـان لها دور هام فى نشر الاسلام فى تلك المنطقة . فقد كانت برنو . دارا تشبعـت بروح الاسلام وطبعت بحضارته وتقاربت مع ثقافته العربية . وذلك لانها تربت فى حجـر سلطنة كانم . السلطنه القديمة والام التى دخلها الاسلام فى القرن الحادى عشـر الميلادى .

وكان لموقعها الجغرافى سببا فى جعلها حلقة اتصال بين البلاد العربيـــة الاسلاميه وبين الزنوج الافريقيين سكان الغابات الاستوائيه . فقد أعطاها هذا الموقـع الجغرافى ميزه فهى تقع فى منطقة السفانا التى تحف بها الصحراء الكبرى فى الشمـال والغابات الاستوائيه من الجنوب . فقد كانت تخترق الصحراء الكبرى . طرق صحراويـه ربطت السلطنه ببلاد الشمال الافريقى المطلة على البحر المتوسط . وهى بلاد ذات حضاره اسلاميه عريقة كذلك تقربها من منطقة الغابات الاستوائيه . ساعدها على أن تقوم بدورها فى نشر الاسلام بين سكان هذه الغابات . ومن هنا كان سلطنه برنـــو استطاعت أن تتبوأ مكانة سياسية بين شعوب السودان . حتى أستحقت أن تكون استاذه الحضارة فى ذلك الجزء من القارة الافريقيـــه .

فاذا نظرنا الى الاعتبار السياسى . نجد تلك الصلات الوطيده التى ربطـت سلطنة برنو بمصر . وبلاد الشمال الافريقى . وغرب افريقيا والسودان . وما كان يسود هذه العلاقات من روح طيبه ووئام وأحيانا فترات من الفتور والقطيعــة .

أما الاعتبار التاريخى فيتأتى من طبيعة الفترة التى أتناولها بالدراسة . تلـك التى تبوأت فيها شعوب المنطقة مكانة سامية سواء فى الحيز السياسى والاقتصادى والحضارى

بوجه عام وكان الباعث لهذه النهضة ارتباطها بمصر وهى فى أزهى عصورها وفـــى الفترة التى تقلدت فيها مصر قيادة العالم الاسلامى وزعامته .

أما الاعتبار الحضارى فهو ذلك التيار الحاضرى الاسلامى العربـــى الذى زحف على برنو من مصر وبلاد الشمال الافريقى ، وطبع البلاد بالطابـــع الاسلامى ، وذلك من اثر ، أنتقال العلماء المسلمين اليها وأستقرارهم بهـــا فترة من الزمن ، وأثر قوافل الحجاج التى كانت تذهب كل عام الى الاراضـــى المقدســـة فى الحجاز ، وأنتقال الكتب الدينية وخاصة التى تعالج المذهـــب المالكى المذهب المنتشر فى البلاد من بغداد ومصر والحجاز والشمـــال الافريقى الى هذه الديار .

وقد اعتمدت فى هذه الدراسة على بعض المصادر العربية ، والمراجع العربية والاجنبية والتى بالاعتماد عليها استطعت أن أقدم هذا العمل العلمى المتواضـــع .

وكانت المصادر العربية الاتية خير عون لى فى دراستى :

١ـ القلقشـــندى : صبح الاعشى فى صناعة الانشا ، حوى هذا الكتاب نماذج للمكاتبات التى كان يرسلها سلاطين مصر ، السلاطين برنـــو والتى كانت يحتفظ بها ديوان الانشاء المصرى ، وكذلك أورد نص رسالة من سلطا سلطان برنو الى السلطان المملوكى بالقاهرة ، السلطان الظاهر برقوق

وقد القت هذه الرسالة الضوء على نوع العلاقة التى كانت بين مصر وتلـــك البلاد وكيف كانت قوافل الحجاج تأتى كل عام وتمر بمصر فى طريقهـــا الى الحجاز ، وأن الرسالة المذكورة حملها ابن عم السلطان وهو فى طريقه

الى الحجــــاز ، وأنه حمل البرد عليها وهو فى طريقه عودته الى بلاده .

٢ـ المقريزى : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، وفيه يلقى الضوء على الـــدور الذى لعبه التجار الكارميه والذين هم من كانم ـ برنو ـ فى اقتصاد مصــره وكيف ساعــدوا سلاطين مصر بالاموال فى اعداد الحملات العسكريه ، وكيــف آمن لهم السلاطين طريق القوافل .

٣ـ ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الامصار : يبين لنا المؤلف ، كيف قـــام أهل برنو ببناء مدرسة ابن رشيق بالقاهرة وذلك لكى يتلقى طلاب البرنـــو بهذه المدرسة العلوم الاسلامية والتفقه فى المذهب المالكى . وأيضا كيــف قام السلطان العادل أخو صلاح الدين الايوبى ببناء فندق الكارم للتجـــار الكارميه على شاطىء النيل فى بولاق وذلك لكى يستقر التجار بالقاهرة .

٤ـ محمد بيلــو : انفاق الميسور بذكر بلاد التكرور : وفيه يلقى الضوء على أحـــوال بلاد برنو الاسلامية وحالة المسلمين بها . ويعطى وصفا لبلادهم وعاداتهـــم ولكن صاحب الكتاب كان متأثرا بالصراع الدائر بين أهل برنو والفلاتة . ومـــن هنا فان المؤلف تجنى على أهل برنو بوصفهم بالكفر .

٥ـ ابن بطوطــة : تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار : يشــــرح لنا كيف كانت القوافل تصل الى برنو باعداد كبيرة وكيف كان يحمل اليها النحاس من تكادا وعن سلطانها المسلم الذى لم يكن يكلم الناس الا من وراء حجـــاب ولا يظهر للشعب الا أيام العيدين . ويحدثنا عن التجارة والعبيد الـــتى كانت تصل من برنو الى بلاد الشمال الافريقى .

٦- ابن خلدون ترك كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر : يحدثنا عن أهل برنو ومن سلطانهم والعلاقات التي كانت تربط سلاطين كانم وبرنو بالسلاطين الحفصيين سلاطين تونس والهدايا المتبادلة بينهم ، ومدى حرص سلاطين برنو على توثيق علاقاتهم بسلاطين تونس .

٧- السلاوي : الاستقصاء في اخبار المغرب الاقصى ، وهو يشابه القلقشندي في الاحتفاظ بالرسائل المتبادلة بين سلاطين المغرب الاقصى وسلاطين برنو ويعطي مثالا على ذلك ، الرسالة المتبادلة بين السلطان المنصور بالله العباسي سلطان المغرب والسلطان ادريس العرب سلطان برنو ، وهذه الوثيقة تبين لنا مدى عمق العلاقات بين سلاطين برنو وسلاطين المغرب الاقصى .

وغير هذه المصادر المذكورة كثيرا من المصادر والمراجع العربية والاجنبية اعتمدت عليها في اعداد هذه الرسالة ، وأن كان من المراجع الاجنبية :

بالمرغي كتابيه

1. The Bornu shara and sudan.
2. Sudanese memains

والذي قدم كثيرا من المعلومات عن سلاطين البلاد وتواريخ حكمهم وحروبهم مع اعداء برنو وكراماتهم التي كانوا ينشرونها على الشعب ، وجاءت بهما معلومات طيبة ، قيمة .

وأيضا بارت :

Travels in North and central Africa.

وكان بارت قد قام برحلة الى برنو وشاهد فيها مالم يشاهده احد من الرحالة والعلماء والاجانب واستطاع الحصول على عدد من المخطوطات من تاريخ برنو ، ومن هنا فان كتابه حوى كثيرا من المعلومات القيمة وقد اعتمدت عليه كثيرا في هذه الرسالة .

وجاء بعد بالمر ، بارث ، أورفوى فى كتابيه

Histieve du l'empire du Bornu, Histiove des populations du centeal.

وأن كانا أورفوى قد اعتمد فى كتابيه على بارث وبالمر الى أنه قدم معلومات طيبة وقيمة عن برنو وشعبها وتاريخها .

ولكن كانّ للمصادر العربية الاصيلة الدور الرئيسى فى الالمام بجوانب الموضوع ، اذ كانت هى العمود الفقرى للرسالة ، ولقد تبين لى أن الكتاب والمؤرخين العرب كانوا اسبق من الكتاب الاوربيين فى اكتشاف هذه الاجزاء من القارة الافريقية وفى ارتيادها والكتابة عنها ، وأن الكتابات الغربية أعتمدت على هذه المصادر فى الحديث عن برنو وغيرها من بلاد السودان الاوسط والغربى ، وحتى الكتب الاجنبية التى تيسرت فى الكتابة عن برنو ، أعتمدت مؤلفوها على مخطوطات عثروا عليها فى برنو اثناء رحلاتهم اليها أو العمل بها بعد وقوعها تحت الاحتلال البريطانى .

الا أننى اقول هنا أن كل هذه المراجع لم تحاول أن تلقى ضوء كافيا على نظام الحكم فى السلطنة ، ولا عن احوال الشعب وظروف معيشته ولا عن الاحوال الاجتماعية والاقتصادية والتنظيمية ، ومن هنا فقد جاء الفصل الثانى من الرسالة ولم يستوفى حقه من حيث العمق وغزارة المادة .

وقد قسمت هذه الدراسة الى أربعة فصول ، تناولتها كما يلى :

الفصل الاول : ظهور السلطنه الى حيز الوجود الافريقى ، وما هى العوامل التى ساعدت على ظهورها ، وكيف مارست دورها بعد ذلك فى القارة الافريقية وما هى المراحل السياسية التى مرت بها ، ومراحل قوتها وضعفها ، والسلاطين الذين مارسوا دورا بارزا فى تاريخها وساعدوا على تقدمها وعظمتها وتفوقها فى القارة ، وكيف أنتهت الاسرة السيفية على يد محمد الكانمى .

وتناولت في الفصل الثاني — نظام الحكم وبينت ما هي الاسس التي كان يقوم عليها الحكم في تلك الديار ، وكيف كان السلطان والذي لقب بالماي على قمة الجهاز الحاكم في البلاد ، بمعاونة مجلس استشاري مكون من أثنى عشر شخصا يختارون من بين افراد الاسرة الحاكمة وقادة الجيش وطبقة القوم ، وما هو دور المرأة في البلاط السلطاني ، وبينت أيضا النظام الاداري الذي كانت تسير عليه البلاد ، والنظام الحربي ، والجيش ودوره في توسيع رقعة البلاد وفي صد غزوات الاعداء .

وأنتقلت بعد ذلك الى الفصل الثالث وهو علاقات برنو الخارجية بالدول — الاسلامية المجاورة ، وقسم هذا الفصل الى ثلاث أقسام ، علاقات سياسية ، وعلاقات أقتصادية ، وعلاقات ثقافية ، وكان تقسيم هذا الفصل على أساس العلاقات السياسية مع مصر وبلاد المغرب العربي ، وغرب أفريقيا والسودان ، وسرت على هذا التقسيم في العلاقات الاقتصادية والثقافية ، وأوضحت الدور الذي أدته تلك العلاقات لبرنو وكيف كانت الصلات والروابط بينها وبين تلك البلاد ، وكيف ساعدت هذه العلاقات برنو على التقدم والرقي .

وجاء بعد ذلك الفصل الرابع والاخير في الرسالة وهو الاسلام والثقافة العربية ، وبينت في هذا الفصل كيف دخل الاسلام تلك الديار وما هو مدى انتشاره وأثره في شعب برنو وفي صبغ حضارة البلاد بالصبغة الاسلامية العربية وكيف أثرت اللغة العربية في البلاد وحركة التعريب في دواوين الدولة ومؤسساتها ، وما هو دور المعاهد التعليمية والمؤسسات الثقافية والمساجد والطرق الصوفية في نشر الثقافة العربية الاسلامية في برنو .

وفي النهاية اشيد بالدور العظيم الذي قام به استاذي الدكتور / حسن أحمد محمود وكيل كلية الاداب للدراسات العليا والبحوث ، الذي تفضل بالاشراف

على تلك الرسالة وكان لفضله وتوجيهاته أن خرجت هذه الرسالة الى حيز الوجود . وأشيد بدور وتوجيهات الدكتور / محمد محمد امين .

وأشكر السيد أمين جامعة القاهرة الاستاذ / محمد انور على تلك التسهيلات التى منحنى اياها . والسادة موظفى مكتبة جامعة القاهرة والجمعية الجغرافية والدراسات العربية . والدراسات الافريقية .

والله الموفق

# الفصـــل الاول

## ظهور سلطنـــــــــــة برنـــــــو

تقع سلطنة برنو جنوب غرب بحيرة تشـــاد ، في وادى متسع ذو تربة خصبـــة سوداء ، وتحصل على حاجتها من المياه من نهرى وابى waabe في الشمـا ل ومن نهـــر يدسيرام Yedseram من الجنوب الشرقي ، ويعتمد السـكا ن في حياتهم الزراعية وأمورهم المعيشية على هذين النهرين ، وإلى الجنوب الغربـــي توجد وديان نهر لوجون وهضبة يوقشـــى وتنحدر هذه الوديان الى الغـــرب في اتجاه كانو Kano [1] .

وقد أختلف الباحثون في أصل تسمية برنو ، فيرى العرب أنها مأخوذة مـــن برنوح ، لانهم يعتقدون أن سفينة نوح قد رست على هذه الارض وأنهم سموا التسمية هكذا " برنو " من أمراء كانم المطرودين من بلادهم ، والذين كانوا يقولون أنهـــم اصل بلاد نوح [2] ، ثم حذفت الحاء من " برنوح " وصار الاسم برنو [3] ، ويخالفهـــا من يرى أن كلمة برنو من اصل بربرى ، ويقول بهذا الرأى بوارت معتمد في ذلك علــى التشابه بينها وبين الكلمات بروني أى اصل برنو ، وبربر ، ويذكر أيضا أن الفلاتـــه يقولون أن اصل برنو يرجع الى البربر ، وأن أهل أمارات الهـــوسا يطلقون على ســكان

---

(١) Urvoy, Y.: Histiroe du l'empire du Bornu. P.11.

(٢) Carbou, H. : La regiou du Tchad et du Ouadai, Tomo 2.P. 20.

(٣) الشاطر بيصيلي : تاريخ وحضارات السودان الشرقي والاوسط ، ص ٤١١ .

برنو ، اسم برى برى ، وأن ملوكهم ينحدرون من البربر التجوليين (١) ، وأن برنو بلد يسكنها قوم كثيرون منهم البربر والعرب والفلاته (٢) ، فضلا عن شعوب اخرى ، منها قبائل التبو والتيدا ، التى كانت تسكن هضبة بوتشى ، والذين عرفوا بشدة البأس حتى أنهم فى القرن السادس عشر الميلادى ، كانوا عماد قوة برنو العسكرية (٣)

وظهرت برنو على أنقاض دولة " الكانم " التى تقع شمال بحيرة تشاد وقد كانت هى المقر الاول للاسرة المالكة فى برنو ، وذلك لان اسلافهم كانوا قد اقاموا ملكهم العظيم فى تلك الديار واتخذوا لهم عاصمة اسمها يخيمى ، بلغت من الشهرة مبلغا عظيما فى بلاد الشرق والشمال الافريقى ووسع سلاطينهم حدود دولتهم ، التى بدأت تدخل مرحلة من الانهيار والضعف بعد موت السلطان ، دونامه دا بليمى فى عام ١٢٥٩ م (٤) بسبب التنافس بين افراد الاسرة الحاكمة ، على تولى مقاليد الحكم فضلا عن احاطة الاعداء بها من الشرق والجنوب والمتربصين لحظة الضعف للتخلص من نفوذها ، أو القضاء عليها ففى جنوب الكانم كان يسكن شعب الصوه (٥) ، الذى عمل

---

(١) Barth, H.: Travels in north and central Africa, vol. 2. P. 26.

(٢) محمد بلو : انفاق الميسور بذكر بلاد التكرور ، ص ٨ .

(٣) سلجمان : السلالات البشرية فى أفريقية ، ترجمة يوسف خليل ، ص ١٣٥ .

(٤) Urvoy, Y.: Histiove des pepulations du Soudan central. P.322.

(٥) كان هذا الشعب قد هزم ، على يد الشعوب البيضاء التى جاءت الى بلاد السودان وكانوا يشكلون وحدة متماسكة ، وكونوا لهم مملكة قديمة ، وكان لهم نظامهم الاجتماعى والسياسى وأنهم بسطوا نفوذهم ، على بعض القبائل السودانية ، وأن اسلافهم قد أنشأوا القرى وكانت لهم حضارتهم .

Urvoy, Y.: Histiove du l'empive du Bownu. P.19.

على التخلص من سيطرة حكام الكانم ، ولذلك دخل فى صراع معهم ، وبلغ من شدة الصراع بين شعب الصو وحكام الكانم ، أن لقى أربعة من سلاطين الكانم مصرعهم فى ميدان القتال [1] وكان أول هؤلاء السلاطين السلطان سلما Selma بن عبدالله الذى ولى حكم الكانم فى الفترة من ٧٤٧ – ٧٤٩هـ – ١٣٤٦ – ١٣٤٩ م [2] وخلفه فى الحكم أخوه السلطان كورى بن عبدالله الذى حكم لمدة عام واحد ٧٥١ هـ – ١٣٥٠ ثم لقى مصرعه فى ميدان القتال أيضا ضد الصو ، وذلك فى مدينة نجيلوا Ngelâwa [3] ثم آلت امور البلاد الى أخيه كورى الكبير ، الذى حكم هو الاخر سنة واحدة ، ٧٥٢ هـ – ١٣٥١ م ، ولقى مصرعه فى نفس المكان الذى قتل فيه أخيه على يد شعب الصو [4] وتولى السلطنه وقيادة القوات من بعده أخوه محمد بن عبدالله الذى لم تطل مدة حكمه هو الاخر عن سنة واحدة ، ٧٥٣ هـ – ١٣٥٢ م ، فقد هزم ولقى نفس المصير [5] وكان لهذه الهزائم المتكررة على يد شعب الصو ، فى فترة زمنية قصيرة ، والتى دلت على مدى ضعف الدولة من الاسباب التى مهدت لرحيل الاسرة الحاكمة الى برنو ، لكن شاء القدر أن يتولى امور البلاد بعد ذلك السلطان ادريس بن ابراهيم ٧٥٤ – ٧٧٨ هـ – ١٣٥٣ – ١٣٧٦ م والذى أن كان قد استطاع ان يكسر

---

(1) Yvor.: Encyclopedia of Islam, Art. Bornu. vol.1.P. 751.

(2) Barth, H.: OP. Cit. P.585.

(3) Ahmed ibn Fartu: History of the first twelve Years of the reggon of Mai Idris Alooma of Barnu. Terms. by Palmer.P.88

(4) Palmer, H. The Bornu sahara and Sudan. P. 42.

(5) Barth, H. OP. Cit. P. 585.

شوكة شعب الصو ولو موقتا ، الا أنه واجه عدو آخر كان هو السبب الاساسي في رحيل الاسرة نهائيا من ـ كانم ـ الى برنو .

## الصراع ضد البلالة

البلالة شعب عرف بهذا الاسم ، نسبة الى أول زعيم لهم ، كان يدعا بـــــلال أو Baulal بيلال Bilal [1] ، وأن كلمة البلالة تعني في لغة الطوارق الرجال الاحرار أو النبلاء [2] ، وهم ينحدرون في نفس الفرع ، الذى انحدرت منه الاسرة القديمة الحاكمة لكانم ، أي من أصل عربي [3] وقد نجحوا في أقامة امبراطورية واسعـــة لهم حول بحيرة فترى ، أذ أقام لهم ابوهم "جل سكوتيمي" بن دوناما ديلاس مركزا قويا على حدود البحيرة ، وسيطروا على عدة قبائل في كوكو ، ثم ظهروا كقوة سياسية فـــي بداية القرن الرابع عشر الميلادى [4] وبذلك عندما أسلموا ، وحمل سلطانهم لقب مـــلك الناس ، وأن كانوا يدعون انهم من أصل عربي ، وكانت لهم علاقات طيبة مع مصـــــر وسلاطينها المماليك [5] كما أختلطوا مع أولاد حميد ومع التبو ونتج عن أختلاطهم مـــع أولاد حميد معرفتهم باللغة العربية الى حد التحدث بها [6] وفي القرن الرابع عشـــــر

---

(١) Crabou, H.: OP. Cit P. 18.

(٢) Crabou, H.: OP. Cit, P. 11.

(٣)

(٤) يذكر ماكمايكل : أن هؤلاء البلالة الذين يعيشون في المنطقة التي تقع بين بركـو Borku ويرى أنهم ينحدرون من قبيلة الازد " Azd " .

(٥) Macmochael, A.M.: A History of the Arabs in the Sudan, vol. 2. P. 185.

(٦) Urvoy, Y.: Histore du l'empive du Bornu.P. 50.

Crabou, H.: OP. Cit.PP. 293 - 294.

Crabou, H.: OP. Cit. P. 304.

للميلاد ، زادت قوة البلاله العسكرية ، وارتفعت مكانتهم السياسية في منطقة السودان الاوسط ولم يلبث أن استغلوا هذه القوة العسكرية ضد حكام كانم بسبب ما بينهم من خلافات [1] ، فقاد سلطانهم عبد الجليل قواته ضد الكانم فهب سلطان الكانم أدريس بن ابراهيم [2] ٧٥٤ - ٧٧٨ هـ - ١٣٥٣ - ١٣٧٦ م لملاقاة العدو الزاحف من الشرق ، ويعد ادريس هذا من السلاطين الاقوياء ، الذين حكموا كانم ، فقد سبق له أن تغلب على شعب الصو ، كما قاتل البلاله ، ولكنه لم يتمكن من احراز نصر حاسم عليهم [3] .

ودفع عبء المواجهة الحاسمة مع البلاله على أخي ادريس ، وهو داود بن نكالى ( ٧٧٩ - ٧٨٨ هـ - ١٣٧٧ - ١٣٨٦ م ) ، ولكنه لم يستطع وقف زحفهم ، وانتهى الامر بطرده من العاصمة ، ولم يلبث أن قتل داود على يد السلطان عبد الجليل سلطان البلاله ، ولم يأت عام ١٣٨٠ م الا وكان البلاله قد سيطروا على عاصمة الكانم واحتلوها [4] .

---

(١) Trimingham, J. S. : Ahistory of islam in west Africa P. 118.

(٢) قام بالحج الى الاراضى المقدسه فى الحجاز ، ولا نعرف شيئا عن سنوات حكمه الا انه مات فى دمشك ، وهى أحد المعاقل القوية التى كان يتحصن بها شعب الصو ، أو ربما يكون ما زاد فى أهميتها انها المكان الذى مات فيه السلطان ادريس (Barth, H. : Op. cit, P. 586 ) وقد ذكره الرحالة ابن بطوطه ولقبه بملك برنو ، وقال ان النحاس يحمل من تكادا الى بلاد برنو وهى على مسيرة أربعين يوما من تكادا ، وأهلها مسلمون ولهم ملك اسمه ادريس ، لا يظهر للناس ولا يكلمهم الا من وراء حجاب ( ابن بطوطه : تحفه النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، ص ١٩٨ )

(٣) عبد الرحمن زكى : الاسلام والمسلمون فى غرب افريقيا ، ص ٦٦ .

(٤) Murdock, G. P. : Africa, its people and theire culture history, 199.

ولكن عثمان بن داود ( ٧٨٩ ـ ٧٩٢ هـ ـ ١٣٨٧ ـ ١٣٩٠ م ) نجح في تحقيق بعض الانتصارات على البلاله ، فأوقف زحفهم ، كما خلص العاصمة منهم ، وعاد اليها مع اسرته ، فزاد التفاف القبائل حوله [1] .

وعندما توفى عثمان بن داود ، ولى الحكم بعده عثمان بن ادريس ، والذى لم تزد فترة حكمه عن عامين ( ٧٩٣ ـ ٧٩٤ هـ ـ ١٣٩١ ـ ١٣٩٢ م ) واصل خلالها الجهاد ضد البلاله ، وولى الحكم بعده ابوبكر لياتو بن داود ، فى الوقت الذى أشتد فيه الصراع ضد هذا العدو ، ولم يدم حكمه ، الا تسعة شهور ( ٧٩٥ هـ ـ ١٣٩٢ م ) فقد قتل على يد البلاله [2] ، فولى حكم البلاد عمر بن ادريس ( ٧٩٦ ـ ٨٠٠ هـ ـ ١٣٩٣ ـ ١٣٩٧ م ) وهو آخر سلاطين اسرة سيف من كانم ، فقد أضطر الى الالتجاء الى الاراضى التى تقع الى الجنوب من كانم ، والتى تحتلها المستنقعات فى اقليم الصو ، ولكن اضطر الى تغيير مقر حكمه أمام مطاردات اعدائه .

ولما رأى السلطان عمر بن ادريس أنه لا قبل له بمواجهة البلالة ، جمع مجلسه المشارك له فى الحكم ، وأنضم اليهم الامام الاكبر للبلاد والذى يتولى

---

(١) Barth, H.: OP. Cit. P 586.

(٢) Barth, H.: OP. Cit. P. 586.

مقاليد الامور الدينية ، وطلب المشورة فأجمعوا جميعا على ضرورة مغادرة هذا المكان ، بعد أن ذهبت ايام العظمة والقوة لاسرة سيف ، في هذا المكان وانه لم يعد يطيب لهم فيها المقام ، وبناء على هذه النصيحة ، جمع السلطان عمر بن ادريس ، ما تبقى من قواته العسكرية وحشاشيته وثروته وانتقل الى كاجا Kaga [1] وهى فى الاراضى الجنوبية التى رحل اليها السلطان مع أسرته ، وقد مات فى داماجا Damagia وهى من البلاد التى تقع فى أرض الجنوب أيضا ، وهكذا أجبر البلاله أسرة سيف على نقل عرش الملك الى برنو غرب بحيرة تشاد وقد أقام البلاله دولتهم بعد سيطرتهم على كانم [2] .

أما القوم الذين التجأوا الى الجنوب ، فانهم وجدوا صعوبة فى العيش بين أنهار كوتوكو Kotoko ولوجون Logon ، ذلك لان بعض قبائل الكانمبو كانت تتنقل فى الاراضى الخصبة لنهر يو Yo على الجانب الغربى للبحيرة فى الاقليم الذى عرف فيما بعد باسم برنو .

---

(1) Meek, C.K.: The Northern tribes of Nigeria. vol.2, P. 79.

(٢) هذه الدولة قد أخذت واتسعت وزادت مواردها ، وانهم اداروا امورها من مقر حكمهم الاول ، حول بحيرة فترى ، وقد سعى السلطان عبد الجليل الى الحصول على تأييد مصر ، للاعتراف بشرعية حكمه للكانم ، وذلك لان مصر ، كان لها نفوذ سياسى قوى فى السودان الاوسط ، وأن نفوذها كان معترفا به فى تلك الجهات فى أواخر القرن الرابع عشر الميلادى ولكن هذه المحاولة للحصول على الاعتراف الرسمى والشرعى لحكمهم فى السلطنة المملوكية فى مصر ولكنها لم تظفر بشىء ، ( حامد

وهناك دخلوا فى صراع جديد مع شعب الصو أستمر فترة طويلة [1] ، وفى نهاية القرن الرابع عشر الميلادى ، تم تحرك هذه القبائل وأستقرارها وفرض سيطرتها على سكان البرنو ، بعد أن قدمت اعداد كبيرة من شعب الكانمبو خلف الاسرة الحاكمة [2] ، حيث عاشوا شعبا زراعيا ، وكانت حياتهم أكثر استقرار [3] ومرور الزمن أصبحت دولة قوية ، غيرت الاحوال السياسية فى تلك المنطقة [4] .

" أستقرار الاسرة الحاكمة فى برنو "

تمتع شعب الكانمبو فى موطنه الجديد باستقلال ، بعيدا عن سيطرة البلالة ، اذ نجح فى دفع قبائل الصو الى الجنوب [5] واختلط الشعب الزاحف من الشمال مع بقايا سكان البدائيين ، الذين لم يتحركوا جنوبا ، وبهذا الاختلاط تكون شعب الكانورى ، وقد أستخدمت هذه الكلمة وأطلقها الكانمبو ، وتعنى هذه الكلمة فى اللغة العربية ، شعب النور ، أو وطن النور ، وتدل هذه الكلمة على أن شعب الكانمبو ، هم الذين جاءوا بالاسلام الى تلك البلاد ، بعد أن كان سكانها شعب وثنى ، [6] .

---

(١) Trimingham, J.S.: OP. Cit. P. 118.

(٢) Urvoy, Y.: OP. Cit. P. 61.

(٣) Shinnie, M.: Ancient African Kingdoms, P. 70.

(٤) Trimingham, J.S.: The influence of islam upon Africa, P. 18.

(٥) Urvoy, Y. OP. Cit. P. 61.

(٦) Crabou, H. OP. cit. P.P 14 - 20.

وقد تمسك شعب الكانمو بتعاليم الاسلام[1] . ووصل شعب الكانمبو الى موطنه الجديد ، مع السلطان عمر بن ادريس ، ثم بعد وفاته تولى أمورهم الملك سعيد ، وقد حكم سنة واحدة ، ( ٨٠١ هـ - ١٣٩٨ م ) ولم تطلق عليه الوثائق التى شرطيها بارث أثناء رحلته الى برنو - لقب سلطان اسوة بالسلاطين من الاسرة السيفية ولكن لقبه بلقب ملك . وفى عهده تخلص البلاله من كل أثر للاسرة السابقة . فى الكانم . واستمروا فى مطاردة ، أسرة سيف فى مقرها الجديد ، بل أنهم استطاعوا قتل الملك سعيد[2] .

وتولى الحكم بعده السلطان قاضى أفنوبن[3] ادريس وقد حكم سنة واحدة ( ٨٠٢ هـ - ١٣٩٩ - ١٤٠٠ م ) وفى هذه السنة قاتل البلاله ، وسقط فى ميدان المعركة وهو يقاتل اعدائه وأعداء شعبه ، فآلت الامور بعده الى السلطان بيرى بن ادريس ، الذى حكم فترة تقدر بثلاثة وثلاثين سنة ( ٨٠٣ - ٨٣٥ هـ - ١٤٠٠ - ١٤٣٢ م ) ولم يحدث طوال هذه الفترة أى اشتباك مع البلاله ، ويبدو أنهم قد كفوا عن مهاجمة الاسرة المهاجرة الى وطنها الجديد ، ومع انتهاء الخطر الخارجى بدأت الحروب الاهلية والصراع بين افراد الاسرة المالكة ، تمهيد

---

(١) Urvoy, Y. OP. Cit. P. 58.

(٢) Barth, H. OP. Cit. P. 587.

(٣) عرف باسم افنو ، وذلك لانه يرجع الى اسم أمه ، التى ربما كانت من أهل الهوسا .

للظهور ، فقد حدث نزاع بين السلطان برى ( عثمان ) وكاجاما Kaghamma محمد بن دلتو ، وقد مات السلطان برى فى مكان يسمى كانانتو Kanantu (١) .

وتولى الحكم بعده عثمان كالناما Kalnama بن داود ، الذى حكم تسعة شهور ( ٨٣٦ هـ ـ ١٤٣٢ م ) وقد خضع فى هذه الفترة القصيرة لنفوذ كاجاما نكالى بن ابراهيم ، والبيها قاضى وعزل عن العرش وأضطر الى أن يلجأ الى الغرب حيث أستقر فى كانو ، أحدى امارات الهوسا ، وهناك مات ، بل من المحتمل أن يكون قد قتل (٢) .

وتولى امور البلاد بعده دوناما بن عمر ، الذى حكم عامين ( ٨٣٦ ـ ٨٣٨ هـ ـ ١٤٣٣ ـ ١٨٣٤ م ) وقد قتل ودفن فى نجوما Ngoma (٣) .

وتولى امور البلاد بعد مقتله السلطان عبدالله ، أو ، الابن عمر وقد لقب باسم دكوميتى وحكم ثمانية اعوام ، ( ٨٣٨ ـ ٨٤٦ هـ ـ ١٤٣٥ ـ ١٤٤٢ م ) وقد دخل فى صراع مع كاجاما عبدالله دجلوبى الذى أستطاع أن يخلعه عن العرش وأن يقيم بدلا منه ، أبراهيم أبن عثمان ، سلطانا على البلاد ، ولكن الاخير

---

(١) هذا المكان يقع فى أرض الجوكون وكان هؤلاء جنوب البرنو Ahmed ibn Fartua.: OP. Cit. P. 89).

(٢) Barth, H.: OP. Cit. P. 587.

(٣) يبدو أن الاماكن هذه التى كان يقتل فيها السلاطين أو يدفنون فيها اسماء لمدن قد اندثرت وغير معروف مكانها حاليا ، وذلك لانها لاتظهر اسمائها على خرائط برنو ( Barth, H.: OP. Cit. P. 587.

تولى ، فأضطر الكاجاما ، أن يعيد عبدالله الى العرش مرة ثانية ، وقد مات فى فاميلفا Famelfa (١).

آلت أمور البلاد من بعده الى ابراهيم بن عثمان ، وحكم ثمانية أعوام ( ٨٤٦ - ٨٥٤ هـ - ١٤٤٥ - ١٤٥٠ م ) ولم يكن راضيا عن رجال البلاط السلطانى ولكن قد قتل على يد أخيه قاضى ، وآل الحكم بعد مقتله الى أخيه قاضى بن عثمان ، الذى حكم سنة واحدة ، ولكنه عزل عن العرش ، وتولى بدلا منه دناما بن بسرى ، وقد حكم هذا أربعة سنوات ( ٨٥٥ - ٨٥٩ هـ ) - ( ١٤٥١ - ١٤٥٥ م ) بعد وفاته تولى الحكم محمد بن ماتالا Matala وقد حكم خمسة شهور ( ٨٥٩ هـ ١٤٥٥ م ) ، وتولى بعده السلطان مير أو أمير Amer وقد حكم سنة واحدة ( ٨٦٠ هـ - ١٤٥٦ م ) وقد كانت أمه أميرة من أميرات الاسرة الحاكمة فى البلاد ، أذ كانت أبنة السلطان عثمان بن داود ، ومات فى تاريانا (٢) .

وآلت أمور البلاد بعد وفاته الى السلطان محمد بن قاضى ، وقد حكم اياما قليلة ، تعتبر أقصر فترة حكم فى تاريخ البلاد ، وكان سلطانا قاسيا ، فظا غليظ القلب ، بل أكثر من ذلك فانه كان دمويا يحب منظر الدماء ، ومات ودفن فى

---

(١) Barth, H. OP. Cit. P. 587.

(٢) Barth H.: OP. Cit. P. 586.

نورى كيورى Nuri - Kor - buri وتولى ادارة شئون البلاد من بعده السلطان ، جهادى بن امالو ، وحكم خمس سنوات ٨٦١ـ ٨٦٥هـ ( ١٤٥٦ـ ١٤٦١م ) ، وقد هزم فى معركة عسكرية كان يدافع فيها عن بلاده ضد هجوم ، محمد بن عبدالله ملك البلاله [1] ، مما يدل على أن البلالـــه بدأ مرحلة جديدة من الصراع ضد الاسرة الحاكمة فى برنو ، بعد هدوء استمر نحو ستين عام ، ويبدو أن الذى دفع البلاله الى الهجوم على اراضى برنو ، أن السلطان جهاده ، كان يعد العده لكى يقوم بعمل عسكرى ضدهم اذ عقد عـدة اتفاقيات مع عرب واحة قوات ، لكى يستعين بهم ضد البلالـه [2] .

وتولى مقاليد الحكم فى البلاد ، بعده السلطان عثمان بن قاضى ( ٨٦٦ـ ٨٧٠هـ ـ ١٤٦١ ـ ١٤٦٦م ) والذى أمتاز بالصفات العلية والحميدة ، فكان كريما عطوفا على شعبه كما كان حاكما قويا شجاعا ومع هذا فقد عزل عن العرش بسبب الخلافات بين افراد الاسرة الحاكمه وقام بعزله على غازى الذى كانت له اليـد العليا ، وأن كان لم يعرف السبب الحقيقى الذى ادى الى عزله ، ولم يتولـى على غازى مقاليد الحكم [3] وقد ذهب عثمان بن قاضى ، السلطان المخلوع بعـد طرده من البلاد الى الشـرق حيث أستقر فى كردفان ، حيث تولى مقاليـد

---

(١) Barth, H., Op. Cit. P. 583.

(٢) Palmer, H., Op. Cit. P. 220.

(٣) Barth, H., Op. Cit. P. 588.

الحكم وسيطر على القبائل التي تسكن تلك الجهـــــات [1].

وتولى بعده عمر بن عبدالله لمدة عام واحد ( ٨٧١ـ ١٤٦٦ م ) وكـان اختياره عن طريق علي غازي ولم يتم اختياره عن طريق الامراء . وكان رجلا مستنـــا فظل يحكم في الظل . وكان سلطانا صوريا [2] ولكن في تلك الفترة أصبحت اليـــد العليا في توجيه الامور في البلاد . لاميريسمى . محمد بن محمد . والـــذى قام بقتل السلطـــان وتولى مقاليد الامور في البلاد [3] وقد حكم خمســــــة سنوات ( ٨٧٢ـ ٨٧٦هـ ـ ١٤٦٢ـ ١٤٧١ م ) كان أميرا قويـــا . مقداما . وهوآخر ملوك اسرة داود . وقد فر الى نيـــق . وكان بعـــض أفراد اسرته قد فر الى كردفان . وجاء بعدهم بن ادريس . وكانوا محاربيـــن شجعانا ورجالا اشداء [4] قادوا البلاد الى بر الامان . واستطاعوا أن يدعمـــوا قوة برنو وأن يجعلوا منها أقوى دولة في السودان الاوسط الغربي .

---

(١) Palmer, H.: Op. Cit. P. 220.

(٢) Palmer, H.: Op. Cit. P. 222.

(٣) Barth, H.: Op. Cit. P. 506.

(4) Palmer, H.: Op. Cit. P. 222.

## " أزدهار برنو فى عهد السلطان على غازى "

## ( ١٤٧٢ ـ ١٥٠٤ م )

قام السلطان على غازى ، بطرد السلطان محمد بن محمد ، من عرش البلاد ونصب نفسه عاهلا ، على البلاد ، والسلطان على غازى اسمه الحقيقى ، على بن دوناما ولكنه لقب بعلى غازى وذلك نظرا للغزوات التى كان يقوم بها ، وقد حكم ثلاثة وثلاثون عاما ( ٨٧٧ ـ ٩٠٩ هـ ـ ١٤٧٢ ـ ١٥٠٤ م ) وتمثل فترة حكمه فترة ازدهار واستقرار فى برنو ، اذ يمثل عهده نهاية الحروب المدنية والمشاحنات بين افراد الاسرة الحاكمه ونهاية لفرع من اسرة سيف ، وبداية لفرع آخر هو فرع ادريس الذى أستطاع أن يجعل اسم برنو ساطعا فى سماء بلاد السودان بعد أن مزقت الحروب المدنية السلطنه لفترة طويلة [1] ، وكان أول عمل قام به ، هو القضاء على نفوذ الروساء المحليين فى الاقاليم وأصحاب المناصب العليا ، اذ جعلهم لا يملكون حولا ولا قوة ، ولا يستطيعون اتخاذ اى قرار دون الرجوع اليه ، اذ بلغ من نفوذ هولاء الامراء ~~ـ أمثال الامير كاجاما ، وأمير يرايما ـ~~ أن تمكنوا من عزل السلاطين وتوليه سلاطين غيرهم ، وكانت لهم اليد العليا فى ادارة البلاد ، وكان القضاء على نفوذ هولاء الامراء بداية لاستقرار البلاد .

---

(١) Barth, H. : OP. Cit. P. 589.

كذلك عمل السلطان على غازى ، على انشاء عاصمة جديدة للبلاد ، تكون مقر السلطة والادارة ، ومنها يمارس شئون الحكم والقيادة ، فحتى هذه الفترة لم تكن السلاطين برنو عاصمة سياسية ثابتة ، فكان كل سلطان يتخذ لنفسه مقرا (١) وكان السكان ، يعيشون فى خيام فى الاراضى التى سيطروا عليها أو التى كانوا يمدون نفوذهم اليها ، على الرغم من أن ناتجامى Nanigham كانت مقر السلاطين السابقين له (٢) ، وكانت العاصمة التى بناها ، هى برنى Birni أونجازارجومو ، أو ، قصرايجومو Ghasreggomo ، وكانت هذه العاصمة تحاط بسور ترابى ، ارتفاعه ٢٠ قدم ، وطوله ميل وثلاثة أرباع الميل ، ويوجد بها قصر السلطان وهو قصر كبير وضخم وبها بعض المبانى المختلفة من الطوب الاحمر ، وهذه المبانى هى عبارة عن مساكن الامراء ، وعلية القوم ، ومقر ادارة شئون البلاد ، ولكن معظم المنازل كانت عبارة ، عن أكواخ من الطين أو البوص ، وقليلا من آثارها ما زالت باقية ، وكان للمدينة خمس مداخل ، من خلال السور ومن المحتمل أن تكون من بينهم بوابة عظيمة وهى التى تظهر كفجوة فى الحائط (٣) وظلت برنى ، مقر السلاطين وعاصمة البلاد ، للذين حكموا من بعده لمدة تزيد عن ثلاثمائة سنة .

---

Encyclopedia Britannica, Art. Kanem. vol. 13.P.205 (١)

(٢) تقع هذه العاصمة على نهر واو Wau وهى على مسافة ثلاثة أيام من العاصمة الجديدة كوكو ، التى بناها الشيخ محمد الامين الكانمى

Hogben, J.: The Mahammaden emivtes of Nisevia: P. 37.

Shinnle, M.: OP. Cit. P. 72. (٣)

كذلك أقام السلطان علي غازي نظاما اداريا قويا ، يعتبر نموذجا جديدا للاستقرار والاستيطان ، فساد البلاد ، الامن والطمأنينة ، والرخاء وزادت شهرة البلاد وأخذ نفوذها قويا ، وأصبحوا بلادا ذات نفوذ سياسي ويمتد نفوذهم على امارات الهوسا (١) . وأرسلت له هذه الامارات الجزية السنوية ومن بين هذه الامارات امارة كانو (٢) .

وكانت للسلطان علي غازي ، قوات عسكرية مؤلفة ، مما جعل الناس يلقبونه بالغازي أو المحارب أو القاهر (٣) اذ بدأت ، برنو ، تستعيد قوتها ، وأصبح لها زمام المبادرة في بلاد السودان الاوسط والغربي (٤) ومن ذلك أن السلطان علي غازي ، قام بغزو بلاد ، الكوارارافا ( الجوكن ) جنوب برنو (٥) كذلك نص خلال الوثائق التي عثر عليها بارث ، نعلم أن السلطان علي ارسل حملات الى كوارارافا وهو أول سلطان من سلاطين الاسرة الجديدة من قام بالغزو في اعادة تلك البلاد من البلاد (٦) ولذلك فانه طلب مساعدة واحة سكان قوار وسلطانها ضد البلالة وكان ذلك في عام ١٤٧٨م (٧) .

كما عمل على رفع الكفاءة العسكرية لقواته بالحصول على الخيل ، لكي يستخدمها في حروبه ضد الاعداء ، فكان يبادل الخيل ، بالعبيد التي يحصل عليها من قواته ، مع تجار البربر القادمين من الشمال الافريقي والذين كانوا يحصلون على العودة بأعداد كبيرة من العبيد في مقابل الخيل العربية التي يحضرونها لبرنو ، وعمل أيضا على كسر قوة أعداء ... النامية (٨) ...

(١) حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، ص ٢٥٨ .
(٢) Trimingham, J.: Ahistory of islam in west africa. p.12
(٣) Barth, H.: OP. Cit. P. 589.
(٤) Ahmad ibn Fartua. OP. Cit. P. 2.
(٥) Trimingham,: OP. Cit. P. 122.
(٦) Cushon, C.P. Cit. P. 22.
(٧) Palmer, H.: OP. Cit. P. 224.

اليها على رأس قواته ونجح في هزيمتها قرب عاصمة كانتا وفي مدينة سورامي SURAME
ولكنه لم يستطع أن يحطم قوتها نهائيا ، اذ أضطر الى العودة الى برنو ، عندما علم
أن سلطان كبي " كانتا " يحشد قواته ، وفعلا سار سلطان كبي خلف السلطان على ،
والتقى معه في معركة على حدود برنو الغربية ، أستطاع فيها كانتا ، بفضل أمدادات
سنغاى ، أن يحرز نصرا ، على سلطان برنو ، الا أن هذا النصر لم يكن نصرا حاسما (٢)
كذلك قام السلطان على بطرد الطوارق من اير AIR (٣) ولكن المملكة العتيدة و
القديم ، لبرنو التي كانت قد سيطرت على كانم ، كانت تقف عقبة في سبيل التوسع
البرنوى ، وفي عصر السلطان على غازى ، الحاج ابراهيم ، اسكيا سنغاى ، ولهذا
ذكر صاحب كتاب الفتاش " أن سلاطين الدنيا أربعة سلاطين ما خلا السلطان الأعظم
صاحب استانبول ، سلطان بغداد ، وسلطان مصر ، وسلطان مالي . (٤)

ومما يدل على عظمة برنو في عهده ظهور برنو في خرائط البرتغاليين ، التي رسمها
لاسيتا في عام ١٤٨٩ م (٥) .

---

(١) كانت أمارة كبي ، أحد المقاطعات التي تخضع لنفوذ سلطنة سنغاى ، ولكنها
أستطاعت الحصول ، على أستقلالها ، وأخذت في التوسع ، وأتسعت ما بين
الهوسا ونهر النيجر ، وكان يحكم هذه الامارة في ذلك الوقت حاكم يدعى
كانتا ( Kanta ) Barth, H.: Op. Cit. P. 590.

(٢) Barth, H.: Op. Cit. P. 590.

(٣) تقع اير شمال برنو ، وكان الطوارق سكانها يهددون طريق القوافل المؤدى الى برنو
Bovill, E.W.: the golden trade of moors, P. 104.

(٤) الفتاش : محمود كعت : تاريخ الفتاش في أخبار البلدان وأكابر الناس ، ص ٣٨ .

(٥) Barth, H.: Op. Cit. P. 590.

وفي عهده قام الامام عمر بن عثمان ( ت ٩١٨ هـ - ١٥١٢ م )(١) حاول أن يعلم افراد العائلة الملكية ، والامراء والاميرات ، وحكام الاقاليم ، التعاليم الدينية الاسلامية الصحيحة ، وتخليص الاسلام ، من بدع وخرافات الافريقيين ، ولهذا كـــان السلطان علي يذهب كل يوم الى الشيخ ، عمر بن عثمان ، لكي يستمع اليه وهو يقرأ القرآن ويفسر آياته الكريمة وأيضا وهو يقرأ الاحاديث النبوية الشريفة ، ويلقي التواشيح الدينية ، وذلك بهدف الالمام بقسط وافر من تعاليم الاسلام ولهذا استجاب السلطان علي للشيخ عمر ، عندما طلب منه تنفيذ تعاليم الاسلام ، وأن يحتفظ فقط بأربع زوجات كحد أقصى وأن يترك جانبا زوجاته الاخريات ، كما حرم الشيخ عمر ، أنه يمكن أن يحتفظ بأى عدد من الجوارى ، كما يشاء ، كما استجاب لهذه التعاليم بعض الرعاياء (٢) ، وفي عهـــد السلطان علي ساد أبناء السلطنة الاستقرار ، وعم الرخاء ، وباستعادة عاصمة كانم التي كانت تخضع للبلالة ، ولكن سلاطين برنو كانوا يعتبرون كانم جزءاً من سلطنة البرنو رغـــم خضوعها لحكم البلالة ، كما عمل السلطان علي غازي على نشر الاسلام ، وإقامة العـــدل بين رعيته ، والحكم وفق الشريعة الاسلامية (٣) .

---

(١) الشيخ عمر ماسامايا ، هاجر من توات الى برنو ، وأنه كان أحد الرجال الذين جاءوا من ايران أو العراق وأنه أحضر معه أفكاره الشرقية (Ahmed Ibn Fortua OP. Cit. P.5 )

(٢) Triminghom, J.: OP. Cit. P. 122.

(٣) علي أبوبكر : الثقافة العربية في نيجيريا ( رسالة دكتوراه ) ، آداب القاهرة ، ص ٣٢.

## ٧- استعادة الكانم من البلالة

تولى عرش سلطنة برنو ، بعد وفاة السلطان على غازى ، ابنه السلطان ادريس الذى لقب باسم " كاتاركامبى " ( Katarkambi ) وظل فى الحكم ثلاثة وعشرين سنة ( ٩١٠ - ٩٣٢ هـ - ١٥٠٤ - ١٥٢٦ م ) وهو الابن القوى الشجاع للسلطان على (١) وذلك لانه فى عهده أصبحت برنو ، مركزا قويا ومنارا بين دول السودان (٢) فقد أهتم اهتماما خاصا بتقوية الجيش وعمل على تسليحه واستخدام الخيل والدروع الواقية وذلك من أجل تحقيق حلم اسلافه فى إستعادة مقاطعة الكانم من يد البلالة ولم يأت عام ١٥٠٧ م حتى أصبح الحلم حقيقة ، وذلك بانتصاره على أمير البلالة ، دونما بن عبد الجليل وفتح مدينة انجيمى ، العاصمة القديمة لامبراطورية كانم وبرنو ، كما استطاعت جيوشه المنتصرة أن تطرد البلالة نهائيا من بلاد الكانم واعادتها الى حظيرة الامبراطورية ، بعد مائة واثنين وعشرين سنة ، من طرد السلطان داود منها ، ورغم أعادة مدينة انجيمى ، فقد بقيت العاصمة ، برنى ، التى بناها والده السلطان على غازى ، عاصمة الدولة الاولى ، فقد أصبحت انجيمى شبه مهجورة ومن هذا التاريخ أصبحت كانم جزء فى أمبراطورية برنو بعد أن كانت مقاطعة برنو جزء

---

(١) Barth,H.: OP. Cit. v.11 P. 590.

(٢) McEwan,J. H.: Afroca from the early time to 1800, 49.

في امبراطورية كانم (1) وكان السلطان ادريس قد خلع على عرش كانم السلطان دوناما بن عبد الجليل ، وفرض عليه أن يدفع الجزية لبرنو ، وأن يخضع خضوعا نهائيا للادارة المركزية في العاصمة برنو ، ولكن عندما مات دوناما ، تولى امور كانم اخيه آدام بن عبد الجليل ولذلك عاد السلطان ادريس الى كانم مرة ثانية وقتل الامير آدم ، وبذلك كانم فترة طويلة لعدم سيطرته عليها ، وكان الحرب ضد أمارة كبس وسلطانها لانها كانت مصدر خطر يهدد الاقاليم الشرقية في البلاد .

وبهذا الانتصار يعتبر السلطان ادريس ، من أقوى السلاطين الذين حكموا برنو اذ لم يجرؤ أحد من السلاطين الذين سبقوه على التفكير في اعادة تلك الاراضي السليبة من أيدي البلالة ، باستثناء والده السلطان علي غاجي (2) .

وفي عهد السلطان ادريس زاد اتساع مدينة برنو ، وعلت شهرتها ، وأصبحت مركزا هاما للتجارة ، وخاصة تجارة العبيد (3) وقام بالحج الى الاماكن المقدسة في الحجاز ، وزار بيت الله الحرام وزوده بالتقوى والايمان القوي ، على يد الشيخ عمر بن عثمان ، وكان السلطان ادريس يقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم ، في حروبه التي كان يقوم بها ، لانه كان يقوم بها تنفيذا لأوامر الله ، ولذلك فضلا

---

(1) علي ابوبكر : نفس المرجع ، ص ٣٢

(2) Oliver, R.: The dawn of African history, P. 63.

(3) Hogben, S.J.: The Muhammadan emirates of Nigria P. 37.

مما جاء في القرآن الكريم من الجهـــــاد في سبيل الله ومحاربة الكفـار ، ولذا حارب شعب السو الوثني ، الذين كانوا دائما يغيرون على بلاد المسلمين (1) وباتاسي والالا Welama (2)

اقلام ٥٢

وولي حكم برنو وكانم ابنه السلطان محمد بن ادريس ( ٩٣٢ ـ ٩٥١ هـ ١٥٢٦ ـ ١٥٤٥ م ) وقد حكم تسعة عشر عاما ، وسار على سياسة والده ، وكان سلطانا قويا وشجاعا ، نجح في كل الميادين ، وحقق نجاحا عسكريا ساحقا في الحروب التي خاضها ، وقام بقتل قاضي بن عبد الجليل في كانم ، والذي عمل على مهاجمة السلطان محمد بعد توليته عرش برنو ، ويسمون بيا فقط ، كما هاجم السلطان بنفسه كانم ، Kitaba ، وبذلك أخضع كانم للإدارة المباشرة (3).

كما حقق عدة انتصارات في الغرب ، فاستولى على الاقاليم تمتد الى الشمال والغرب من كيمي ، كما خضعت له كثيرا من القبائل التي كانت تسكن هذه الاقاليم ، بل اكثر من ذلك فان بعض هذه القبائل ، ادعت أن اصلها من برنو ، وهكذا عمـــــل جيران برنو على كسب ودها ، بل ودفع الجزية سنويا (4).

وولي ادارة شئون البلاد وحكمها ، بعد السلطان محمد ، أخوه علي بــــن ادريس ، والذي حكم سنة واحدة ( ٩٥٢ هـ ـ ١٥٤٥ م ) وكان سلطانا عادلا لا

---

(1) Palmer, H.: The Bornu sahara and sudan, 227.

(2) Barth, H.: OP. Cit. P. 590.

(3) Barth, H.: OP. Cit. P. 590.

(4) Palmer, H.: OP. Cit. P. 228.

وبا ، وطغاياها عليها ضباطا ، ونجح في ابقاء قائم مؤخطه برنو (1) ، وعرف السلطان على ، بأسم على حارق البلاله ، وذلك لانه سار على سياسة والده السلطان ادريس وأخيه السلطان محمد ، في قتال عصب البلاله ، وكسر شوكته (2) ولذا فقد هزم سلطان البلاله عبد الرحمن ( ١٥٢٠ – ١٥٥٤ م ) واستطاع أن يأسر ثلاثة من أبنائه ، وأخذهم معه الى العاصمة برنو ، بعد أن قاتلهم خمسة أيام متصلة واستطاع ان يشتت شمل البلاله حتى أن بعض ابناء السلطان عبد الرحمن ، فروا مع عصب البلاله الى الشمال ثم تزوج السلطان على أميرة من البلاله وهي التي أنجبت السلطان ادريس الوما وكان زواجه عام ١٥٤٥ م (3) ، ومات السلطان على وهو يقاتل البلاله في أرض الكانم ، بالقرب من العاصمة القديمة نجيمي .

آلت امور سلطنة برنو بعد مقتل السلطان على الى دوناما بن محمد بن أدريس الذي لقب باسم " جامامي Ghamamami " وحكم تسعة عشر سنة ( ١٥٢ – ٩٧١ هـ – ١٥٤٦ – ١٥٦٣ م ) ، والذي عاصر سلطان البلاله ، عبد الجليل بن قاضي ، الذي ولي امر البلاله بعد السلطان عبد الرحمن (4) واستطاع السلطان دوناما بن محمد ، أن يهزمه ، عندما حاول قائد البلاله عبد الجليل بن قاضي ، مهاجمة برنو ، في بربروا Barberuwa ، ولكن دوناما ، هزمه شر هزيمة بل وتعقبه

---

(1) Barth,H.: OP. Cit. vol III P. 592.

(2) Polmer,H.: OP. Cit. P. 250.

(3) Polmer, H.: Sudanancee memoives. P. 1.

(4) Palmer, H.: OP. Cit. P. 2314

حتى كانم ، حيث هزمه مرة ثانية ، واستطاع أن يجمع عدد كبير من رجالات البلاط الفارين من ارض كانم ، وبذلك استقرت كانم وظلت مرتبطة ببرنو ، ولم يفكر بعد ذلك أهل هذا الاقليم في القيام بأي عمل ضد برنو ، ولم يقلل من قيمة هذا العمل حدوث مجاعة كبيرة في عهده (١) ومات السلطان ، دوناما في عاصمته برني .

ولي سلطنة برنو بعد وفاة دوناما السلطان ، عبدالله ( دالا ) بن دوناما والذي حكم سبعة أعوام ( ٩٧٢ - ٩٧٨ هـ - ١٥٦٤ - ١٥٧٠م ) فاشتهر [illegible] السلطان عبدالجليل الذي كان قد طرد الى كانم ، والذي كان لا يزال يحكم في كانم ، وقام بالاغارة على برنو ، وصحب معه في هذه الغارة عمه وأمراء وزعماء الاقاليم والمدن ، واستمر في الاغارة على برنو ، كل نهار ، كما كان يفعل في عهد السلطان دوناما بن محمد ، ولم يقلع عن عادته في الاغارة على برنو ، حتى موته ، وصحبه بعده أبناءه عبدالله ، ولم يستطع البلاله وسلطانهم الجديد الدخول في معركة مع عصب البرنو ، وسلطانه عبدالله ، بل استمروا في الاغارة على الحدود ، والسلب والنهب (٢) كذلك قام السلطان عبدالله ، بعدة تحركات ضد عصب البولو في الشمال

---

(١) Barth, H.: OP, Cit., P. 592.

(٢) Palmer, H.: OP. Cit. P.P. 252 - 253.

ضد الطوارق ، وكذلك ضد الاعداء في الجنوب ( الكوارارافا ) ، الجوكون (1) . وفي عهد السلطان عبدالله هذا ، بدأت قبائل الفلاته ، الاستقرار في الاقاليم الغربيـة من برنو ، كما حدثت مجاعة كبيرة في أيام حكمه وعرفت في كتابنا Ketaba (2)

## برنو في أقصى عصور ازدهارهـا :

## ادريس الوما ( ١٥٧٠ - ١٦٠٢ م )

انتهى حكم برنو بعد وفاة السلطان ، عبدالله بن دونما ، الى أعظم سلاطيـن برنو ، منذ تأسيسها ، ذلك هو السلطان ادريس بن علي بن أحمد بن عثمـان بن الحاج ادريس ، الذي ينحدر من السلطان اوري بن عبدالجليل ، أول سلطان اعتنق الديانة الاسلامية ، في تاريخ كانم ، من سلالة سيف بن ذي يزن من سلالـة حمير (3) ويسمى ادريس أماسمي Amsami ، أو ادريس الوما ، نسبة الى المكان الذي دفن فيه وهو جزيرة الوما Alowma (4) ، والحق أن ، الرأي الذي قاله بارث ، غير سليم وأن الوما هي تحريف لعلي ، فهو ادريس بن علي ، وقد ذكر بهذا الاسم ادريس ابو العلاء (5) وأيضا ان الجزيرة التي دفن فيها أخذت اسم الوما بعد دفنه فيها وليس قبل دفنه ، وقد حكم ثلاثة وثلاثين عامـا

---

(1) Urvoy, Y.: OP. Cit. P. 74.

(2) Barth, H. OP. Cit. P. 592.

(3) Ahmed Ibn Fartua: Mai Idris a looma of Bornu. P.9.

(4) Barth, H.: OP. Cit.: Vol.3, P. 592.

(5) السلاوي ، أحمد خالد : الاستقصا في اخبار المغرب الاقصى جـ ٥ ص ١٠٥ .

( ٩٧٩ـ ١٠١١ هـ ـ ١٥٧١ـ ١٦٠٣م ) وتعتبر فترة حكمه ، أهم فترة في تاريخ البلاد ، ذلك أنه كان سنه صغيرا عندما تولى العرش ، بعد فترة من الاضطرابات ، كانت تسيطر فيها الام الملكة " العايجا " ماقندا كولي ، على مقاليد الامور ، حتى أواخر عهد السلطان عبدالله ، وذلك بحكم شخصيتها القوية [1] وسلطة نفوذها الواسع على برنو [2] توطئة لان يتسلم ابنها ادريس امور البلاد وهي في قمة الهدوء والاستقرار ؛

نشئ ادريس الوما على حب الحرب والشجاعة ، والاشتهار بالاضافة الى العدل والعطف في جانب آخر [3] لقد أقامت له والدته قصر عظيم ومسجد كبير [4] ، لكي يحجب ادريس بعيدا عن قلب العاصمة ومفاسدها ، ولكي يختفي عن أعين عمه السلطان دوناما وابنه السلطان عبدالله [5] .

فكان القصر والمسجد يقعان على نهر " يو 25 " على بعد ١٠ ميل جنوب جامبارو Gambarouu وقد اكتملت صحبا عنه الى تربيته خلال حكم السلطان دوناما بن محمد والذي نجح هو وأمه في تولي عرش البلاد [6] .

---

(١) هذه العايجا ، هي ابنة السلطان محمد بن ادريس ، وهي التي نصبت السلطان ادريس ، على عرش البلاد وهي شقيقة السلطان العظيم ادريس كاتاجارمي الذي نجح في دخول كانم وكسر شوكة البلالة .

(٢) Palmer, H.: OP. Cit. P. 253.

(٣) Barth, H.: OP. Cit. P. 595.

(٤) شاهد بارث اثارهما باقية اثناء تجواله في امارة برنو .

(٥) Palmer, H.: OP. Cit. P. 253.

(٦) Ahmed Ibn Fertua. OP. Cit. P. 63.

وقام السلطان ادريس بتأمين الطرق التجارية المؤدية الى الشمال ، وقام بعدة حروب ضد الوثنيين فحارب ، سلطان أماكا Amasaka وحارب سلطان كانوى النسيب كما حارب البربر فى الشمال ، وضيق عليهم الخناق ، ووصل فى حملاته شمالا الى مدينة بلمى Bulma وعسكر هناك عدة أيام (١) ، وقام السلطان ادريس اليا بتأدية فريضة الحج ، وفى طريق عودته الى سلطنة برنو عندما وصل الى ارض عراكه – بعد وانها كانت تقع شمال شرق برنو وانها اندثرت لانها لم تظهر فى الخرائط – وانه قتل كل السكان الوثنيين فى هذه النواحى ، كما أسر جميع العمابيين الاشياء بها (٢) .

وأحضر السلطان ادريس معه الاسلحة النارية بعد تأدية فريضة الحج ، ودرب عددا كبيرا من عبيده ، على استخدامها ، وبذلك ضمن السلطان التفوق العسكرى فى كافة المعارك التى يدخلها ضد أعدائه ، كما ضم الى جيشه بعض الجنود والضباط ، الاتراك والطرابلسيين ، ويقال أنه احضرهم من مصر فى طريق عودته من الحج (٣).

عمل السلطان ، ادريس على وقف الحروب بين المسلمين ، والمصالحة بين القبائل ، وجعلهم أخوة ، فى الله ، ودخل فى حرب طويلة مع كل البلاد ، التى تجاور برنو سواء التى تقع شرقها وغربها ، أو جنوبها وشمالها ،

---

(١) Ahmed ibn Farthua.: OP. Cit. P.P 10، 11.

(٢) Ahmed ibn Farthua.: Ibid. P. 12.

(٣) ابراهيم بن يونس : تاريخ الاسلام وحياة العرب فى امبراطورية كانم – برنو ، ص ٨٩ .

وارغم الاهالي على أن يتبعوا أصول الدين ، وأن يتحلوا بالتسامح ، والاخاء ، وليس بالتفاخر والعداء [1] وعين القضاة والحراس ، وذلك لكي يحتكموا الى القاضي بالحق والقسط ، وأن يخافوا الله في أعمالهم [2]. كما أخضع قبائل السو ، وغزا قبائل البربر القاطنة في اير ، وتغلب عليها ، واستولى على أراضيها ، وما يقع في شمالها من أراضي التبو ، وبذلك فتح الطريق ، بينه وبين طرابلس ، ثم غزا قبائل الماندرا والتبو ، وانتصر عليهم ، وقام باخضاع قبائل البلالة سبع مرات [3] وذلك لان السلطان عبد الجليل بن عبد الجليل ، قائد البلالة ، جاء لكي يقاتل السلطان ادريس ومعه عدد قليل من الجنود ولكن في منتصف النهار ، انكسرت قوات الاعداء وفروا الى الشرق ، وتبعهم السلطان حتى أختفى لهم كل أثر [4].

ثم بعد ذلك وجه عنايته صوب بلاد الهوسا ، فأرسل عدة حملات الى الهوسا ليحصل الاستيلاء على المنطقة الواقعة غرب برنو كلها ، حتى مدينة كانو ، وقد ارتاعت مملكة سنغاى ، لهذه الانتصارات ، ولولا أنها سقطت تحت ضربات الجيش المراكشي في عام ١٥٩١ م لقام صراع عنيف بينها وبين سلطنة برنو ، وذلك لان كل منهما كانت تطمع في السيطرة على بلاد الهوسا ، كما أخضع مختلف

---

(١) عبد الرحمن زكي : الاسلام والمسلمون في غرب افريقيا : ص ٢٨ .

(٢) Ahmad ibn Fartua. OP. Cit. P. 13.

(٣) علي ابوبكر : نفس المرجع . ص ٣٤ .

(٤) Ahmad ibn Fartua.: OP. Cit. P. 56.

العاصر فى مملكتـه ، وذلك لانه كانت له الغلبة والتفوق بسبب قوة جيشه الذى كان يضم فرقة من حملة البنادق وأخرى من الفرسان وكانت هذه الاسلحة النارية التى يحصل عليها مجهولة فى السودان الاوسط والغربى ولذلك كانت خطته التى يهجم بها فى قتاله مع عدوه هى أن يقاتله بالسلاح الابيض والاسلحة المستخدمة فى ذلك الوقت مثل الدا حى وعند بدء القتال ، أصدر الاوامر للجنود الحاملين للاسلحة النارية ( البنادق ) أن يطلقوها فيطلقوها ، طلقة يحصل واحدة ، فلا يسع العدو الا أن يولى دبره مذعورا ، مدحورا ، تاركا وراءه مئات من القتلى والجرحى [1] بالرغم من تعمية مصب المصور ابرنو ، لقد اوصلوا السلطنة حتى قواعد السلطان ادريس بعيدة عن خصومهم وبقيت صلتهم [2] كذلك خضعت للسلطان ادريس القبائل العربية فى الشرق والجنوب ، ومن هؤلاء عرب الشوا [3] .

---

(١) على ابوبكر : نفس المرجع ، ص ٣٤ .

(٢) Ahmed Ibn Farthua. OP. Cit. P. 54.

(٣) كان عرب الشوا يعيشون شرق برنو ويكونون جزء من سكانها ولكنهم كانوا مجموعة واحدة هاجروا ، من الشرق منذ فترة طويلة الى برنو ، وان كانت لا توجد لدينا ادلة اكيدة عن الزمن الذى جاءوا فيه الى البلاد ، قبل تولى السلطان ادريس الوما عرش البلاد وانتشروا بمخططات وطيدة الى الاقاليم الشرقية من اقاليم الهوسا ، حتى وصلوا الى هذا المكان ، فى وطن برنو وذلك دون التحرك الى الغرب اكثر من ذلك ، ولهم لهجة تختلف عن لهجة اهل المغرب ، وانها تحوى كثيرا من مخارج النطق تقترب الى لهجة اهل الحجاز ، ولا سيما فى طريقة النطق ، وان كثيرا من عاداتهم لاتزال تحتفظ بطابعها القديم وان هؤلاء الشوا ، ينقسمون الى عدة بطون وأفرع ، وكان عددهم يقدر بنحو ٢٠٠ الى ٢٥٠ الف نسمة فى عهد نيلو دبارت وليس هناك شك فى أن عرب الشوا ، هم الذين سهلوا الاقامة للفلاتة فى برنو ، وأن كان الشوا فى الشرق والفلاتة فى الغرب وهناك كثيرا من القرى فى برنو ، يسكن فيها عرب الشوا مع الكانورى Barth,H.: OP. Cit. P.P. 88 - 90 وقد سمح سلاطين برنو لعرب الشوا بالاحتفاظ بشيوخهم وكان لهم شيخان يختارونهما بأنفسهم وكانت هذه المشيخات تخضع للسلطنة وكان لكل قبيلة شيخ تخضع له القبيلة وكان شيخ القبيلة مسئول عن كل شىء يتعلق بقبيلته ( ابراهيم بن صالح : نفس المرجع ، ص ٢٦٩ ) .

وشيد السلطان ادريس الوما ، كثيرا من المباني التي تشهد له بالعظمة والقدرة على تعمير العمران ، في أرجاء الامبراطورية ، فأمر ببناء اربعة ابواب للمدينة ووضع الحراس على كل باب وأقام بها مخازن واسطبلات للجنود ، وأمر كل الرؤساء ، بأن يبنوا منازلهم بالطوب الاحمر ، وأن يكون بها مكان مخصص للخيل ، كما قام ببناء المساجد من الطين والحجارة ، بعد أن كانت تبنى من البوص ، ورأى ضرورة الاهتمام بالمساجد والعناية بها وعلى ذلك أعاد بناء المساجد القديمة ، وشيد مساجد جديدة لسعة وعظمة (1) .

في المجال السياسي ، لعبت برنو دورا هاما ونشطا ، في السودان الأوسط والشرقي ، وكانت هذه الفترة ، فترة توسعها ، وبسطت نفوذها على اراضي واسعة ، ، فانتزعتها من المماليك ، والامبراطورية العثمانية ، التي بسطت نفوذها على الشمال الافريقي منذ القرن السادس عشر الميلادي ، وذلك بعد أن مدت برنو نفوذها حتى جنوب فزان ، وشرقا الى وداي ، ولما كان الطوارق البربر يهددون طريق القوافل الموصل الى فزان ويغيرون على القوافل ، فان السلطان أدريس كان يريد أن يمنع الاتراك بسط نفوذهم جنوبا وذلك باحتلال كوار ، وبلما ، وذلك ليسيطروا على الطوارق ويأمن طريق القوافل (2) .

---

(1) Barth, H.: OP. Cit. P.P. 88 - 90.

(2) Barth, H.: OP. Cit. P. 234 - 235.

وكان لبرنو في عهد السلطان ادريس ، أهمية بارزة في نقل التجارة وعبر الطرق الصحراوية ، وعلى وجه الخصوص ، تصدير الرقيق واستيراد الخيول ، وقد زاد ذلك من ارتباطها مع الشمال الافريقي وكانت تجارة الرقيق تعود بمكاسب ضخمة للاسرة المالكة وتصدر قوة للجيش السلطاني (١) .

وقد أمر السلطان ، ادريس ، بنقل الفلاحين من أقليم كولو Kulu في كانم ليستقروا في برنو وذلك ليقوموا بالزراعة ، فاستقروا في جنوب شرق البحيرة بالقرب من بحر الغزال ، كما رحل بعضهم بارادته ، ليستقر في ظل الطمأنينة والاحسان اللذين سادا الامبراطورية (٢) واستطاع السلطان ادريس أن يواجه المشاكل التي خلفها له سابقوه في الحكم ، وأن يقوي الامبراطورية ، ويدعم مركزها ، ومن أجل ذلك ، اتجه الى محاربة ، الذين هربوا من سيفه من سلاطين برنو ، وظلوا يملكون مساحة واسعة من الاراضي ويحتلون أماكن هامة ، مجاورة لبرنو والذين كانوا يقومون بقطع الطرق والاغارة على القوافل والاغارة على حدود برنو وقام السلطان ادريس بمهاجمة هؤلاء هذه القوافل ، على نهر كوماد وجو بي

Kemedugawembe

---

(١) Hodgkin, T. Nigerian perspectives. P.P. 26 – 27

(٢) McEwang J.H.: Africa from the early times to 1800 P. 52.

بالقرب من عاصمتهم دماسك Damasak ، معسكرات كبيرة ومحصنـــة (1)

وضع فيها جزءاً كبيراً من جيشه ، ثم لم يلبث أن قام بهجوم كبير ، فدمر لهم محاصيلهم

وأشجارهم وصمم على أن يستولي على عاصمتهم ، ونجح في ذلك الى حد أنه قتل وأسـر

جميع سكانها . كما واجهت المدن الصغيرة ، نفس المصير ، واضطر سكان دوغومتي

Dughumti الى الفرار الى كانم . كما هاجم سكان الغابات الكثيفة التي يسمـــون

اساكا التي تسكن بين جامورجو Gamurgu وماندرا . وأسر رؤسائهم ، كما عمـل

على ضرب القبائل الوثنية بعضها ببعض ، وذلك بتأييده بعضها ثم التخلي عنها وتأييـد

فريق آخر وهكذا تمت له السيطرة على كل القبائل الوثنية ، كما سيطر على ســكان

جزر بحيرة تشاد . وأصبحت برنو كاملة السيادة وتسيطر على كل الاراضي المجاورة (2) .

ومن اجل زيادة السيطرة على جزر بحيرة تشاد ، فانه امر بصنع قوارب كبيرة ، كبيـرة ،

بدلا مما كان يستخدمه السكان في عبور النهر (3) .

---

كان السكان يستخدمون قطعة خشب مجوفة ، وقد ركب ذلك النوع ابن فرطوه عند عبوره النهر الكبير ، أو بدون تجديف ، وذلك لاستخدامها في عبور النهر .

والوصول الى جزر البحيرة ولما رأى السلطان أن عبور النهر الى الاعداء يستغرق يومين أو ثلاثة ايام ، فانه رأى أن مثل هذا النوع من القوارب لا يصلح لعبور اعداد كبيرة مـــن الجنود ، ومن هنا فانه أمر بصناعة قوارب كبيرة لكي يتم عبور الجنود باعداد كبيرة وفـــي فترة قصيـــرة (3) .

---

(1) Ahmed ibn Fartua. OP. Cit. P. 33.

(2) Barth, H.: OP. Cit. vol. 3. P. 593.

(3) Meek, C.K.: The Northern tribes of Nigeria. vol.2 P. 80.

كان السلطان ادريس مسلم قوي متدين ، ولذلك بذل جهوده لتدعيم الاسلام وتطبيقه في تنظيم امبراطوريته وعمل على ان يكون الاسلام هو الديانة الرسمية للبلاد ، كما عمل على القضاء على البدع والخرافات (١) . واذ كان افراد الشعب العادي لا زالوا يمارسون عاداتهم وتقاليدهم القديمة رغم اعتناقهم للدين الاسلامي (٢) .

عمل السلطان ادريس على تشجيع شعبه في الذهاب الى الاراضي المقدسة لتأدية فريضة الحج ، ومن اجل ذلك بنى منازل لهم في مكة والمدينة وفتح التكايا ، كما احضر العلماء المسلمين من بلاد الشرق والشمال الافريقي وأسس النظم الاسلامية واستخدمها في التشريع بدلا من التقاليد الموروثة (٣) .

ولم يكن للسلطان ادريس رغبة شديدة في توسيع رقعة مساحة الامبراطورية ، لذلك عمل على تأكيد السلام مع جيرانه واكتفى منهم بدفع الجزية عن الاجزاء التي يسيطر عليها ، كما كان يلقي الرعب في قلوبهم باستخدام القهر ، وبذلك ضمن سلامة الامبراطورية من الهجمات الخارجية ، ولكي يضمن بقاء هذه الاماكن تحت سيطرته ، فانه جمع عددا كبيرا من الخيل والجمال للقيام بالدوريات .

وقد جاء امير ماندرا السابق يطلب مساعدته ضد عمه الذي عزله من العرش فان السلطان ادريس ، سار الى كانو ثم الى ماندرا ، ولكن السلطان فر الى الجبال العالية التي تقع غرب المدينة واضطر السلطان ادريس أن يعود الى برنو ، دون ان يحقق اغراضه

---

(١) Triminghum,J.S: A history of islam in west Afrika P. 193.

(٢) Shinnie: M: OP. Cit. P. 74.

(٣) Shinne. M.: OP. Cit. P. 75.

ولكنه عاد في العام التالي وحول أحسن التجمعات العسكرية والقوات الكبيرة وعسكر تحت السور (أجبر سكان ماندرا) على الاعتراف بالامير المخلوع والاعتراف بسيادته لانه الامير الشرعي وله حق العرش (١).

ولقد كانت الحروب التي خاضها ذلك البطل الافريقي ، سببا في رخاء برنو ، ونجاحها أيضا سببا في نمو المدن البرنوية ، ونمو اقتصادها وازدياد حركة التجارة بها وقد جاء هذا السلطان الذي في احدى الغزوات على الجنوب عام ١٦٠٣ م بعد أن طعنه احد الوثنيين بخنجر في صدره ، ودفن في الا Alaa في كانت طعنته بها Adamawa (٢) وبذلك طويت صفحة من صفحات تاريخ برنو كانت مليئة بالانتصارات والفتوحات .

---

(١) Barth,H.: OP. Cit. P. 595.

(٢) Barth,H.: ibid. P. 598.

## ( برنـــو بعد السلطان ادريس الوما )

آلت أمور البلاد ، بعد مقتل السلطان ادريس ، الى ابنه الاكبر السلطـــان محمد بن ادريس ، الذى حكم ستة عشر عاما وسبعة اشهر ( ١٠١١ - ١٠٢٧ هـ - ١٦٠٢ - ١٦١٨ م ) ولقب باسم محمد بولالا رامى Bukalmarami ، كان اميرا ممتازا ، طيبا ، ولكنه لم يكن مقاتلا ، توفى فى أحدى المعارك الكبـــرى ، التى كان يقود فيها قوات برنو ضد البلالة ودفن فى مدينة دامسكـــى Damiski فى كانم (1) .

وبعد وأن الدولة قد أخذت فى الضعف والانقسام ، والتدهور ، وأخذت الامـــور تسوء والاحوال لا تستقر (2) وهذا نتيجة لضعف السلاطين الذين لم يهتموا بمصالـــح البلاد ، ولم يكن لأى من هؤلاء السلاطين الذين تولوا العرش بعد السلطان ادريـــس شأن فى تصريف وإدارة أمور السلطنة (3) حتى أن السلطان محمد بن ادريس لم يقـــم بأى عمل يذكر طوال مدة حكمـــه .

أما السلطان ابراهيم بن ادريس فقد حكم سبعة اعوام وسبعة أشهـــــــر ( ١٠٢٧ - ١٠٣٥ هـ - ١٦١٨ - ١٦٢٥ م ) وقام بتأدية فريضة الحج فـــى

---

(1) Palmer, H.: Op. Cit. P. 244.

(2) على ابوبكر : نفس المرجع ، ص ٣٤ .

(3) دائرة المعارف الاسلامية : مادة برنو ، ص ٨٨٥ .

(4) ~~Barth, H.: Op. Cit. 598.~~

عام ١٦٢٩ م (1) وأصبح بعده قادية نيهضية التي رجلا عادلا . ويقال أن السبب في ذلك أنه . سرقت بقرة لسيدة عجوز . فقالت العجوز أن هذا من أعمال السلطان . ولما بلغ ذلك القول السلطان . أمر بإحضار العجوز وأدبها بالقول بأنه لا يستولي على أموال المسلمين بالقوة . ولا يأخذ أموال الارامل . فلماذا تقولين على أبي هذا . فقالت له . لانك تقضي وقتك في اللعب والحيل ولا تؤدي الصلاة ولا تتبع الدين الحق ولولا تملك هذا . لما ساد الشر السلطنة وسرقت بقرتي مني . ولو لم تقم بأداء واجبه الله في ارضه وتحكم بالعدل والشريعة فان الوثنيين سوف يأخذون أرضنا هذه . فسمع السلطان كلام السيدة العجوز ورجع الى حكم القرآن والشريعة الاسلامية فعم الرخاء وزاد المحصول (2).

ودخل السلطان ابراهيم بن ادريس عشرة حروب كبيرة ومات ودفن في العاصمة برنو قصر اجيجو Ghasreggomo (3) .

وتلي بعده في برنو الحاج عمر بن ادريس الذي حكم تسعة عشر عاما وتسعة أشهر ( ١٠٣٦ - ١٠٥٥ هـ ١٦٢٥ - ١٦٤٥ م ) وعندما وصل الى المرشكان في السنتين . وقد وفد الى برنو في عهده بعض علماء الفلاته يتبعهم الشيخ الثانثي ولديه الذي استوطن كثيرة شمال برنو (4) .

---

(1) Barth,H.: OP. Cit. P. 589.

(2) Palmer,H.: OP. Cit. P. 244.

(3) Barth,H. : OP. Cit. P. 598.

(4) وكانت هذه المدينة كواجهة لنشر الاسلام وقد تأسست في عهد الماي عمر .

وكان معه الشيخ الوالي بن الجرمي وقد قام بهداية الناس وتعليمهم الــــــاسي الاسلام الصحيح الخالي من البدع والخرافات ، وقراءة القرآن ، وحثهم الناس لأخذ التعاليم الدينية الاسلامية عنهمـــــا ، وقد تاب على أيديهمـــــا بعض عمال السلطان برنو ، وكان أمير البلاد وسلطانها السلطان عمر مــــــن بين هؤلاء التائبين (١) .

كان السلطان عمر يعاني من اعتلال في صحته وقد استمر ذلك طوال فترة حكمه حتى أنه ترك العناية بصحته لابنته الاميرة فو سلم Fusum ، ومات ودفن في العاصمة برني (٢) .

---

(١) محمد بلو : انفاق الميسور في بلاد التكرور ص ٧ .

(٢) Palmer,H.: Op. Cit. P. 545.

## ( التدهـــور الاســري في برنــو )

ولي عرش برنو ، بعد وفاة الحاج عمر بن ادريس ، ابنه السلطان علي ، الذي حكم ، أربعين سنة ( ١٠٥٥ - ١٠٩٥ هـ - ١٦٤٥ - ١٦٨٤ م ) وكان رجلا تقيا ، شجاعا وذكيا ، قام بتأدية فريضة الحج ثلاث مرات في أعوام ١٠٥٨ هـ ١٦٤٨ م ، و ١٠٦٦ هـ - ١٦٥٦ م ، و ١٠٧٢ هـ - ١٦٦٧ م ) وهـــذا إن دل فانما يدل على مدى تمسكه بالاسلام [1] .

وعندما عاد السلطان علي من حجه الأخير ، فانه واجه ثورة قائمة في البلاد ولكنه تمكن من القضاء عليها وربما تكون هذه الثورة محاولة لخلعه من عرش البلاد . وقام بعد ذلك بحملات عسكرية ضد سلطان اير وذلك للهجوم على اغاديس .

وفي أثناء حكمه للبلاد كان قوة شعب الجوكو الوثنيين ، والذين كانوا يسكنون في اقليم جوبي Gombe جنوب برنو بدأت في الظهور [2] وقد تركوا تأثيرا على مجرى الامور السياسية في برنو [3] وكان سلاطين برنو قد عجزوا على القيام بغزو الوثنيين الذين يسكنون جنوب برنو وحول خليج ... ولذلك انتشر الاسلام بينهم ، وليس ...

---

(١) Barth,H.: OP. Cit. P. 598.

(٢) Palmer,R.: OP. Cit. P. 246.

(٣) كان الفلاته وأهالي البرجا يطلقون على شعب الجوكين اسم الكوارارافا ، وربما اطلق عليهم شعب برنو في الماضي هذا الاسم عليهم ، وجاء ذلك في مخطوطاتهم وأنهم من شعب الكانوري ، وجاءوا من الشرق من مصر او من مكة كما تذكر لنا اساطيرهم ( Meek,C.K.: A sudanese kingdom. P.P. 16-22 ) وأنهم تركوا وادي النيل حوالي ٦٠٠ م وهاجروا [illegible] الى كردفان ثم الى بحيرة تشاد ثم الى اقليم [illegible] ثم جاءت قبائل [illegible] طردتهم من [illegible] الى اقليمهم الحالي جنوب [illegible] P.P 71-72

[illegible] OP. Cit.

الرقيق كما ذكر تينجهام . وقد قتل السلطان ادريس الوما في احدى غزوات الجنـــوب في أرض شعب الجوكون .

وعندما ظهرت قوتهم فانهم اصبحوا ذو تأثير فعال في منطقة السودان الغربي حتى أن بعض امارات الهوسا . كانت تدفع لهم الجزية سنويا مثل . زارا . وكانو . وكتسينا [١] .

وقاموا بحصار السلطان على بن عمر في عاصمة برنو في الجنوب . وقام الطوارق بحصار العاصمة من الشمال وحاصروا العاصمة لفترة طويلة . ولكن السلطان على . نجح في الايقاع بين الفريقين فتقاتلا حتى تحطما قتالاً شرساً . وكان ذلك لقدرة السلطـان على في ادارة الصراع بين أجل الاستيلاء على بلاده . وقد عد ذلك نصراً عظيماً لـــه وتغنى احد شعراء برنو " دان ماريا في قصيدة شعبية [٢] .

ويبدو أنه بعد انتصار الطوارق على الجوكون فان السلطان على استطاع أن . يقتل من الجوكون الف قتيل . ويجرح الف ويأخذ معه الف أسير منهم [٣] وهذا يـــدل على حنكته السياسية وقدرته المنظمة في الاحتفاظ ببلاده . وادارة شئونها . وفي عهده حدثت مجاعة عظيمة في البلاد . استمرت سبع سنوات وسميت مجاعة " دالادام Dala-Dama " [٤] .

ويبدو أن الامور قد ساءت في البلاد وأن هذه المجاعة أثرت في الشعـــب

---

(١) Craudar, M.: The story of Nigeria. P.P. 43 - 44

(٢) Hodgkin, T.: OP. Cit. P. 32.

(٣) Palmer, R.: OP. Cit. P. 246.

(٤) Palmer, R.: ibid. P. 95.

تأثيرا فعالا وأدت الى عدم استقرار الامور فى البلاد وهجر الاهالى الاراضى الزراعية وتركوها بدون فلاحة[1] .

وقد كان للحصار الذى فرضه الطوارق والجوكن على العاصمة من الاسباب القوية التى أدت الى حدوث تلك المجاعة والى عدم استقرار الامور فى البلاد ومع هذا فان السلطان على قام بحملة عسكرية ضد طوارق اير لرفع الروح المعنوية للشعب ولكى يثبت للطوارق كما أثبت للجوكن أن الامبراطورية ما زالت قوية ، لكن الحملة فشلت فى تحقيق اغراضها[2] .

بدأ الضعف والانحلال يدب فى الامبراطورية القوية لكنها بقيت على هذه الحالة حتى القرن التاسع عشر الميلادى وكان اضطراب احوال العالم الاسلامى ، وتفرق شعوب السودان الغربى واضطراب الاحوال فى المغرب العربى سببا فى بقاء هذه الامبراطورية دون تمزق[3] .

وترك السلطان على بن عمر حكم البلاد لابنه ادريس بن على منذ عام ١٦٨٠ ، وبذلك يكون حكمه الحقيقى للبلاد انتهى فى هذه السنة وليس فى عام ١٦٨٤ م[4] . ومات السلطان على فى هذا العام فى مستى ودفن فى مدينة ماتان[5] .

وآلت شئون البلاد بعد وفاته الى السلطان ادريس بن على وكان يحكم منذ عام ١٦٨٠ لكن التنصيب الرسمى لحكم البلاد لم يتم الا فى عام ١٠٩٦ هـ - ١٦٨٤ م

---

(١) Barth,H.: OP. Cit. P. 598.
(٢) Barth,H.: ibid. P. 598.
(٣) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٥٤ .
(٤) Palmer, H.: OP. Cit. P. 248.
(٥) تقع مدينة ماتان شمال شرق نجمى عاصمة كانم القديمة فى الطريق الى بلما وتبعد عنها على مسافة ثمانية ايام من نجمى .

واستمر يحكم البلاد عشرين عاما ١١١٠ هـ - ١٢٠٤ م [١] ولم تذكر الوثائق التي عثر عليها شيئاً عن اعماله وما جرى في البلاد في فترة حكمه الا انه مات ودفن في قوان [٢] .

وآلت امور البلاد التي بعده الى ابنه « دوناما بن علي » وحكم تسعة عشر عاما ( ١١١٥ - ١١٣٤ هـ - ١٢٠٤ - ١٢٢٢ م ) وكان محاربا شجاعا وسلطانا عظيما ، ولم تذكر الوثائق عنه شيئا ، الا انه حدثت في عهده مجاعة بالمدة في العقد الاخير استمرت سبع سنوات عجاف ، ومات ودفن في احد احياء العاصمة برني [٣]

وآلت امور البلاد الى ابنه السلطان حمدون الذي حكم اربعة عشر عاما ( ١١٣٥ - ١١٤٨ هـ - ١٢٢٣ - ١٢٣٦ م ) وامتازت فترة حكمه بالسلام وظهر التدين والورع بين ابناء الشعب ، وكان سلطانا يحب العلم والعلماء والدراسة في كتب الفقه والدين ، والمداومة على قراءة القرآن وحده وأنه قام بتأدية فريضة الحج ، ومات في العاصمة برني ، ودفن في منزله بعد تأدية الصلاة عليه [٤] .

وآلت شئون البلاد بعد وفاته الى ابنه محمد بن حمدون ارجمـا Erghumma وحكم ستة عشر عاما ( ١١٤٩ - ١١٦٤ هـ - ١٧٣٢ - ١٧٥١ م )

---

(١) Barth,H.: OP. Cit. P. 598.

(٢) Palmer,R.: OP. Cit. P. 250.

(٣) Palmer,R.: ibid P. 252.

(٤) Palmer,R.: ibid P. 252.

قام بعدة حروب ضد كانو ، وفي آخر حرب ضدها ، حاصروها سبعة أشهر ولكنه لم يستطع الاستيلاء عليها (١) وفي عهده سادت البلاد بعض الفوضى ، فقد ترك ، الامراء والحكام ، أمور البلاد وأداروا ظهورها وأقاموا في العاصمة برني عيشة البذخ والرفاهية ، والامبراطورية تتمزق الى أجزاء صغيرة ولم يستطع السلطان ، أن يقاوم أي ضغط خارجي يقع على البلاد (٢) حدثت في عهده مجاعة استمرت سنتين ، جعلت الشعب يئن تحت وطأة الفقر والجوع والحرمان ، ومات السلطان محمد ودفن في العاصمة برني .

وآلت أمور البلاد الى ابنه دوناما بن محمد ، وحكم سنتين وسبعة أشهر ( ١١٦٥ - ١١٦٨ هـ - ١٧٥٢ - ١٧٥٥ م ) ولا نعرف شيئا من سنوات حكمه الا أنه حدثت مجاعة شديدة أتت على الاخضر واليابس ، وشاع بين الاهالي حالة من الجوع والحرمان (٣) ومات السلطان دوناما في العاصمة برني ودفن بها .

وتولى بعده حكم البلاد السلطان علي بن دوناما وحكم أربعين سنة ( ١١٦٨ - ١٢٠٧ هـ - ١٧٥٥ - ١٧٩٣ م ) وكانت برنو في عهده قد وصلت الى مرحلة من الضعف والانهيار حتى أنها فقدت السيطرة على الطرق

---

(١) Palmer,H.: OP. Cit. P. 253

(٢) Barth,H.: OP. Cit. P. 599.

(٣) Barth,H.: ibid . P. 599.

الطرق الصحراوية المؤدية الى الشمال بسبب زيادة خطورة طوارق آير .

وفي عهده بدأت قوة الفلاتة في الظهور وأصبحوا يشكلون خطرا على أمن برنو (١) كان السلطان علي سلطانا متدينا ورعا يخشى الله في كل أموره ويحب العلم والعلماء وكان أبا لعائلة كبيرة تبلغ ( ٣٠٠ ) وكان سلطانا مغوارا يتمتع بنوع خاص من الاقدام والجسارة ويبدو أنه أرسل حملات عسكرية الى اقليم ماندارا ولكن هذه الحملات لم تحقق الغرض الذي من أجله أعدت وأعد أيضا بعدة حملات ضد سكان بيداوى Beddo (٢) حيث تم بدأ سكان برنو يشعرون بالضعف الذي ولت اليهم امبراطوريتهم عندما هاجمها الفلاتة ، ذلك أن الجزء الاكبر من الجيش كان قد قتل على يد سكان ماندارا وسكان بيدى ، ومات علي في العاصمة برني .

ويبدو أن خلفاءه عاشوا حياة البذخ والخمول ، فلم يهتموا لدفع المغيرين على أطراف الامبراطورية وتركوا الاهالي التعساء نهبا لقطاع الطرق وعصابات اللصوص ، فأهملوا الزراعة وفلاحة الارض وفتكت بهم الاوبئة والمجاعات وضاق الامر بالسلطان أحمد بن علي ليتولى أمور البلاد فقد حكم سبعة عشر عاما ( ١٢٠٨ - ١٢٢٥ هـ - ١٧٩٣ - ١٨١٠ م ) وكانت البلاد قد وصلت الى حالة من السوء والفوضى والاهمال (٣) كان السلطان أحمد ، متعلمـا

---

Trimingham, J.S.: A History of Islam in West Africa, P. 124. (١)

Barth, H. OP. Cit. P. 599. (٢)

Barth, H.: Ibid. P. 599. (٣)

محبا للعلم والعلماء وكان له أصدقاء عديدين من العلماء ورجال الدين ، عطوفـــا على الفقراء الا انه لم يكن رجلا شجاعا يحب القتال والحرب ولذلك فانه لم يستطيع أن ينقذ الامبراطورية من الخطر الذى يحيط بها ، بعد أن وصلت البلاد الى حالة من الانهيار والتمزق ، وزاد الحالة سوءا انتشار مرض الطاعون الدمرى فى برنو والذى حصد معه عددا كبيرا من سكان برنو واستمر ذلك المرض مدة ثلاث سنوات (1) .

(( الصـــــراع ضد الفـــــلاته ))

استقر بعض الفلاته فى الاقاليم الغربية من برنو منذ فترة طويلة وتجمعوا فـــى اقليم جوجيبا Gojeba واستطاعوا أن يكونوا قوة عسكرية ومذهبية هائلـــة وخرجوا على سلطة السلطان احمد والدولة وقاموا بقتل الزعماء والرؤساء الذيـــن كان يرسلهم السلطان احمد لحكم الاقاليم الغربية فى ذلك الوقت ظهرت حركـــة الزعيم الدينى الفلاتى عثمان ابن فوديو والذى وضع خطة للاستيلاء على امارات ، الهوسا الرئيسية ، تعيين الزعيم ماهر المختار وإبراهيم زكى القلب ، ليقوموا بمهاجمة امارات الهوسا ولم يكد يصل أحد هؤلاء الزعماء الى مركز قيادته حتى انضمت اليـــه الجماعة المقيمة ، وطلب كل واحد منهم جيشا لواء الايمان بالله وانه قام عن العقيدة الاسلامية ونشرها .

---

(1) Barth,H.: OP. Cit. vol 3. P. 599.

ولما أحس أمير كانو ، وأمير كوبا أن كل واحد منهما جهده في حصر داره وماله ، قام كل منهم بالكتابة الى سلطان برنو يستنجده ، ويستعين به على هؤلاء الغزاة وذلك لأنهما يدينان له بالولاء ، ويدفعان له الجزية السنوية .

ولما كانت برنو سلطنة اسلامية فهل يلبي سلطانها المسلم ، طلب الاميرين بمناصرة الوثنية على الاسلام ، في حين أن عدم اجابة طلبهما تعني تقلص نفوذ سلطنة برنو (1) ومن هنا كان المشكلة التي واجهت السلطان احمد مشكلة سياسية كما هي مشكلة دينية ، ولا شك أن السلطان اطال التفكير فيها قبل أن يتخذ قراره النهائي ، ذلك لانه اعتبر نفسه حامي لبلاد الهوسا وذلك جزاء ما كان يقدم له من امرائها كجزية سنوية ، ورغم أن نفوذ برنو اخذ يتلاشى منذ أوائل القرن السابع عشر على هذه الامارات الا أنه كان لا يرغب ابدا أن يرى حركة دينية تحت زعامة غيره لا سيما اذا كانت من شعب يعتبر شعبا طارئا في البلاد وهو شعب الفلاته (2) .

وتحت تأثير هذين العاملين اصدر أوامره الى حكام المقاطعات الغربية من برنو والملاصقة لبلاد الهوسا باعداد العدة للدفاع عن الهوسا وبلغ الخبر الشيخ عثمان ، فأصدر أوامره الى أتباعه بمحاربة برنو وسلطانها لان مناصرة امراء الهوسا من سلطان مسلم يعتبر ارتدادا عن الدين (3) وقال عثمان أن سلطان

---

(1) علي ابوبكر : نفس المرجع ص . ص ٥٢ – ٥٣ .
(2) علي ابوبكر : نفس المرجع ص ٥٣ .
(3) احمد بلو : نفس المرجع ، ص ١٣١ .

يرون لهم مواطن يركبون اليها ويذبحون لها ، ويرشون الدماء على أسراب قبائلهم ولهم بيوت مخصصة فيها حيات وأفاعي يذبحون لها ، ويعملون للبحر كما كانت تفعل القبائل أيام الجاهلية (١) .

قام جيش الفلاته بمهاجمة امارات برنو الغربية وأنزل بقوات برنو هزيمة منكسرة وطرد حكام الاقاليم من مواضعهم الاقليمية وكان ذلك في عام ١٨٠٨ ، وبذلك اصبح الطريق مفتوحا الى عاصمة برنو وسار الجيش الفلاتي اليها واستطاع ان يحتلها بعد معركة عنيفة تحت قيادة الماهر مختار وهرب السلطان احمد من البوابة الشرقية عندما دخل الفلاته المدينة من الناحية الغربية ، وكان ذلك في عام ١٢٢٤ هـ ١٨٠٩م وذهب ليحكم من كوردنادا وكان هذا المكان يحيط به الخطر من كل جانب ولهذا فانه ارسل الى الفقيه محمد الامين الكانمي يطلب مساعدته (٢) وذلك لانه كان يحارب عدوا قويا يتسلح بالعقيدة الاسلامية وانهم كانوا يقاتلون من اجل العقيدة بعد أن سيطروا على امارات الهوسا (٣) .

وكان الماهر مختار لا زال يحكم في عاصمة برنو ، فقام الشيخ الكانمي بطرده وطرد الفلاته وأجبرهم على العودة الى امارات الهوسا وترك برنو ، وعندما عادوا ، هجموا مرة أخرى فقاتلهم وأجبرهم على العودة ، ورغم انهم استولوا على جزء من البلاد الا أنهم لم يستطيعوا أن يهزموا برنو نهائيا (٤) ولهذا فانه

---

(١) محمد بلو : انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ، مرجع سابق ص ١٠١ .

(٢) Barth, H.: Op. Cit. P. 599.

(٣) عبد الرحمن زكي : جمهورية نيجيريا الجديدة ، مجلة المجلة ، عدد ٤٢ ، ص ٢٥ .

(٤) Bovill, E.W.: The golden Trade of Moors. P. 227

استطاعت برنو أن تنجح في وقف زحف الفلاته بدلا من أن تنهار ، أو تخضع لهم وترتبط بامبراطوريتهم كما حدث لاقاليم الهوسا وغيرها من البلاد التي خضعت لهم وكما كان يتصور الفلاته بعد أن دخلوا العاصمة بانزام سيطرتها على برنو ، وذلك لان شعب الكانمبو رفض أن يحكمه الفلاته أو أن يصبح احدهم بابا على برنو بعد أن اتخذ الكانمى الاسرة الحاكمة على عرش برنو [1] ، وبعد ذلك كان برنو ، دخلت مرحلة جديدة من القوة والنهوض بفضل الجيش الذي بقيادة محمد الكانمـى [2].

وكان للخطوات التي اتخذها سلطان برنو والكانمى وأمراء الهوسا ضد الفلاته من الدوافع التي ساعدت على طرد الفلاته وانقاذ البلاد منهم ، رغم أنهم استمروا في القيام بالسلب والنهب وقطع الطرق [3].

وكان للعرب فضل عظيم في مساعدة الكانمى في طرد الفلاته ، اذ أن عرب الشوا قدموا مساعدات عظيمة للكانمى ، مما كان له أكبر الاثر في الانتصار على الفلاته .

وصار الكانمى الحاكم الفعلى للبلاد ولكنه ابقى السلطان احمد على كرسى العرش ليحكم البلاد (٤) وتوفى السلطان احمد بن على ودفن في العاصمة برنى عام ١٨١٠ وآلت الامور الى ابنه السلطان دوناما .

---

(١) Crawder,H.: The story of Nigeria. P.P. 88 - 89

(٢) Hodghin,T.: OP. Cit. P. 43.

(٣) Bovill,E.W.: Corvans of the old shara. P. 227.

Triminghem.J.: The inflivence of islam open Africa (P.) 20

# (( الفصل الثاني ))

## نظام الحكم

### أ- النظام السياسي في برنو

لقد مر النظام السياسي في برنو بعدة مراحل حتى استقر في صورته النهائية إذ كان نظام الحكم قبل أن تستتب الأمور في البلاد في مرحلة بدائية فالشعب يعيش على فطرته قبل أن يعتنق الإسلام ولم يكن الحكام قد اتخذوا الدعوة الإسلامية كيانا لهم. فان الشعب كان يقدس الملك ويعبده من دون الله، وقبل ظهور الحكم الملكي فان الحكم كان بيد زعيم القبيلة البدوية، ثم تطور حتى صار الملك فيه سلطان يأخذ بنظام الحكم القائم على الملكية الاقطاعية. وإن كان هذا النظام قد شابه بعض الفوضى في بداية الأمر، ولم يستقر ويكتمل في صورته النهائية إلا في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي، وظل مستمرا في برنو حتى منتصف القرن التاسع عشر، وكان السلطان يقوم بإدارة شئون السلطنة وتنظيم أمورها (1) ذلك لأن السلطان كون حوله قاعدة ثابتة وقوية من شعب الكانمبو، وأخضعوا شعب الكانوري في برنو، والذين استقروا في هذه الأرض الواسعة، وأنشأوا المدن وكونوا قبيلة واحدة.(2)

---

(1) Lebeuf, A.: Les population du Tchad. P. 41.

(2) Trim ingham, J.S.: A History of islam in west Africa. E.P. P.P. 124 - 125.

وأنه أصبحت ذات حضارة ونظم سياسية . وكان السلاطين من بين هؤلاء القوم الذين خضعوا لحكمهم .(1)

وكان السلطان على رأس الجهاز السياسي في البلاد . وكان يلقب بالماي Mai وظل هذا اللقب مستعملا في برنو حتى أواسط القرن التاسع عشر . وانتهى بانتهاء حكم الأسرة السيفية والسلطان يتمتع بالحكم المطلق في البلاد فهو يجمع بين يديه السلطتين الروحية باعتباره أمير المؤمنين والسلطة الزمنية باعتباره الحاكم الأوحد في البلاد . وهو يعين ويعزل أمراءها كيفما يشاء .(2)

ووصل النظام السياسي في برنو الى درجة من التقدم . لدرجة أنه أثار دهشة الرحالة الذين زاروا برنو . وتعجبوا من وصول هذا المستوى السياسي في احدى بلاد القارة الافريقية .

اذ لم يتصوروا أن يوجد هذا النظام الدقيق من توزيع السلطات والاختصاصات وأن هذا النظام ارقى بكثير مما في بلاد السودان الأخرى ، بل وأنه يشبه من عدة وجوه النظام السياسي الذي كان سائدا في الدول الأوربية في العصور الوسطى .(3)

---

(1) Trimingham, J.S.: Op. Cit. P. 125.

(2) دائرة المعارف الاسلامية . مادة برنو ص ٥٨٩ .

(3) Denham and Clapperton,: Travels in Northerne and central Africa P. 325.

كان السلطان رأس الدولة ، الا انه كان يوزع بعض الاختصاصات والمسئوليه في اداره امور الدوله بين اتباعه ومعاونيه (١) وكان البلاط الملكي يضم عددا كبيرا من الموظفين والضباط ورجال الاداره والذين كانوا يحتلون اماكن جيده في القيام بهذه الاعمال في اداره شئون القصر كانوا يحصرون الدقه البالغه والمسئوليه التامه في هذه الاعمال . ٤٧

وكان السلطان ينتخب من بين اعضاء الأسره السيفيه الحاكمه للبلاد . وكان الأخ ينجح احيانا في تولي مسئوليه السلطنه في البلاد ويمنع ابن السلطان من تولي عرش السلطنه (٢) وان الحكم لم يكن ينتقل من الاب الى ابنه في حالات كثيره ولديه القوه في منع احد الاعضاء الاسره من اغتصاب العرش منه (٤) ولكن الحكم استمر في برنو من فرع الى فرع آخر في الأسره السيفيه ذلك ان السلطان على غازي استطاع ان ينقل السلطنه من فرع داود الذي طرده البلاله من كانم الى فرع ادريس الذي هو منحدر منه (٥) .

وكان يتم اختيار السلطان الذي يتولى الحكم في البلاد من بين ابناء السلطان السابق دون النظر الى الاقدميه الوراثيه بالنسبه للأكبر .. وتقوم الأسره الحاكمه بعقد مؤتمر يتم فيه

---

(١) Cr0uder, M.: The story of Nigeria. P. 34.

(٢) Lebeuf, A.: Les populations du chad. P. 42.

(٣) Denham and Clapperton: Travels in Northern and central Africa. P. 325.

(٤) الشاطر بصيلي : تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط ١٢٠

(٥) Palmer, R.: The Bornu Sahara and Sudan P. 227.

اختيار ثلاثة أشخاص ، ويتم اختيار السلطان من بين هؤلاء الثلاثة ثم بعد ذلك يعلن اختياره رسميا سلطانا للبلاد عن طريق هذا المؤتمر[1] وجرت العادة عن اختيار السلطان فانه يوضع على ما يشبه المنصة العالية وذلك أعلانا باختياره سلطانا على البلاد وأميرا للمؤمنين ، وتلك العادة كانت موجودة عند الشعوب المجاورة لبرنو[2]

وإن هذا النظام السياسي في حكم البلاد كان ملكي استبدادي والسلطان يجمع في يده كل السلطات شأنه شأن نظم الحكم القائمة في الامبراطوريات والممالك التي ظهرت في السودان الأوسط والغربي ، سواء في عهدها الوثني أم في عهدها الاسلامي[3] .

وكان السلطان وأسرته تعيش ارستقراطية تفوق حد البذخ والأبهة في كل العصور والفترات التي مرت بحياة السلاطين من الأسرة السيفية ، فالرحالة ليو الأفريقي ، الذي زار برنو في عهد السلطان على غازي يصف مدى الأبهة والعظمة التي عاش فيها ذلك السلطان ، فيقول ( ان السلطان لديه ثروة عظيمة من الذهب وحتى أطباق الأكل من الذهب والأدوات التي يستخدمها في المأكل والمشرب والأواني وأدوات المائدة وسلاسل كلابه كل هذه مصنوعة من الذهب الخالص[4] .

---

(١) Barth, H.: OP. Cit. P. 27

(٢) Lebeuf, A.: OP. Cit. P. 424

(٣) ابراهيم طرخان : امبراطورية غانا الاسلامية ، ص ٧٧

(٤) ابراهيم صالح بن يونس : تاريخ الاسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم برنو ، ص ٨٦

وأنه لا يدفع ديونه للتجار من العبيد الا بالذهب.(1)

ويتحدث القلقشندى عن ملكهم فيقول ( ان ملكهم على حضارة سلطانه ، وضيق بلاده مكانه فى نفسه لا تدرك من الكبرياء ، يضع رأسه هناك الساتر ضعف أجناده ، وله متحصل بلاده ، لا يراه أحد الا فى يوم العيدين بكرة وعند العصر أما فى سائر السنة فلا يكلمه أحد ، ولو كان أميرا الا من وراء حجاب.(2) )

وابن بطوطة يتحدث عن سلطان البرنو فيقول ( ان لهم ملك اسمه ادريس وهو لا يظهر للناس ولا يكلمهم الا فى المناسبات و لا يكون ذلك الا من وراء حجاب.(3) ) وعند ظهور الملك كان الطبول الملكية تدق ويصاحبها صلوات القارئين ، ان القمر الجديد قد ظهر وارتفع وان ملكنا الذى ارتفع الى السماء قد ظهر ثانية (4) . ورغم كل هذه المظاهر والاحتفالات بالسلطان كان الحكم فى البلاد كان يطبق الشريعة الاسلامية فى كل امور الحياة (5) .

ولم يكن السلطان فى كل ادوار تاريخ برنو يحكم بمفرده ، وانما كانت الامور تتغير بتغير الحياة السياسية اذ نجد السلطان على غازى الذى حكم ثلاثة وثلاثين عاماً ( ١٤٧٢ ـ ١٥٠٤ م ) ترك ادارة شئون البلاد وعهد

---

(1) Leo Africanus: A history and Discription of Africa . vol. 3. P. 831.

(2) القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، جـ ٥ ، ص ٢٨٠

(3) ابن بطوطة : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ص ١٩٨

(4) Meek, C.K. : Tribal studies in Northern Nigeria vol. 1. P. 494.

(5) نعيم قداح : افريقيا الغربية فى ظل الاسلام ، ص

أمورها في بداية توليه حكم البلاد لزمرة من الأفاضل أهل مجلسه ووزرائه واستمرت البلاد تحت حكم هؤلاء الأعوان لمدة طويلة وذلك لانشغاله بقيادة الجيش ، غير أنه اتخذ خطوة ايجابية فيما بعد ، تدل على مدى احساسه بتولي السلطة كاملة وأنه لابد من تصريف أمور البلاد بالحزم والقوة ، فتخلص من نفوذ أولئك الوزراء داخل المجلس وأشرف بنفسه على ادارة البلاد وصرف شئون الدولة وقام بتغيير جذري في الدولة واستطاع بهذه السياسة أن يكسب ود الشعب وعطف وصداقة الدول المجاورة. (1)

((( مساعدي السلطان )))

كان يعاون السلطان في تصريف أمور البلاد مجلس يطلق عليه (اسم نوكنا) ويعرف أعضاؤه باسم كوكنادو (2) ويمثل هذا المجلس النظام الارستقراطي في برنو ويضم هذا المجلس في العهد المتأخر ( ميرما ) أعضاء السلطان أعمامه وأقاربه وبعض القيم والأشراف وقواد الجيش .

وكان هذا المجلس في أحيان كثيرة يطلق يده حرية التصرف في ادارة شئون البلاد .

وللسلطان حاشية كبيرة في خدمته وأعضاء عديدون وهؤلاء الأعضاء كانوا في أوقات كثيرة يديرون شئون الامبراطورية فتجد السلطان

---

(1) ابراهيم صالح بن يونس، نفس المرجع . ص ٨٠

(2) Ahmed ibn Fartua Mai Idris of Bornu, P. 31.

اذ يرسلوا ترك ادارة السلطنة لبعض ابنائه في وزرائه ومستشاريه الذين يتكون منهم مجلس شورى السلطان . وقام هؤلاء من جانبهم بكل الواجبات . وقدموا النصح للسلطان . ولم يخونوا الأمانة التي حملها لهم بل ظلوا في خدمة البلاد (١) .

ويذكر بارث أن مجلس السلطان يتكون من اثنى عشر شخصا وقد أطلق على هؤلاء الأعلام أو طبقة القوم يتكون منهم القيادة السياسية للامبراطورية وأطلق عليهم أيضا الأعلام الكبار أو أرباب الدولة أو الأمراء (٢)

وهؤلاء الاثنى عشر الذين تطلق عليهم الألقاب هم كيغاما Kagghamma وهو القائد العسكري للبلاد ويطلق عليه في تركيا كبير العسكر وتحت امرته قوات كبيرة وله نفوذ واسع في البلاد ويتمتع بمحبة شعبه لأنه هو الذي يقوم بقيادة القوات العسكرية للبلاد في حال الهجوم عليها من الأعداء . أو القيام بغزو أحد البلاد المجاورة .

ويأتي بعده في المرتبة ويشاركه نفس النفوذ في المجلس (في البلاد أيضا ) Yerima وهو حاكم الاقليم يسمى Yeri (٣) وهو الاقليم الشمالي

---

(١) ابراهيم صالح بن يونس : نفس المرجع ص ٨٩

(٢) Barth, H.: Op. Cit. P. 591.

(٣) يقع هذا الاقليم بين اقليم البلاد المركزية بوني واقليم مونيو Muniyo وأطلق عليه الاقليم الشمالي .

من الامبراطورية ويختار حاكم هذا الاقليم من بين افراد الاسرة الحاكمة ومن يتوافر فيهم الرأي والحزم . اذ أن مهمته كانت مراقبة الاقاليم الشمالية ومنع غارات سكان الصحراء ويعد أهم الاقاليم الادارية والحربية والتجارية ولا يستطيع القادم الى برنو من الشمال أن يدخل هذا الاقليم دون استئذان من اليريما وذلك لكثرة هجوم الطوارق على الاجزاء الشمالية للبلاد (١).

والشخصية الثالثة في مجلس شورى السلطان هو الجالادما Galadima وهو حاكم اقليم جالادي (٢) وكان له نفوذ واسع أيضا في المجلس ولدى السلطان اذ أن اقليمه كانت تمثل قوات برنو في مهاجمة امارات الهوسا وكانت قوات الاقليم الغربي تشكل قسما كبيرا في قوات برنو .

والشخصية الرابعة في المجلس هي شيروما Chiroma وهو اللقب الخاص بالوريث الشرعي للسلطان (٣) وغالبا ما يكون ابن السلطان أو أخوه وكانت اراؤه . وأقواله أحيانا كثيرة يأخذ بها في المجلس نظرا لان رأيه كان يأتي بعد رأي السلطان

---

(١) Lebeuf,A.: OP. Cit. P. 41.

(٢) وهي مقاطعة كبيرة من مقاطعات برنو وتقع الى الغرب من البلاد وهي تجاور مقاطعة انجورو Ngozu .

(٣) Barth,H.: OP. Cit. P. 591.

من الموافقة عليه .

ويشارك في المجلس أيضا حاكم العاصمة برني . وهذا الشخص لـــه نفوذ في المجلس نظرا لانه حاكم العاصمة والمسئول عن أمورها وكان ظهيرا لدى . السلطان ويطلق عليه لقب فوما Fugma .

ويشارك في المجلس شخصية يطلق عليها " ياجيما " وقد ساعدت ظـــروف البلاد أن يصبح دور الرجل الاول في البلاد . اذ اصبح دورا له أهميته فـــي أثناء الحروب الشديدة التي سادت البلاد قبل أن يتولى السلطان على غاجى حكم . البلاد . وسمحت له القوى أحيانا في عزل السلاطين عن العرش . الا أن بارث لم يستطع أن يحدد الاقليم الذى كان يحكمه ولا يوجد ادنى أرتباط بين اسمه وبين اقليم ياجيرى الذى يخضع لبرنو في بعض الاوقات (١) .

وربما يكون هذا الشخص مسئولا عن ادارة الشرطة أو ( الشئون السرية للسلطـــان ويأتى بعده الشخص السابع في مجلس الشورى ويطلق عليـــه سنتلوما و Sintelma وهذا اللقب له أرتباط باقليم قام (٢) وربمـــا أطلق على من كان يتولى ادارة اقليم قام بعد ضمه لبرنو . وظل هذا اللقـــب

---

(١) Barth,H.: OP. Cit. P. 591.

(٢) Barth,H.: Ibid. P. 591.

مالما في برنو لكن بمرور الزمن قلت أهميتـــه .

ويأتي بعده في المرتبة في المجلس الكاسلـــا Kasalma وهو حاكم الاقليم الشرقي للبلاد وهو الجزء الذي كان يجاور الكانم وكانت عليه مسئوليات كبيرة اذ أنه كان أول من يتلقى ضربات البلالا في الهجوم على برنو ومن هنـــا فقد حصنت حدوده بأحســن تحصين ووضعت تحت قيادته قوات عسكرية كبيرة (١)

وبعده يأتي الكاجيستيما Kaghistema وهو حاكم أحـــد الاقاليم الجنوبية لبرنو ثم الاريجيناما Alsinoma وهو حاكم أحـــد الاقاليم الشمالية وكذلك اقليم صغير ثم المستريما Mesterema وهو الشخصية الحادية عشر في المجلس وكان المسئول عن شؤون الحريم في القصر السلطاني (٢) .

والشخص الثاني عشر في المجلس وهو الشخص الاخير هو يرما Yirama وليس له أدنى صلة بحاكم الاقليم الشمالي من البلاد بل أنه كان يخضع للشخــص المسئول عن شئون حريم القصر السلطاني ولكن برز دوره في عهد السلطان ادريس الوما .

ومن خلال أعضاء المجلس برزت بعض الشخصيات التي أثرت في تاريـــخ برنو فالكاجاما . القائد العسكري للبلاد أصبح له دور هام في ادارة البلاد . فلا نجد

---

(١) Lebuef,A.: OP. Cit. P. 40.

(٢) Lebuef,A.: Ibid. P. 41.

الكاجاما ، محمد بن دلتو في عهد السلطان بيري بن ادريس ( ١٤٠٠ ـ ١٤٣٢ م ) يدخل في صراع طويل مع السلطان وادى هذا الصراع الى ســـوء حالة الشعـــب في برنو .

واستطاع الكاجاما ، نكالي بن ابراهيم ـ في عهد السلطان عثمان بن داود ( ١٤٣٢م ) وسماه ديما قاضي ، أن يقوم بعزل السلطان عثمان وأجباره على التخلي عن العرش والفرار الى اقليم الهوسا وكذلك فان الكاجاما عبدالله ديجلما Dighelma عزل السلطان عبدالله بن عمر ( ١٤٣٥ ـ ١٤٤٥ م ) ووضع بدلا منه على عرش برنو السلطان ابراهيم بن عثمان[1] .

وهذه الاضطرابات التي كانت قائمة في برنو ، ربما أخذ عن نظم الحكم السائدة في سنغاي وإمبراطورية الرم[2] وكان هذا المجلس يمثل قوة حقيقية في ادارة شئون البلاد ولم يكن السلطان الا منفذا لاوامر المجلس في احيانا . اخرى لان هذا المجلس يشرف على تنفيذ اوامر السلطان . ذلك أن معظم اعضاؤه كانوا من الاسرة المالكة ويعملون في المجلس مدى الحياة . ولكـــن لما انتهت الامبراطورية وبدأت مصادرة ثروتها ، انتقل النضال بين هؤلاء . وتحول الى معارك حامية فاضطروا الى القتال من أجل المحافظة على حقوقهم

---

(١) Barth,H.: OP. Cit. P. 587.

(٢) Barth,H.: Ibid. P. 588.

بالرغم من أن تلك الحقوق كانت بيد السلطان (١) ، على أن شخصية السلطان هي التي كانت تحدد للمجلس الذي يجاوره مدى قوة نفوذه أو ضعفها ، فأن كثيرا من السلاطين كان مضطرا أن يحكم وفقا لنصيحة أو مشورة المجلس ، الذي كان لبعض أفراده تأثير قوي على الجيش (٢) .

في أوقات السلم ، أو تعرض البلاد لخطر ، أو حالة الطوارئ ، كان المجلس كان يعقد صباح كل يوم في القصر السلطاني وعلى كل أعضاء الاثنى عشر الحضور في الصباح الى القصر وكانت الاوامر أن يترك كل واحد منهم أدواته وأسلحته أمام باب القصر ، وإذا دقت الطبول وصدحت الموسيقى فذلك اشارة الى أن السلطان في طريقه الى دخول قاعة الاجتماعات بصحبة بعض أبنائه وأخوته وحرسه الخاص الذي يتكون من أربعين فارسا يكون منهم عشرون على يمين السلطان وعشرون على يساره (٣) .

يدخل السلطان القاعة ويأخذ مكانه في الجلوس على العرش ، ويسرع أعضاء المجلس ويأخذون أماكنهم في الجلوس حسب النظام المتفق عليه في الجلوس حول كرسي العرش ، فيجلس على الجانب الايمن للعرش أبناء السلطان وأخوته وعلى الجانب الايسر يجلس طبقات الكوكناوا (٤) .

---

(١) عبد الرحمن زكي : الاسلام والمسلمون في غرب افريقيا ، ص ٦٤ .

(٢) Oliver,R.: The dawn of Africa history,P. 65.

(٣) Barth,H.: OP. Cit. P. 591.

(٤) Hodgkin,: The Nigerian Perspectives. P.P. 290 - 291.

## « دور المرأة في حكـــم البـــلاد »

كان للمرأة دور هام وبارز في الحياة السياسية في برنو وفي ادارة شئـــون البلاد ، بالاضافة الى أنه كان لها امتيازات كثيرة ، فالماجيرا Magira . كان لها نفوذ عظيم في القصر السلطاني وفي توجيه امور البلاد ولها حقوق عديدة لذلك كان لها حق اقالة العمال في مختلف الاقاليم وكذا لها ايضـــا تتدخل في التنظيـــم الداخلي للدولـــة .

فالماجيرا عائشـــة كيلي أم السلطان عبدالله دالا تولت العرش وحكمت البلاد لسبع سنوات ( ١٥٦٣ - ١٥٧٠ م[1] ) وقد أمتاز عهدها بالصلاة في مسجـــد القصر السلطاني ولا سيما صلاة الجمعة وطلعت برجال البلاط وخرجت للحرب فـــي خلال فترة حكمها وقادت جيوش البلاد وتبعها الرجال[2] وهذه الفترة التي سبقـــت حكم السلطان ادريس ألوما حيث كان عم السلطان ادريس في بلاط البلاد لـــدى جده السلطان عمر سلطان البلاد . وقد تولت وقامة ابنها ادريس حفظ خلفاته ولاقـــت صعوبات في تربيتـــه تربية سليمة . بعيدة عن المؤامرات . وبعد أن قضـــيا

---

(١) Urvoy,Y.: Histore d' empire du Bornu., P. 75.

(٢) Palmer,R.: Sudanese memoires,P. 42.

وبعيـــدا بعيدا عن العاصمة ومفاسدها وأنها مارست نفوذها القوى خـــلال فترة حكمها البلاد وأنها لم تتمسك بالسلطة في البلاد بيد من حديد وحـــتى التي هيأت الامور في البلاد لكي يتولى ابنها السلطان ادريس ... مركـــز نوى (١) .

وكانت الماجيرا عائشة كيلي ... بالحكمة ... ومعاونيها عـــلى ذلك وهي التي أمرت بارسال بعثة هامة وسفارة الى طرابلس (٢) .

وأنها اتجهت الى توسيـــع التجارة مع البلدان الخارجيـــة ومن ذلـــك يتبين كيف استطاعت المرأة في برنو أن تسيطر على حكم البلاد طوال السبـــع سنوات التي قضتها في الحكـــم (٣) .

وليست هذه هي الشخصية النسائية الوحيدة التي ظهرت في تاريـــخ برنو . بل أن تاريخ برنو فيه سجلا لعدد من الملكات الوالدات اللاتـــي لعبن دورا هاما في تاريخ برنو ومنهن الملكة فاطمة والدة السلطان يروى . انها لما سمعت ان سارقا قتل جزاء سرقته فلم يسعها الا أن تحمل ابنها السلطان المسئولية كاملة وعاطبة قائلة أنا قال الله تعالى في كتابه العزيز السارق والسارقـة فاقطعوا أيديهما " وحاسبته حسابا عسيرا على قتله السارق وعلى جهلـــه

Palmer,R.: The Bornu sahara and sudan, P. 232. (١)

Barth,H. OP. Cit. P. 593. (٢)

(٣) الناظر بصيلي : تاريخ وحضارات السودان الشرقي والاوسط ، ص ٤٢ .

بحكم القرآن الكريم والشريعة الاسلامية وسجيته سنة كاملة ، وكان اذا اراد أن يخرج الى مجلس الامراء كان يجلس داخل القفص وهو أشبه بالقفص الحديدي وصار بعد ذلك جلوس السلطان داخل القفص عادة اتبعها من بعده السلاطين (١) .

كذلك كان الزوجة الاولى للسلطان كانت تلعب دورا هاما في شئون البلاد لا يقل اهمية عن دور الملكة الام . وكانت الزوجة الاولى للسلطان تحمل لقب جمسو Gumsu (٢) .

ودورها لا يقل في البلاط السلطاني . ولها نفوذ قوي حتى على السلطان نفسه وكانت أحيانا تتدخل في توجيه سياسة القصر والشئون الداخلية للبلاد . ويأتي بعدها في البلاط السلطاني من حيث الاهمية والنفوذ الماجيرام Magram وهي المسئولة عن الاشراف على طعام السلطان وتقديمه له . ويصل بها الامر في بعض الاوقات بين برنو أنها كانت تمنع السلطان من ممارسة أي عمل لا ترضى عنه . وهي التي تتولى الاشراف على تربية ابناء السلطان . الذين تتولى العناية بهم والاشراف على رعايتهم أحسن رعاية منذ ولادتهم (٣) ، وعندما يكبرون فانهم يرسلون الى اجزاء مختلفة من السلطنة ولا يسمح لهم بالبقاء في العاصمة الا في حالات الطوارئ وتعرض البلاد للخطر .

---

(١) علي ابوبكر : الثقافة العربية في نيجيريا ، ص ٢٩ .

(٢) Ahmed ibn Fartua: OP. Cit. P. 81.

(٣) Hogben, S.J.: The Muhammadan emirates of Nigeria. P. 39.

## (( التقسيم الاداري في برنو ))

وصل النظام الاداري في برنو الى درجة عالية من الرقي اذا ما قورن بالانظمة الادارية المتبعة في بلاد السودان الاخرى . ذلك أن هذا النظام كان يقوم على أساس من النظم المركزية . وأن كان في بعض الاحيان يقوم السلطان بمنح بعض الصلاحيات لاحد افراد الحاشية التي تلتف حوله اذا كان مأمون الجانب أو قريبا منه . وأن كانت بعض المقاطعات تخضع لاسرة من الحكام ينتقل الحكم من واحد الى اخر بالارث . وكان هؤلاء الحكام عند ما يلمسون ضعفا من السلاطين في العاصمة المركزية فانهم ينفردون بحكم مقاطعتهم (1) .

وأن كان النشاط الاداري لبرنو ينصب على تحصيل الجزية . وكانت قوة الدولة العسكرية تنعكس على قوتها الادارية وقد رتبها على تحصيل الجزية . فان ضعف الدولة قلل التحصيل من الجزية . وهذا المجال الاداري الواسع لسلطنة برنو يتطلب من السلطان الاستبداد بالسلطة . والتحرك المستمر عبر البلاد والمقاطعات بصحبة جيشه للقضاء على الفتن فاذا تراخى وقد ساءت الاحوال الادارية للاقاليم وأن كان التقسيم الاداري للبلاد يعتمد في حكم الولايات النائية ومناطق الاطراف الى فريق من النواب أو الولاة . وقد يتسم البعد في الطمع باعلان

---

(1) نعيم قداح : نفس المرجع . ص ١٠٩ .

استقلال ولا يأتمر عن الحكومة المركزية أو الشيوخ طرف السلطان .

وفي بعض الأحيان كانه يولى أهل الأقاليم حكم أقاليمهم ليؤسسوا به وحده أميرا مستقل عن الدولة الأم . وكان توسع برنو في ضم الأراضي المجاورة يعود عليها بالضرر لأن كلما اتسعت رقعتها كلما تعرضت في السنة وبالنتائج تعرضا للتفكك والانهيـــار (١) .

وتشكل بعد وأن برنو كانت دون سائر بلاد السودان من حيث القدرة الفائقة في تنظيم شئونها الادارية للأقاليم والسلطنة . ومع هذه الميزة مهارة ملحوظة في تدبير شئون البلاد الادارية والتجارية ولعل كل هذه القدرات قد وضـــح أثرها في حياة برنو وتفوقها دون سائر امارات السودان الأوسط والغربي (٢) .

بل أن النظام الاداري في البلاد لم يكن جامدا . بل أن برنو تطورت في نظمها الادارية واستعدادها عن غيرها السياسية واحتكاكها ببلاد شمـــال افريقيا ومصر وسائر البلاد الاسلاميـــة التي كانت ترتبط معها بروابط الوحدة .

---

(١) حسن أحمد محمود : نفس المرجع . ص ٢٣٨ .

(٢) عبد المنعم شعبان : العلاقات بين مصر والسودان في العصور الوسطــى . رسالة ماجستير . آداب القاهرة . ص ١٩٣ .

وأصدقائه ولذلك فإنها استفادت من النظم التي لدى هذه الدول وساعدها ذلك على وجود نظام اداري متقدم (١) .

وكانت القيادة الادارية يحوط بها الاشراف الذين يخدمون السلطان ويأتي بعدهم في المرتبة العمال الذين توكل إليهم ادارة شئون البلاد . بعضهم من الاحرار والبعض الآخر من العبيد . وبعضهم لا يتقاضون مرتبا ولكنهم يمنحون أرضا . ويولون بعض الاقاليم ليجمعون فيها ما يستطيعون جمعه من مال وعليهم أن يقدموا للسلطان هدايا سخية (٢) .

والعمال الذين كانوا يتولون ادارة الاقاليم منهم الكيغمه وهو الجلاد . وهو حاكم مدينة . فالزنو في الوقت نفسه . والكشلة وهو والي اقليم " بو " والكه يمسه وهو من أكبر أصحاب الالقاب وتناط به ادارة الاقاليم الغربية وكان حكام الاقاليم يساعدهم جيش فيعطون حق هؤلاء الحكام أن يختاروا مختلف رؤساء القرى والقبائل

ولضمان استمرار التأييد الكامل للسلطنة كان من الضروري خلق امارات مركزية ذات سلطان مطلق يربطها بمركز السلطنة اتصالات مستمرة وذلك لضمان السيطرة على أطراف الامبراطورية . كما كان من الضروري ضمان الولاء الكامل

---

(١) Lewis: Islam in tropical Africa P. 24.

(٢) دائرة المعارف الاسلامية : مادة برنو . ص ٨٤ .

للسلطان خوفا من قوة أى من هؤلاء الحكام الاقليميين فى الاستقلال بالاقليم عن السلطان مستقلا نيابة له (١) .

وكان الاسلام سببا فى التقدم الادارى فى البلاد اذ بانتشار الاسلام فتحت المدارس الاسلامية والمعاهد العلمية . وظهرت طبقة متعلمة مثقفة تضم العلماء الذين استطاعوا تنظيم السلطنة على أكمل وجه واستطاعت هذه الطائفة المتعلمة أن تشيع الامن والنظام فى ادارات السلطنة المختلفة .

على أن التقسيم الادارى للبلاد لم يكن ثابتا اذ جاءت أحوال كانت تستدعى أن يحدث تغيير فى هذا التقسيم ذلك أن الحدود لم تكن ثابتة لان السلاطين كانوا يبسطون نفوذهم على بعض القرى والقبائل ومن الطبيعى فان الموقف السياسى يتغير بضم هذه الاجزاء للدولة . وربما كانت هذه المناطق لا تخضع للادارة المباشرة . اذ أن السلاطين ابقوا على رؤسائها وجعلوهم مسئولين امامهم (٢) .

ومهما يكن من نجاح النظام فى برنو . الا انه من الصعب القول كيف كانت تدار دولة برنو . لانه لم نعرف الكثير من نظامها الادارى لانه لم توضع بين ايدينا الوثائق التى تبين النظام والتقسيم الادارى للبلاد التى كانت تسير عليه . الا أنه يمكن القول أن البلاد كانت مقسمة أربعة أقسام وهى الاقليم الشمالى

---

(١) Trimingham, J.S.: The history of islam in west Africa P. 124.

(٢) Trimingham, J.S: Ibid. P. 125.

ومن الإقليم الغربى

ويطلق عليه أســم فوتى Futo ويحكمه حاكم يلقب " جلادما " أى حاكم الاقليم الغربى واسمه أخذ من الاسم المحلى جلاده ، أو رئيس البوليـــس مصر (١) .

وظهرت من كتابات الرحالة الذين زاروا برنو ، فى منتصف القرن التاسع عشر أن البلاد تعانى من ضعف قوتها الدفاعية وأنها لا تملك القوة العسكريـــة الكافية للدفاع عن البلاد ، وأن الوجيه فى البلاد الذى يملك القوة العسكريـــة ويضعها تحت امرته هو حاكم المقاطعات الغربية وأنه كان يشترك فى كثير مـــن الامور بالسلطان وله وضع متميز داخل مجلس الشورى دون سائر حكام الاقاليـــم الاخـــرى (٢) .

والاقليم الشرقى جادن أو جيدى gidin تحت حكم الحاكم الـــذى يلقب ماستريما mastrema ومعنى هذه الكلمة حاكم الزنوة أو حاكم المدينة القديمة فى شرق برنو .

والاقليم الشمالى " يرى " يطلق على حاكمه يريما ، وكانت هناك ألقـــاب باللغة الكانورية تعنيه عن وظيفة حاكم الشمال ، نظرا لأنه كان يقوم بمجهود عظيم واقع فى صد غارات الطوارق والاقليم الجنوبى " اتم " يطلق على حاكمـــه " كجاما " واتم تعنى الاقليم الجنوبية ، وهذا الاسم كان دائما ومتعارفا عليـــه فى لغة البغدا والكانورى (٣) .

---

(١) Palmer,R.: The Bornu Shara and sudan. P. 199.
(٢) Vischer,H.: Across the shara from trops li to Bornu P. 225

وكل المناصب الادارية العليا كانت توزع بين حكام من العائلة المالكة الذين كانوا يستحقون شيئا لولائهم — وكانت برنو كاحدى امبراطوريات السودان الغربي والاوسط تشتمل على نوعين من الاقسام . فالعاصمة برني وأن كان لها محافظ . الا أنها كانت تحكم مباشرة من السلطان لانه كان يقيم بها وبها كل الادارات المركزية ثم الاقطاعيات الواسعة خارج نطاق العاصمة والتي تحكمها الرؤساء المحليين وكانت تدفع الجزية من الانتاج والعبيد .

الا أن بلاد الكانمي كانت تشتمل على مجموعات كثيرة من القبائل التي تحكم عن طريق شيخ القبيلة وقد بقي بعض الحكام والرؤساء حكاما لمقاطعاتهم وأحيانا كانت تضم اليهم اجزاء من الاراضي الجديدة المستولى عليها .

وكان هؤلاء الرؤساء المحليين . يحضرون الى البلاط بناء على اوامر السلطان والمدن والقرى تحت وساطة ما يسمى بالالفا Alifa (١) .

وحكام الاقاليم الاربعة العظام يرأسون كل المقاطعات والمدن والقرى كل حسب حدوده وانه من النادر أن يكون احد هؤلاء الحكام الاربعة العظام من غير ابناء الاسرة المالكة في سلطنة برنو (٢) والذين كانوا يدفعون ربع موارد اقاليمهم كل عام للسلطان (٣) .

---

(١) Trimingham, J.S: A history of Islam in west Africa P. 211.

(٢) Crowder, M.: The story of Nigeria. P. 35.

(٣) دائرة المعارف الاسلامية : مادة برنو ص ٨٥ .

وكان للعرب مشيخات يحكمونها في برنو ، أو ما يعرف باسم الحكومات المحلية وكانت تخضع هذه المجموعات المحلية للعاصمة ، فلقد كان لكل قبيلة شيخ يحكمها ويدبر شئونها ويكون حكم الشيخ مقصورا على قبيلته فقط ، الا أنه يمكن أن تضم المشيخة القبيلة التي يرأسها وحلفاؤها من جميع القبائل ، ويعتبر شيخ القبيلة مسئول عن كل شيء يتعلق بقبيلته ، فلا يستطيع أي شيخ أن يتدخل في أمر قبيلة ليحكمها ، وكان الشيخ مسئولا عن حل الخلافات القبلية بأسلوبه الخاص ، كما أنه مسئول عن جمع الخراج والضرائب ، وما من قبيلة الا وتدفع خراجها وضرائبها لشيخها ثم أن هذا الشيخ مع وزرائه ومستشاريه يأخذون من ذلك المال ما يحتاجون أو حقهم ويبعثون بالباقي الى سلطان برنو ، الذي تدين له البلاد بأسرها بالسمع والطاعة (1) .

الا أن سلطان برنو كانت تتسامح مع العرب وخاصة عرب الشوا نظرا للدور الذي لعبوه في مساعدة برنو في حروبها وفي الانتصار على أعدائها وخاصة البلالة والفلاتة والجوكون ، والرابحيين مشيخة وحكومة بين العرب ، تختلف من مشيخة أو حكومة أخرى فلقد كان من بينهم أصحاب الشورى ولا بيت شيخ العرب

---

(1) ابراهيم صالح بن يونس ، نفس المرجع – ص ٢٦٩ .

في أمر من الامور دون اشارة تصدر اليه من هيئة رجال مجلسه وهؤلاء الرجال يتمتعون بسلطات كبيرة داخل المناطق التي يسري اليها نفوذ شيخ العرب [1] .

وعندما بلغت برنو درجة من الضعف والانهيار قام رؤساء باستعلاء حاكم الاقليم النحوي خلفوا في العاصمة يحصلون على الضرائب ، وترك الضباط الذين كانوا يعينون لحماية الحدود عملهم وتفرغوا لحماية البلاد من اللصوص [2] .

وأيضا فان العلاقات بين الحكومة المركزية في العاصمة وحكام الاقاليم لم تكن دائما على خير وفاق اذ نجد أن حكام الاقاليم كانوا احيانا يدخلون في صراع ونزاع طويل مع السلطان من اجل دفع الضرائب والهدايا والامدادات التي كان يجب على كل حاكم اقليم أن يقدمها للسلطان في حالة الحرب[3] .

وكانت أسوأ فترة في العلاقات بين السلاطين وحكام الاقاليم تلك التي حدثت في عهد السلطان ابراهيم الذي ولي أمور البلاد في آخر عهد الاسرة السيفية ، فقد كانت العلاقة بين حكام الاقاليم والحكومة المركزية تكاد تكون مقطوعة نهائيا ، ذلك لانه كان على حكام الاقاليم المختلفة أن يدفعوا ضريبة أو عبيدا للسلطان والذين كانوا يحصلون عليهم من القبائل المجاورة .

---

(١) ابراهيم صالح بن يونس : نفس المرجع ، ص ٢٧٠ .

(٢) Trimingham, J.S: Op. Cit. P. 210.

(٣) عبد الرحمن زكي : افريقيه الاسلاميه ، ص ١٠٦ .

كذلك كان بعض الحكام كانوا شبه مستقلين عن الحكومة المركزية مثل حكام " كوكو " وكوجـــــين .

ولكن السلطان كان يقوم فى بعض الاحيان بخلع الولاة فى الاقاليم رغم أن الحكم كان فيها وراثيـا فى اسرة معينة ، ويعين حكاما جدد بدل منهم ، اذا لمس منهـــم ميلا قد يؤدى الى سوء الادارة بالاقاليم أو رغبة فى الاستقلال عن الحكومة المركزيـــة فى جوفى العاصمة ، ولا يسير وفق السياسة التى يرسمها السلطان .

ولم يكن لهؤلاء فترة زمنية يتركون بعدها الحكم ، وكان لكل مقاطعة جيشها الخاص وقوات الامن التى تخضع لحاكم الاقليم ، وكان يقودها بنفسه فى حالة الحرب وأيضا عليـه أن يقدم المؤن والذخائر والاموال التى تطلب منه فى حالة كون الدولة فى حالة حــــرب مع الاعداء ، وعلى حكام الاقاليم أن يلبوا مطالب السلطان فى اعداد اقصى امكانياتهـــم للحـــرب .

وكانت قوة السلطان تظهر فى قدرته على تسيير الامور الادارية والتنظيميـــــة الهائلة على أحسن وجه وعلى رضى الشعب وحكام الاقاليم عن حكمـه [1] .

---

(١) نعيم قداح ، الحضارة الاسلامية فى ظل الاســلام ، ص ١١١ .

# * النظـــام المالـــى *

ليس هناك شك فى أن سلطنه برنو كان لها نظام مالى متقدم ، تقوم على اساسه ادارة شئون البلاد ، وأن هذا النظام المالى كان يسير وفق نظـــام دقيق وإشراف مباشر من السلطان على بيت المال وأحيانا يوكل أحد أبنائه أو اخوته للاشـــراف على موارد الدولة المالية وإنما مما لا شك فيه أن هذا النظام كانـــت له سجلات الخاصة ووثائقه المحددة ، لكن تدمير الشيخ عمر ابن محمد الامين الكانمى وحرقه وثائق الاسرة السيفية حال دون معرفة النظام الذى كانت تسير عليـــه البـــلاد (١) .

وكانت الضرائب والجزية هى المصدران الاساسيان لموارد الدولة الماليـــة والتى كان يقوم رؤساء القبائل والقرى بفرضها على المواشى والمزارع ، والتى كـــان يدفع جزء منها الى مندوب السلطان وكانت هذه الضرائب تصل الى خزينة الدولة ، وكانت الاقاليم البعيدة الداخلة تحت سيطرة الدولة ملتزمة بدفع جزية سنويـــة محددة تقدمها للحكومة المركزية مباشرة (٢) .

وكان لكل رئيـــس اقليم أو حاكم ولاية ، أو شيخ قبيلة أو رئيس قريـــة ، شخص مكلف بتأمين جمع الضرائب من الاهالى وبجانبهم اعضاء يقومون بتوزيع الاراضـــى الصالحـة للزراعة على الاهالى ويحلها عليهم حتى يتم تحصيل الضرائب منهـــم .

(١) Barth, H., Op. Cit. Vol 3, P. 39.
(٢) Lebeuf, A., Op. Cit. P. 42.

وبجانب هذه الضرائب كانت توجد ضريبة النوروز والتي فرضتها الحكومة ، وهي السلطة الروحية التي تفرضها وتجبيها ويقوم شعبها الكاشف كل عام بتقديم عشر من حيواناتهم الى الرؤساء كضريبة وفي مناطق الجنوب كان على كل فلاح أن يقدم ما يوازي ٢ كيلو ذرة بيضاء على كل حقل مزروع وذلك لرئيس المقاطعة [1] ويقدم مثل هذا أو ما يعادله لرئيس القرية ، ثم ضريبة خاصة تذهب الى سيد الاقليم وبعض الضرائب الاخرى يدفعها الفلاح نظير الخدمات التي تقدم له مثل توزيع الارض ، والاحتفالات الدينية التي تقام بمناسبة البذر والزراعة ونظير تعويذة الطلاسات التي تصيبهن الرياح [2] .

أما في بعض المناطق وعلى الاخص في الشمال حيث تقتصر الزراعة على ملاك من ناحية الاراضي ، فقد فرض ملاك الاراضي على السكان الذين يباشرون زراعة حقولهم ضريبة ثابتة فالارض تمثل حد حيواناتهم ، وفي الجنوب حيث تنحصر ملكية الارض حيث يقوم الملاك بتأجيرها ، بأسعار مرتفعة وقد أدت هذه الضرائب والاتاوات الى ظهور استغلال الفلاح وسوء استعمال السلطة ومحاولة الاستغلال من جانب الرؤساء وكان السلطان يحصل على الزكاة كل عام على المزروعات والحيوانات ، وكان على كل حي للماشية أن يقدم ثور صغير يبلغ سنتين من العمر عن كل قطيع مكون من ثلاثين رأس [3] .

---

(١) Lebeuf, A.: Op. Cit. P. 42.

(٢) Lebeuf, : ibid. P.P. 42 - 43.

(٣) Lebeuf, A.: Op. Cit. P. 43.

وكانت هناك ضرائب جمركية وضع لها نظام خاص . وهذا الضرائب تأخذ على القوافل التجارية وكانت تشكل مصدر ثروة للسلطان (1) .

وكان رئيس كل قرية أو اقليم يقوم بتحصيل الضرائب في الاسواق وذلك على البضائع التي تعرض للبيع وأيضا فان حكام الاقاليم التي تقع اقاليمهم على الحدود يقومون بتحصيل الاتاوات عند مرور القوافل في اقاليمهم وأيضا وجدت هناك عقوبات وغرامات واتاوات كان يفرضها السلطان في حالة فض المنازعات بين الاطراف المتنازعة وكانت تعود هذه الاموال الى خزينة الدولة . كما أن الدولة كانت تستولى مستودعات لخزن الضرائب العينية كالقماش والسيوف والسروج والحبوب والمواشي وغيرها من الاشياء التي ترد الى خزينة الدولة . وأيضا حظائر ليسكن فيها العبيد الذين كانت تحصل عليهم الدولة عن طريق الجزية أو القهر والاسر (2) .

والغزوات التي كان يقوم بها السلطان أو حكام الاقاليم على البلاد المجاورة تشكل مصدرا هاما للدولة ودخلا اقتصاديا هاما ذلك أن السلطان أو الامير أو الملك المغلوب كان يقدم كل ثروته لمصلحة الغالب . وكان دخل برنو الرئيسي

---

(1) نعيم قداح : نفس المرجع . ص ١٢٠ .

(2) Ahmed Ibn Furtuas OP. Cit P. 24.

بحكمه على ما يعود على البلاد من بيع الرقيـــق وكان رأس الخيل من جهة برنو يشترون في كل موسم جلبات بالاغارة على سكان الجنوب للحصول على الرقيق الذى كان يتم تبادله بالخيل التى تصل الى برنو من الشمال على يد التجار البربر (١).

وعندما تكون الدولة قوية فإن مصدرها من الضرائب والجزية والزكاة يكون كبيـــرا أما في حالــة ضعف الدولة فان هذه الموارد تقــــل .

وكانت صادرات البلاد تعتبر مصدرا للدخل القومي لبرنو على أنه كان هناك اختلاف بين الجزية والضرائب . فقد كانت الجزية تؤدى على نطاق واســـــع الى النهاية من حكـــام البلاد التى تخضع للسلطان . أما الضرائـــب فكانت تدفع الى رؤساء القرى ومنهم الى رؤساء الدوائر الى حكام الاقاليم وأخيرا الى السلطان . وذلك بعد أن يأخذ كل من هؤلاء نصيبه من هذه الضرائب (٢) وكانت تجارة الرقيـــق من أهم موارد تمويل الحروب في عهد السلطان ادريس الوما بالاضافة الى أن السلطان ادريس فرض على القبائل التى ضمها الى الامبراطورية برنو . أن تدفع الى مثل السلطان بعض مواردها الاقتصاديـــة

---

(١) Oliver,R.: The dawn of African history,P. 64.

(٢) Trimingham,J.S.: OP. Cit. P. 125.

كل عام وكان هذا مصدر من مصادر ثروة السلطـــــان والبـــلاد (١) .

وحاول السلطان ادريس الوما أن يضع نظاما لتحصيل الضرائب قائـــم على الشريعة الاسلاميـــة ومبادئها وفقا للمذهب المالكي السائد فـــي البلاد وللنظم الاسلامية السائدة في البلاد الاسلامية الاخرى . وهي الزكاة والخراج والجزية . وقد حل الخراج محل الضريبة التي كانت تجمع بواسطـــة رؤساء القرى والتي لم تكن محددة الكمية والمقدار وكانت الاقاليم التي تقــــع جنوب بحيرة تشاد تدفع الجزيـــة للسلطـــان (٢) وعلى كل حال كان اقتصاد تلك البلاد خلال العصــــر الوسطى قائما على الاكتفاء الذاتي والاستهلاك سواء أكان زراعيا أو صناعيـــــا بدائيا . فالم يهدف الاستثمار والتجـــــارة فلم تكن هناك صناعات راقية متقدمـــة مثلما كانت توجد في مصر ودول الشمال الافريقي ولا تعدت التجارة التي لعبت دورا هاما في المقايضة عن العمــــود الفقـــري الاقتصادي للبلاد .

ولم يكن في البلاد نظام نقدي معين يتعامل به أفراد الشعب الا أن القلقشندي يذكر أن معاملة هذه المملكة وهي الامبراطورية القديمـــة

---

(١) Ahmed ibn Fartuaa OP. Cit. P. 20.
(٢) Trimingham, J.S.: OP. Cit. P. 211.

التي كانت تستعمل كانم - برنو - عبارة قطعة من النسيج أحمد ندى طول كل ثوب عشرة اذرع أو اكثر وأنهم يتعاملون بالودع والخرز والنحاس المكسور والورق ، ولكنها جميعا تيسر بسعر القاضي (1) .

ليو الافريقي الحسن الوزان

ويذكر ليون أنه توجد في برنو عملة نحاسية صغيرة لها قيمة نقدية صغيرة وهي التي يتعامل بها القوم ، ويستخدم الذهب أيضا في التعامل ولكن استخدامه في النهاية أكثر من استخدامه في التبادل والمعاملة (2) وأن تجار الشمال الافريقي الذين كانوا يتاجرون مع برنو كانوا يرفضون ، أن يتقاضوا أي شيء نظير تجارتهم الا أن يأخذوا العبيد ، ذلك لان تجارة العبيد في برنو ، أصبحت هي العملة الرئيسية في البلاد (3) .

ويمكن القول أن العملة المصرية والمغربية والتركية ، قد وصلت الى تلك الديار عن طريق التجار الذين كانوا يتاجرون معها وأيضا مع الحجاج الذين كانوا يمرون ببلاد مصر وشمال افريقيا في طريقهم الى الاراضي المقدسة في الحجاز ولكنها لم تكن عملة متداولة بين عامة الشعب ولكن ربما تكون أستخدمت في شراء بعض الاشياء الثمينة لافراد الاسرة المالكة .

---

(1) القلقشندى : صبح الاعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٨٠ .

(2) Lyon, G. Travels in northern Africa P. 150.

(3) Bevill, E.: The golden of Moors. P. 242.

ويذكر بارث أنه لا توجد عندهم عملة يتم بها البيع والشراء ولكن قد تكون هناك عملة محلية وهي عبارة عن قطع من النحاس ولكن الشخص نفسه قد شاهد بارث افراد العصبة يعطون ابلهم ثمنا منهم . وكان الثوب من القطن يستخدم كوسيلة للتعامل أثناء الاحياء الهامة والحقراء والتي لا يستطيع أحد أن يفكر فيها في البيع والشراء . ولكن في عواء الاحياء الكبيرة كان هناك أنواع كثيرة من الاثواب تستخدم لتقدير قيمتها وإن كان لا يزال يجري في التداول بين القوم الدولار النمساوي (١) .

---

(١) Barth, H.: OP. Cit. vol .3, P. 55.

## (د ـ النظـــام الحربـــي)

كان الجيش أحد العوامل الرئيسية في مجتمع برنو ، وكان له دورا نشيطا في الحياة العامة للبلاد ذلك لانه كان جيشا اقطاعيا ولم يكن جيشا ثابتا في كل العصور ، بل كان يتعرض للزيادة والنقص ، رغم أنه كان يأخذ الاهتمام الاول من السلاطين الاقوياء في برنو ، والذين كانوا يعملون على رفعة شأن امبراطوريتهم كان السلطان على غازى ، الذى وضع اللبنة الاولى لقوة السلطنة عمل كل مـــا في وسعـــه لتقويـــة الجيش وتم بشراء الخيول من افريقيا الشمالية ، وبذلك لكـــى يمضى في طريقه الى جهاد قبائل البولالا التى تسكن بلاد الكانم ثانيا ولكى يوسع حدود بلاده ويستولى على المناطق التى تشكل خطر على برنو .

وهذا الجيش القوى جعل برنو في عهد السلطان على غازى البحث فـــي وضع يؤهلها للدفاع عن النفس فحســـب ، وانما جعل برنو تلعب دورا يشبه الدور الذى تلعبه الامبراطوريات الكبيرة في شمال افريقيا وآسيا في أوروبا الوسطى (1) .

ولقد تعرض هذا الجيش للاهمال في عهد السلاطين الضعفاء ، لكن جيش برنو في أحد فتراتها التاريخية كان مؤلفا من ٢٥ الف مقاتل من الرماة والفرســـان والمشاة وعليهـــــم من الدروع الواقيـــة ، وكان الجيش مجهزا جيدا من الرقيـــق

---

(1) ابراهيم صالح بن يونس : نفس المرجع ، ص ٨٠ ـ ٨٢ .

وعبيده وأولاده ملكا للسلطان ، والسلطان هو القائد الاعلى العسكري للبلاد [1] وبالاضافة الى هؤلاء المرتزقه ، كان الجيش يتكون من عناصر اساسية من قبيلة السلطان ومن القبائل التي تدخل في خدمته . وكان لبرنو فرقا من الحرس تجوب الصحراء لنشر الامن وتحافظ على سلامة القوافل التجارية عبر الصحراء .

وكان الجيش موزعا الى فرق تقيم في المقاطعات فلكل حاكم فرقة من الجيش يقودها بنفسه في الحرب وتساعد على اقرار الامن في اقليمه . وكان جيش برنو من القوة في بعض الاحيان بحيث استطاع أن يصد هجمات الاعداء وأن يفرض طاعة السلطان على كثير من الانحاء .

وقد تطور الجيش في برنو تطورا متناسبا مع اتساع السلطنة وتقدمها المطرد في ميدان الحضارة وكان نظام الرتب العسكرية معروفا في هذا الجيش اذ نجد انه كان يوجد كل فرقة قائد ثم مجموعة قواد الجيش وهؤلاء كانوا ينتمون الى طبقات مختلفة وصل بعضهم الى مناصب عالية بفضل شجاعتهم في ميدان القتال [2] وكان هذا الجيش يضم فرقا من الفرسان يقاتلون في الحروب بدروع حديديه ويركبون خيولا باهظة الثمن كان السلاطين يشترونها من الشمال الافريقي وكانت حياة الحصان في ذلك الاقليم محفوفه بالمخاطر والمهالك بسبب عدم استعداد الخيل لاحتمال الحرارة الشديدة [3]

---

(١) نعيم قداح : نفس المرجع ، ص ٨١ .

(٢) Barth, H.: Op. Cit. P. 593.

(٣) Barth, H.: Op. Cit. Vol. 5, P. 594.

على أن الدروع الحديدية لم تكن منتشرة كثيرا بين الجنود ، وكانت خاصة بالامراء والقواد وكان التجهيز من الدروع وصمة عار في الحرب ، وكانت شدة الحر في هذا الاقليم سببا في عدم انتشار هذه الدروع (١) .

وهناك اسلحة من الحديد هي الرماح والتروس ، وهي من صنع محلي وكان الجنود يستخدمون اتيانا منتوعة من الحديد الذي يوجد في جبال باندرا .

وكان للسلطان رجال موسيقى من افراد الجيش لهم صفة أشخاص يحملون الابواق التي طولها ١٠ أقدام وهي آلة خاصة بالبلاط الملكي ، وهم يصحبون بالسلطان في الحملات وفي ميدان القتال (٢) .

واستورد السلطان ادريس الوما الاسلحة النارية كالبنادق والمدافع النارية والذخائر الخاصة بها وكانت هذه الالات الحديثة تأتي من مصر ومن شمال افريقيا بالاضافة الى أنه كان يوجد في جيشه عددا من الجنود والضباط الاتراك والطرابلسيين الذين استخدمهم كخبراء لتدريب بعض افراد جيشه على استخدام الاسلحة النارية الحديثة (٣) .

وبالاضافة الى حملة الاسلحة النارية ، والفرسان ، كان الجيش يضم فرقا من المشاة ، والذين كانوا يمثلون قسما كبيرا من الجيش وهي تحمل

---

(١) نعوم شقير ، نفس المرجع ، ص ١١٢ .

(٢) Denham and Clappertons OP. Cit. P. 324.

(٣) أنظر ص ٢٦ .

القسي . ومن العبيد كان يخدم في خدمة الجيش ، وقد اشتهرت بشجاعـــة أفرادها وعنفهم وهؤلاء هم الفداشيون وكاتب الاستعلام وكان جيش برنو يعرف في بلاد السودان بالجيش الذي لا يقهر .

والسلطان يحاط بحرس يتكون من العبيد من العائلة المالكة وكذا أمير فـــن أمراء الأسرة حرس خاص به من العبيد بالعشرين ، والأفراد الحرس الذي خاصـــة في مدح السلطان يقدرونها ، بالاضافة الى استعمال الآلات الموسيقية والطبـــول لاثارة حماس المحاربين من الجنود ، والفرقة الموسيقية مهمة خاصة عند السلطان (1) وذكر بارث أن السلطان له حرس خاص مكون من أربعين خيالا يحيطون بـــه ويكون منهم عشرون على يمينه وعشرون على يساره (2) .

في فترات متأخرة من تاريخ امبراطورية برنو كان السلطان كان تحت امرته جيش يتكون من العبيد وآلافا من الفرسان المسلحين بالرماح ؛ ومن الرمـــاة وحملة السهام الذين يحملون الدروع وعلى رؤوسهم خوذات حديدية ، كمـــا تحمي خيولهم أثوبة مبطنة سميكـــة .

ويعرف الضباط الذين يتحدرون من العبيد باسم الكشلة ، ويعـــرف رئيس الرماة باسم الكيكمـــة ، وكل فرقة من مائة مقاتل من حملة الرماح رئيس يعرف بالقلاقـــة (3) .

---

(1) نسيم مقداح : نفس المرجع ، ص ١١٣ .

(2) Barth,H.: OP. Cit. P. 592.

(3) دائرة المعارف الاسلامية : مادة برنو ، ص ٥٨٥ .

وإلى جانب هذه الجنود النظامية ، كان يستخدم أيضاً قبائل الشوا العربيـة التي تقيم في برنو والذين كان يجب عليهم أن يقوموا بالخدمة العسكرية زمن الحرب

وقد عقد السلطان ادريس الوما اتفاقية معاهدة للدفاع بينه وبين العرب في غرب البلاد ، وحدث بينهم حرب يقودها ضابط من نفس العرب وذلك لحرب البلالة بقيادة زعيمهم عبد الجليل من الصحراء ، وبعد معارك عنيفة ومتكررة تم القضاء على عبد الجليل سلطان البلالة وكان الفضل في هذا الانتصار يرجع للعرب ، وبعد أن أعلن السلطان ادريس الوما ، محمد بن عبد الله سلطاناً على كانم فإنه جعل السلطة بأيدي العرب ، لأنه على علم بالبلاد أيضاً ، وبدأ العرب بالتمركز رغبة في تلك الحكومة تقديراً لخدماتهم العسكرية للسلطان (١) .

وفي حالة الحرب فإن السلاطين كانوا يستعينون بهذه العصابات ويقدمونها للحرب ولم تكن للجنود النظامية رواتب ثابتة سنوية أو شهرية بل كانوا يمنحون أرضاً يعيشون من غلتها ومن هنا كان برنو كانت تستطيع في أوقات الحرب أن تجهز جيشاً يتراوح بين ١٥ الف ، ٣٠ الف جندي مزوداً من الفرسان والأسلحة النارية من الجيش التركي تجعله دائماً متفوقاً على

---

(١) ابراهيم صالح بن يونس ، نفس المرجع ، ص ٢٧٢ .

شعوب السودان والتي لا تضارع برنو في المجال العسكري [1] ومع امتلاك جيش برنو للاسلحة الحديثة فانهم كانوا قادرين على صنع البارود الجيد [2] .

وكان جيش برنو وفقا لما أشار به الرحالة الذين زاروا البلاد تحت قيادة كاجاما Kikgamo أو جنرال أوسمو Alasomo وهذا الجيش هو السند الاساسي لقوة وعظمة السلطان ، إذ نجد أن قوة السلطان وعظمته واحترام الشعوب المجاورة له ولبلاده كثيرا ما يعتمد على ما وصل اليه جيشه من قوة ، ذلك ان هذا الجيش كان يختلف عن بقية الجيوش السودانية ، لانه كان يمتاز بالقوة والنشاط والتسليح الجيد [3] .

على أنه مهما يكن من حالة الجيش في برنو ، فانه لم يكن أبدا في عزلة عن الاحداث التي تجري في العالم الاسلامي بل كان دائما جيشا مستعدا للجهاد في سبيل الاسلام ولعله مما يشرف هذا الجيش أنه قد عملت بعض وحداته مع جنود الولايات الاسلامية في اقليم الاندلس واشتراكه في محاربة الفرنجة في الصراع الدائر بين المسلمين والمسيحيين في تلك البلاد [4] .

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية : مادة برنو ، ص ٢٨٥ .

(٢) Lyon, G.: OP. Cit. P. 15.

(٣) Crowder, M.: The story of Nigeria P. 55.

(٤) الناظر بحميلي : نفس المرجع ، ص ٤٢٣ .

بل أكثر من ذلك كان جيش برنو في عهد السلطان ادريس الوما ، هو السبب لمساعدة شعب سنغاي وحمايته من كفاحه ضد الغزو المراكشي القادم من الشمال والذي استطاع أن يقهر سنغاي ويسيطر عليها في عام ١٥٩١ م[1] .

وكان جيش برنو مضرب الشجاعة والفداء والاقدام لانه كان يضم بين صفوفه قبائل التبو والتيدا وكان هؤلاء القوم ذوي بأس شديد في القتال ، حتى انهم كانوا في القرن السادس عشر يؤلفون نسبة كبيرة جدا من القوى العسكرية لسلطنة برنو من اسلحتهم التي كانوا يستخدمونها في القتال ضد اعداء البلاد المكسين الراكضة[2] .

بالاضافة الى جيش برنو كان يضم بين صفوفه خيرة القواد المحنكين والذين كان لهم صيت رائع في السودان الغربي[3] .

وكان لاستخدام البنادق التي كانت مجهولة في السودان الغربي ، أثر كبير في هذه الفتوحات ، اذ نجد أن الخطة العسكرية لهذه القوات والتي استطاعت أن توسع حدود برنو في عهد السلطان ادريس الوما هو الامتناع عن استخدام الاسلحة النارية في أول المعركة مع العدو ، وكان القتال يتم بالسلاح التقليدي

---

(١) عبد الرحمن زكي : الاسلام والمسلمون في غرب افريقيا ، ص ٢٩ .
(٢) انفس ص ٢
(٣) Gerwis,P., of saints and pagans. P. 74.

المعروف في ذلك الوقت ، حتى اذا حمى وطيس المعركة صدرت الاوامر للجنود الحاملين للبنادق فيطلقون طلقة رجل واحد فلا يسع العدو الا أن يولى دبره مذعورا مندحرا تاركا وراءه مئات القتلى والجرحى [1] .

الا أن هذا الجيش القوى بلغ مرحلة من الضعف في عهد السلطان علي بن عمر ( ١٦٤٥ – ١٦٨٤ م ) حتى طمع في البلاد كل الاعداء المحيطين ببرنو فالطوارق قاموا بالهجوم من الشمال ، والجوكون من الجنوب ، وتقدمت قواتهما حتى حاصروا العاصمة برنى ، الا أن الله كفى السلطان وشعبه شرهما اذ اوقع السلطان الايقاع بينهما وبذلك أنقذ بلاده منهما [2] .

وكان السلطان ادريس الوما أقوى السلاطين الذين حكموا برنو ذلك أن جيشه كان واسع الصيت في بلاد السودان الاوسط والغربي لانه استطاع أن يحقق انتصارات عظيمة على كل اعدائه وأن يقهر كل من حاول أن يتحدى قواته [3] ولم تكن هذه الانتصارات تتم الا بفضل الجهود العظيمة التي قام بها السلطان ادريس لبناء هذا الجيش وأيضا لقيام السلطان ببناء سور كبير للعاصمة وجعل بهذا السور اربعة أبواب وضع على كل باب حارس مزود بالاسلحة الحديثة وكان

---

(١) على ابوبكر : نفس المرجع ، ص ٣٤

(٢) أنظر ، ص ٣٨ .

(٣) Murdock, G.: Africa, its people and their culture history P. 139.

بناء منازل للجنود واسطبلات للخيول بالاضافة الى أن الجيش كان معه معدات كثيرة بجانب المعدات العسكرية والتى كان يستخدمها فى قطع الاشجار التى يختبئ فيها الوثنيون حتى لا يجدوا مكانا يختبئون فيه (١) .

وهو الجيش الذى وسع حدود برنو حتى وصلت الى فزان شمالا والى ادماوا جنوبا والى دارفور شرقا وأخضع بلادا وقبائل متعددة . وهو الجيش الذى وقف ضد مطامع سلطان فى مد نفوذها على امارات الهوسا . والذى قاتل حاكم كيسى بعد أن أعلن استقلاله من سلطان واستطاع أن يقلص نفوذه ويمنعه من التوسع شرقا (٢) .

وهو الجيش الذى أوقف زحف الفلاته الجارف واستطاع أن يحرر بلاده من سيطرتهم وهو الجيش الذى كان يزحف الى الجنوب ضد القبائل الوثنية عاملا على نشر الاسلام بين تلك القبائل .

كذلك كان هذا الجيش كان يملك اعدادا كثيرة من القوارب النهرية التى كان يستخدمها فى نقل الجنود والعتاد الحربى فى حالة الحرب . وكانت هذه القوارب عاملا هاما فى الحرب . فقد استخدمت فى أعمال الحراسة ومراقبة القوافل التجارية التى تنتقل عبر بحيرة تشاد أو عبر الانهار الداخلية واستخدمت فى أكثر الاحيان فى جزر البحيرة فى فض النزاع الذى كان ينشب بين سكان

---

(١) Ahmed ibn Fartua: OP. Cit. P.P. 15 - 16.

(٢) Barth,H.: OP. Cit. P. 595.

الجزر الصغيرة أو الذين يعيشون على شواطئ بحيرة تشاد .

وكان للسلطان ادريس ألوما الفضل الاكبر في تطوير هذه القوارب ، اذ كان السكان قبل عهده يستخدمون قطعا من الخشب مجوفة أو غير مجوفة في عبور النهر (١) ولكن السلطان ادريس ألوما ، لما اراد أن يعبر النهر الى الاعداء فان ذلك كان يستغرق منه يومين أو ثلاثة أيام وأن مثل هذا النوع من القوارب لا يصلح لكي يحمل معه أعدادا كبيرة من الجنود ومن هنا فانه قد أمر بصناعة قوارب كبيرة وذلك لكي يتم العبور في أسرع فترة ممكنة ولكي يتم شحن هذه القوارب بأعداد كثيرة من المعدات اللازمة للقتال (٢) .

والذي لا شك فيه أنه قام باستحضار أقوام من خارج برنو للقيام بإنشاء هذه القوارب التي ربما شاهد مثلها في مصر أو عبر بها البحر في طريقه لتأدية فريضة الحج .

وبهذه القوارب استطاع مهاجمة قوارب قبائل بودوما Buddūma سكان جزر البحيرة ، بل أنه أمر رجاله بإغراق قواربهم بمجرد رؤيتها وقطع الطريق المؤدية إليهم ومداومة الهجوم عليهم (٣) .

---

(١) كان يطلق على هذه القوارب جاجاوا Gagawa وذلك بلغة أهل برنو .

(٢) Ahmed ibn Fartua. OP. Cit. P. 33.

(٣) Barth,H.: OP. Cit. P. 596.

## (( النظام القضـــــائي ))

لم يكن القضاء في برنو منفصلا عن أحكام الدين الاسلامي بل أن تطبيــق أحكام القضاء كان أثره من آثار انتشار الاسلام واتساع الاسلامية في تلـــــك البقاع من القارة الافريقية .

وقد تطور القضاء في برنو بعد أن نشأت المدن التجارية وكثرت المعامـــــلات بين الافراد . وازداد دخول التوفي الدين الاسلامي الحنيف . وبعـــــد أن وجدت المساجد ونشر الدين والفقهاء القادمين من مصر وتطوان اليهـــــا الى تلك الديار الاسلامية . ففي بداية الامر كان رؤساء القرى هم الذيـــــن يحكمون بين الناس وكانت سلطتهم أكبر من سلطات القضاة المسلمين [1] .

وكان القاضي يقيم في العاصمة برنو ويكون هناك قضاة أقل في المرتبة فـــــي المدن الكبرى للبلاد وكانت المحكمة الملكية برئاسة السلطان والثانية محكمة القاضـــي والذي يعينه السلطان وهو الذي يختص بالنظر في الجرائم العامة والجنح والخلافات بين المواطنين . ويشترط في القاضي أن يكون فقيها متحليا بالنزاهة والــــورع ولم يكن يتوافر شرط العلم والتعلم في بادئ الامر عند تعيين القاضي لذلك كان القضاة من العرب [2] .

وقد أثر المسلمون والفقهاء الذين تعلموا في القاهرة وطرابلس وتونـــــس وكان لكل قسم منهم في القضاء وفي الخطابة وإمامة المساجد . ولم يكـــــن أحد

(1) Lebuef, A. : OP. Cit. 43.

(2) ... ، ج ١٢ ، ص ١١١ .

يحتل منصب القضاء أن لم يكن اهلا له ، خوفا من غضب الله ، ويعتبر بيت القاضي حرما كالمسجد يلتجيء اليه أحيانا بعض المجرمين خوفا من السلطان وبطشه ، وكان السلطان يحترمهم .

وكان القانون الشرعي المطبق في برنو قانون مبني على ما يستمد من الشريعة الاسلامية (١) ويسير القضاء في الفصل في المنازعات على هذا القانون ، فنجد أن عقابهم في القتل هو أن يعاقب القاتل بالقتل وفقا لنص الشريعة الاسلامية وفقا لما ذكره القلقشندي عن العدل في برنو بقوله " أن العدل قائم في بلادهم وهم يتمذهبون بمذهب الامام مالك (٢) .

ومن ذلك نرى أن القضاة كانوا يتحرون العدالة في اصدار الاحكام ، وكان لكل مواطن في برنو أخذ حقه أمام القضاء ، وكان الزعيم الديني يعرف باسم القاضي وفي برنو كان يوجد امامان أحدهما هو الامام الاكبر والثاني هو الامام الاصغر ويبدو أن هذين الشخصين كانا يحافظان على كل منهما دقيقا لوظيفته في المنصب القضائي (٣) .

وليس أدل على تطبيق الشريعة الاسلامية في برنو وسير القضاء والعدل وفقا لما جاء في القرآن الكريم والسنة وأخذا بتفسير المذهب المالكي ، من ذلك أن وجد

---

(١) Denham and clopperton, OP. Cit. P. 325.

(٢) القلقشندي : صبح الاعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٨ .

Trimingham, J.S. : A History of islam in west Africa P.2[illegible]

أحد
السلاطين من سلاطين برنو قتل سارق كان له سرقه ، وتخطى بذلك التعاليم الاسلامية ونص القرآن جهد وأنه لم يكن متعمقا في المسائل الدينية والتشريعية وجهل ما جاء في القرآن الكريم . أو خضع لظروف حالت دون تنفيذ نص القرآن . فما كان من الام الملكة الا أن حجبت هذا السلطان "برنو" لانه أخطأ في تنفيذ أوامر الله تعالى (1) ، وقالت له ، قال تعالى في كتابه العزيز السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما . وليس قتلهما .

وكانت الاحكام تصدر في فترة قصيرة وعندما تكون هذه الاحكام متعلقة بجماعة الشعب يعلن القرار على الملأ ويتراوح العقوبة بين السجن أو الجلد أو الموت أو مصادرة أموال الجاني . أما الجرائم الجنائية فهي من اختصاص المحكمة السلطانية التي تعقد برئاسة الثاني . لقد حكم أحد السلاطين في برنو بنفسه على السجين أمير كيا في مؤامرة تحققت [illegible] مع دونكيو في الجناية وقد تصل الاحكام الى درجة قاسية (2) .

وبالنسبة للحقوق الملكية فانه يبدو أن السلطان هو المالك الوحيد للأرض .

---

(1) على ابوبكر : نفس المرجع ، ص ٢٩ .

(2) نعيم قداح : نفس المرجع ، ص ١١٢ .

وكان رؤساء القبائل الذين توزع عليهم الارض من قبل السلطان يقومـــون بالحصول على محصولها ويقوم الفلاحون بالعمل بها نظير الاجر .

ولقد تغير الوضع بعد ذلك عندما انتقلت الاسرة المالكة بشعبها الــى برنو فكان رئيس العائلة له الحق فى التصرف فى أراضيه بالبيع أو التنازل عنهــا وذلك عملا بنص القرآن فى حق الملكية وأصبحت الارض تورث (١) .

وأما ملكية المواشى فقد كانت ملكية فردية وكانت الحيوانات تورث وفقــا لنص القرآن والشريعة الاسلامية فاذا ورث شخصين حيوان واحد ففى هذه الحالـة اذا كان الحيوان يركب فيستعملها كل منهما فترة متساوية . أما اذا كان ذكـر فيتم بيعه ويقسم الثمن مناصفة . أما اذا كانت انثى فيحتفظ بها وتكون ملك الاثنين وفى معظم الاوقات كانت حيوانات القطيع الواحد لعدة ملاك يحاولون حمايتهـــا من السرقة ولامراض وكانت الحراسة هى عمل بعض الرعاة يحصلون على أجر من الغنم نظير تلك الحراســـة (٢) .

أما العقود المتداولة بين افراد الشعب فهى مسجلة على النحو الشرعى للاســـلام وكان كتاب الله وسنة رسوله ومذهب الامام مالك هو هديهم فـــى تطبيق كل أمر من أمورهـــم (٣) .

---

(١) Lebuef,A.: OP. Cit. P. 43.

(٢) Lebuef,A.: ibid. P. 44.

(٣) Hodgkin,T.: OP. Cit. P. 27.

وكان البيع الوقتى هو المتعارف عليه ويتم الاتفاق امام اثنين من الشهود . وكانت المهلة تتراوح بين خمسة عشر يوما وخمسين يوما (١) .

وقد حدث تطور هام . فى أمر القضاء فى عهد السلطان ادريس الوما وأيضا فى نظام الشورى . اذ نجد أنه عمل على نقل السلطة القضائية فى الامور التى تخص الامة من سلطة زعماء القبائل الى سلطة القاضي وذلك وفقا لما جاء فى القرآن والسنة ووضع كل الامور المتعلقة بالامة من ناحية القضاء والشرع فى أيديهم (٢) .

وعمل على أن يجعل العدل نبراسا لامة برنو وحض السكان على أن يضعوا أمورهم فى ذمة العلماء والقضاة لا ذمة الزعماء وأن يتصفوا بالعدل والتسامح والاخاء وأرغم الشعب على استعمال المكاييل والموازين المعترف عليها حتى لا يقوم التجار بابتزاز أموال الاهالى أو ارهاقهم بانقاص الكيل والميزان (٣) .

وجاء السلاطين من بعده يعملوا على أن تكون الزعامة الدينية دائما فى أيدى اشخاص يكونون فى خدمتهم ويثقون فى نزاهتهم (٤) .

---

(١) Lebeuf, A.: OP. Cit. P. 44.

(٢) Ahmed ibn Fartua.: OP. Cit. P. 20.

(٣) عبد الرحمن زكى : الاسلام والمسلمون فى غرب افريقيا . ص ٧٨ .

(٤) Encyclopdia of Islam Art. Kanem P. 721.

وكان ابن السلطان ادريس الوما . السلطان محمد بن ادريس قد ولى السلطنة بعد مقتل أبيه . فعمل على تحكيم الكتاب والسنة فى كل أمور البلاد وتحرى الدقة فى كل الاحكام التى كانت تصدر . وعمل على رعاية أحوال المواطنين وقيام القضاء بتحرى الدقة والعدل فى أصدار الاحكام فحسنت سيرته حتى لا يكاد أحد فى فترة حكمه يذكر سوء جهرا وقد وصف من أجراء اعماله وعدالته بالقدوة والاحسان والورع والتفقه فى امور الدين الاسلامى (١) .

وقد أعطى لنا بالمر كثيرا من المواقف التى كان السلاطين يأخذون فيها رأى العلماء والقضاء فى بعض المسائل الفقهية التى تعترضهم عند تطبيق حكم فى أحدى المسائل الشائكة فقد كان الفصل فيها للقرآن . وان لم يكن هناك نصا صريحا فانهم يلجأون الى كتب التفسير والاحاديث (٢) . وكانت السلطات الحاكمة فى برنو تعمل من جانبها على أخذ القصاص وذلك لكى تمنع عادة الاخذ بالثأر بين القبائل التى تقيم فى البلاد وخاصة القبائل العربية . وكانت بعض المشاكل تعرض على القضاء . ولكن المشاكل البسيطة لم يكن يستدعى الامر عرضها على القضاء . بل كانت تحل وفقا للتقاليد السائدة فى البلاد مع مراعاة ما

(١) ابراهيم بن صالح : نفس المرجع السابق . ص ٩٢ .

(٢) Palmer,R.: The Borno Shera and sudan P. 53.

(٣)

جاء فى القرآن عند اصـدار الاحكام (١) .

وبالنسبة للرقيق فانه طبقا للقضاء المحلى فى البلاد فانه كان يحـق للعبد أن يصبح حرا ، اذا دفع ثمنه لسيده ، وبعد ذلك فانه لم يعد عبدا أو يباع ولـه الحق فى التمتع بحريته وكان السادة يقومون باعتاق اعداد كبيرة من الرقيق ، وكانت هذه الامور منتشرة فى البلاد ، وخاصة فى الاقاليم التى يسكن فيها قوم مسلمون متمسكون بكل التعاليم الاسلامية مطبقون للشريعة الاسلامية تطبيقا صحيحـا فى أمورهم الدنيويـة (٢) .

أما بالنسبة للارث فانه عند موت الاب يقوم الابن الاكبر بادارة املاكـه ، أما اذا كان صغيرا جدا فيقوم بذلك أحد اعمامه حتى يوم التقسيم ويتم ذلك فـى مجلس العائلة ويذهب العشر الى رئيس القبيلة ( العائلة ) والباقى يقسم بيـن الابناء ويأخذ الاولاد ضعف البنات وذلك تطبيقا لنص الشريعة الاسلامية التى تنص على ذلك .

أما بالنسبة للارامل فانها تبقى فى منزل المتوفى لمدة عام ، وبعد هـذه الفترة فانها اذا لم تتزوج مرة أخرى من إحد افراد العائلة فانها تعود الى منزل ابيها واذا كان الشخص المتوفى لم يترك ابناء فان اخته وأخواته يرثونه وعندمـا

---

Anderson, J.A.: Islamic law in Africa. P. 207. (١)

Trimingham, J. S.: Islam in West Africa P. 134. (٢)

~~Encyclopodia o f islam. Art. kanem. P. 721.~~ (3)

وعندما تتوفى الزوجه يرث الزوج الماشية وترث بناتها الجواهـر والملابـس [1] .

وكان يوجد فى العاصمة برنى عاصمة البلاد دارا للقضاء يقوم القاضـي بعقد مجلسه فيها للنظر فى أمور الرعية وحل الخلافات بين افراد الشعب [٢] ، ومما لا شك فيه أن هذه الدار كانت تحوى مجموعة من الوثائق والقوانين والقضايـا التى كان يصدرها القضاء وأيضا نماذج لبعض الاحكام التى كانوا يصدرونها .

وفى كل فترات التاريخ فى برنو كان رجال القضاء كانوا يتمتعون بمكانة عاليـه وكان يأخذ رأيهم فى كل الامور والمسائل التى تمس أمن ومصلحة البلاد وفى حالـة اعلان الحرب على الاعداء وليس أدل على ذلك من أن السلطان عمر بن ادريـس الذى واجه الخطر الشديد لهجوم البلاله على كانم ، حيث رأى أنه لا قبل لـه بمقاومة هذا الزحف الجارف فانه عقد مجلسه وكان من بين الذين دعاهم لاخـذ مشورتهم الامام الاكبر قاضى القضاه ، والذى اشار عليه بمغادرة هذا المكـان والالتجاء الى مكان آخر لان شمس كانم قد غربت فى هذا المكان ولا بد مـن الرحيـل [٣] .

---

(١) Lebuf, P.: OP. Cit. P. 44

(٢) Denham and clapperton: OP. Cit. P. 368.

(٣) انظر ، ص ٧ .

كذلك فان السلطان على بن غازى بعد أن اسس العاصمة برنى لكى تكون مقرا لحكم الامبراطورية الاخذة فى التوسع ، فانه نصب الشيخ عمر إماما لكى يكون إماما للبلاد وذلك لكى يقوم بالحكم والنظر فى كل الامور التى تخص الرعية وفقا للشريعة الاسلامية وقام الامام الاكبر قاضى القضاة بهذه المهمة على خير وجه ، فكان يصدر القوانين السليمة والصحيحة وقام السلطان على بنفسه بتنفيذ هذه القوانين التى كان يصدرها الشيخ عمر [1] .

وأيضا فان السلطان ادريس الوما اتخذ اماما وقاضيا للبلاد كان من جمهرة الائمة الذين اشتهروا فى تاريخ برنو ، ذلك هو الامام احمد بن فرطو ، والذى له كان له الفضل فى تدوين بعض النواحى السياسية والتاريخية فى برنو ، والذى يرجع نسب اصله الى محمد بن مانى أول من ادخل الديانة الاسلامية فى البلاد ، وكان السلطان ادريس يشركه فى الامور الهامة التى تخص مصالح برنو ، وكان يصحبه معه فى كل غزواته التى كان يقوم بها ضد اعداء برنو [2] .

١٤٢

وكان القضاء فى عهده شديد التمسك بالكتاب والسنة ، شديد الكراهية لاهل البدع والمحدثات ولقد تحروا الدقة والامانة فى احكامهم

---

(١) ابراهيم بن صالح : نفس المرجع ، ص ٨١ ،

(٢) ابراهيم بن صالح : نفس المرجع ، ص ٨٩ ،

القضائيـة وحكموا بالكتاب والسنة وساروا على نهج اسلامى خالص ، وكانت هـذه الطائفة من القضاء الذين انيطت بهم امور الامة من ذوى المعرفة والتحقق بـل أكثر من ذلك فان السلطان ادريس طلب منهم أن يقضوا فى كل قضية بما لا يتنافى وحكم القرآن والسنة ، كما انه كان يعتقد أن جميع القضايا توجد لها حلول منصوصة قاطعة فى الكتاب والسنة ونصائح الصالحين وآراء الحكماء ، كما أنه طلب منهم الا تأخذهم لومة لائم من تنفيذ جميع الاحكام التى يصدروها مجلس القضاء وحملهم مسئولية النظر فى كل ماله علاقة بالامور القضائيـة (١) .

وسارت البلاد بعد ذلك فى طريق الحق والعدل وتمسك القضاء بكل التعاليم الاسلامية اللهم الا فى الحالات التى كانت تسود فيها البلاد حالة من الفوضى واضطراب الامور فانه ربما كانت الاحكام القضائية لا تجد طريقها الى التنفيذ وربما كانت تعطل بسبب تدخل اصحاب النفوذ والسلطان للحيلولة دون تنفيذ هذه الاحكام وربما قل وزن القضاء فى أعين السكان . و

وأنه مهما يكن من أحوال البلاد وسوء الاحوال فانه فى أواخر عهد السفية نجد وتيهام وكلابرتون يذكران أن القضاء فى برنو كان قضاء اسلامى فى

---

(١) ابراهيم بن صالح : نفس المرجع : ص ص ٩٠ ـ ٩١ .

تشجيعه وتنفيذه [1] .

وليس أدل على ذلك ما جاء على لسانهما والحقاه بكتابيهما . وذلك لانهما تقدما بشكوى الى دار القضاء فى برنو . وذلك للمطالبة بحق لهما . وانعقد مجلس القضاء للنظر فى الشكوى المقدمة منهما ضد احد سكان البلاد . وذكر أن شكواهما انهما دفعا اللهين من الدولارات الى شخص من برنو وهما فى طرابلس على أن يرد اليهما المبلغ عند دخولهما الى برنو . ولكنه شاءت الاقدار الالهية أن يموت الرجل وهو فى الطريق من طرابلس الى برنو . وبذلك فانهما يطلبان من مجلس القضاء أن يقوم شقيق المتوفى والذى آلت اليه كل ثروة أخيه برد هذا المبلغ الذى دفعاه الى أخيه .

وتقدما الى المجلس بورقة مكتوبة باللغة الانجليزية وليست باللغة العربية ولكنها تحمل توقيع الشخص المتوفى . فقام مجلس القضاء باحضار شقيق المتوفى وجاء بأحد أصدقاء المتوفى كشاهد على ذلك العقد واستلام المتوفى وذلك لان الشاهد كان قد حضر تسلم المتوفى للمبلغ .

---

(١) Danham and clappertori OP. Cit. P. 372.

وبعد أن درس مجلس القضاء كل هذه الجوانب التي تحيط بالشكوى فانه اصدر حكمه في تلك القضية بالرفض ، رغم أن الوثيقة تحمل توقيع المتوفى وهو باللغة العربية وذلك لانها لا تعتبر وثيقة اسلامية شرعية وغير مكتوبة باللغة العربية لدى القضاء في برنو ، ورفض مجلس القضاء الاخذ بشهادة الشاهد .

ولكنهما ذهبا الى دار العدالة مرة أخرى ، وعند ذلك فان شقيق المتوفى تعهد بأن يدفع لهما كل المبلغ الذى دفعاه الى اخيه .

وفى نهاية الوثيقة فقد أشادا بعدالة القضاء في برنو (1) .

ومن ذلك يتضح أن الشريعة الاسلامية والعدالة هى التى كان يسير عليها القضاء في برنو في أصدار احكامه ولذا فان البلاد سادها العدل والاخاء .

(1) Denham and Clapperton: Op. Cit. P. 370.

## (( الفصل الثالث ))

### (( علاقات برنو الخارجية ))

كان لبلاد برنو علاقات مع الدول المجاورة وخاصة مع مصر وبلاد الشمال الافريقي والسودان الشرقي • والبلاد التي أطلق عليها حديثا غرب افريقيا والتي تجاور برنو من ناحية الغرب فارتبطت ولا سيما في عصور ازدهارها بروابط قوية مع تلك البلاد •

### أولا : العلاقات السياسية

#### (أ) - العلاقات السياسية مع مصر

تأكيدا لروح الاخوة الاسلامية وللافادة من الخبرات الثقافية والعلمية التي وصلت اليها مصر وطدت برنو علاقاتها بمصر ، اذ تعتبر برنو اقرب السلطنات السودانية على الطرق التي تسلك الصحراء الغربية في طريقها الى واحات مصر [1] وكانت تلك الواحات عامرة في ذلك الوقت ومتصلة بأرض السودان وكانت تمثل نقطة ارتباط بين مصر وبلاد كانم - برنو [2] وذلك بالرغم من أن الاصطخري يذكر أن بلاد برنو كانم ليس لها اتصال بشيء من الممالك والعمارات الا من وجه المغرب لصعوبة المسالك بينها وبين سائر الامم وأن بينها وبين واحات مصر مساحات واسعة من الرمال [3] وبالرغم من ذلك يمكن القول أن الواحات كانت تمثل

---

(١) حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية في افريقية • ص ٢٥٩ •

(٢) المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم • ص ٢٠١ •

(٣) الاصطخري : المسالك والممالك • ص ٣٥ •

نقطة للراحة على الطريق بين مصر والقادمين من بلاد برنو ــ كانم ، وذلـــك لان القوافل كانت تعبر الطرق الصحـــراوية من مصر الى كردفان ودارفور ثم الـــى برنو وبعد ذلك الى بلاد النيجر (١) .

وعلى ذلك يمكن القول أنه كانت هناك علاقات سياسية بين مصر والممالك التى قامت فى النطاق شبه الصحراوى فى القاره الافريقية والتى كانت من بينهـــا سلطنة برنو ــ كانم ــ وأن هذه العلاقات قد توطدت توطدا ملموسا وذلك لان مصر كانت تمثل ثقلا سياسيا ممتازا وبروزا فى العالم الاسلامى بأسره شرقــــه وغربــــه (٢) .

ولذلك فقد أخذ يفد الى مصر فى عصر سلاطين المماليك القضاه والرسل والحكام والملوك من مختلف انحاء العالم الاسلامى يحملون الهدايا والامـــوال ويطلبون التقاليد من الخليفه العباسى الذى كان قد أستقر فى القاهرة بعـــد سقوط بغداد على أيدى المغول ، هذا عدا الصوفيه والفقهاء والعلماء الذيـــن قصدوا مصر من البلاد المغربية البعيده (٣) ، وليس هناك شك فى أن وفـــودا قد جاءت من برنو الى القاهرة ولاسيما أنه كان لبرنو قافلة كبيرة تذهب الى الاراضى المقدسة فى الحجاز كل عام .

---

Johnston,H.: A History of colanization of Africa (١)
P. 19.
Trimingham,J.S.: The influence of islam upon Africa (٢)
P. 18.

(٣) سعيد عاشور : المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، ص ٦ .

ولقد كان الاسلام واستقرار الحياة اليومية فى برنو من اسباب القوة التى دفعت البلاد الى تقوية علاقاتها الخارجية مع البلدان المجاورة وتمهيد احياء العلاقات الخارجية التى كانت تقيمها كانم قبل سقوطها مع بلدان العالم الاسلامى (١) .

وقد أشار هودجكن . الى تلك العلاقات السياسية القوية التى ربطت مصر ببلاد برنو كانم الى أنه كانت هناك مراسلات متبادلة بين سلاطين مصر وكانم برنو (٢) .

ولقد كان ارتباط تلك البلاد بمصر واتصالها بأرقى الحضارات الانسانية المعاصرة فى ذلك الوقت هو صاحب الاثر الاكبر فى تشكيل وتوجيه تاريخ هذه البلاد . ذلك أن بلاد السودان ومنها برنو . كانم لم تنقطع صلتها بالعالم الخارجى فى أى فترة من فترات التاريخ ولم تحل وعورة الصحراء دون هذا الاتصال (٣) .

وكانت هناك حوادث متناثرة تلقى بعض الضوء على نوع العلاقات التى كانت تربط مصر بهذه البلاد فى العصور الوسطى ولعل أبرز تلك النواحى وأكثرها وضوحا حج سلاطين تلك الدول ورعاياهم الى بلاد الحجاز ومرورهم على مصر حيث يستقرون بها زمنا ريثما يتهيأ موكب الحج والمحمل الى مكة المكرمة . والطريق الذى درج حجاج تلك النواحى على سلوكه هو الدرب الصحراوى المعروف بطريق غسات .

---

(١) الشاطر بصيلى : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والاوسط . ص ٤٢٤ .

(٢) Hodgkin, T. Nigerian perspectives. P. 77.

(٣) ابراهيم طرخان : امبراطورية غانا الاسلامية . ص ١٠٠ .

والذى يبدأ من مدينة ذات نفسها وينتهى عند سفح الاهرام . وقد اتخذ ملوك تلك البلاد الحج وسيلة فى تلك الجهات لغرضين أحدهما دينى والاخر سياسى [١] اذ أن سلاطين " برنو - كانم " كانوا يقصدون من الحج هو تأدية الفريضة وهذا هو الجانب الدينى أما الجانب السياسى فهو مقابلة الخليفة فى القاهرة والحصول على الخلع والتقاليد والاعتراف بهم سلاطين على بلادهم .

ولقد ساعدت هذه العلاقات السياسية التى ربطت بين مصر وبلاد برنو على انتشار الثقافة العربية والحضارة الاسلامية فى ربوع تلك الديار [٢] ومن ذلك اقتباس بعض نظم الحكم واتخاذ اللغة العربية اداة للمراسلات الرسمية وتشجيع الحركة العلمية القائمة على التعاليم الاسلامية . وتوجت العلاقات السياسية التى كانت تربط مصر ببلاد برنو وصول حكام هذه البلاد على رأس رعاياهم وأرسالهم الهدايا الى السلطان المملوكى وحاشيته [٣] وقد حفظت لنا المصادر نص رسالة تبودلت بين سلطان برنو وبين السلطان المصرى المملوكى برقوق تتعلق بشكوى عرب جذام [٤] الذين اجتاحوا مع غيرهم من العرب المهاجرين من مصر جنوبا مملكة الزغاوة حتى سيطروا على دارفور . واتخذ اولئك الاعراب .

---

(١) حامد عمار : علاقات مصر بالبلاد الافريقية فى العصور الوسطى ص ٥٤

Calomen, J.: Nigeria, Back ground to nationalism. P. 22

(٢) مصطفى سعد : الاسلام وحركة الفلان الاصلاحية فى غرب افريقيا مجلة جامعة ام درمان . العدد الاول . ص ٢٢ .

(٣) حسن احمد محمود : نفس المرجع . ص ٢٥٩ .

هذه السلطنة قاعدة لشن غاراتهم على ما جاورها من اقاليم حتى مملكة برنو في الغرب [1] والذين تمادوا مع البلالة على ملوك برنو وشجعهم في قتل السلطان عمر بن ادريس واستولوا على كميات كبيرة من الذخيرة والعتاد من عاصمة الكانم نجيمي واستباحوا استرقاق الاهالي رجالا ونساء شيابا وصغارا وحملوا الكثير من وجوده في شكل رقيق الى مصر وما جاورها من الاقطار العربية [2] .

وقد وردت هذه الرسالة الى مصر في عام ٧٩٤ هـ - ١٣٩١ - ١٣٩٢ مع ابن عم السلطان البرنوي مع هدية ثمينة بعث بها الى سلطان مصر ، وهي [illegible] من ورق وغيره [3] وهي في ورق مربع السطر وبخط مغربي وليس بها هوامش في أعلاه ولا في جانبه وختمة الكاتب في ظهره من ذيل الكتاب .

وقد كان ملوك السودان الغربي بما فيهم ملوك برنو ، في نظرة سلاطين الاكفاء بمصر في مرتبة اقل من ملوك المغرب واحتوت نماذج المراسلات بين مصر وملوك برنو ، الدعاء لهؤلاء الملوك باستمرار حفظ حجاجهم ، ولكن لم يكن ذلك لمجرد المجاملة فحسب بل لان الدولة المملوكية كانت تفرض المكوس على حجاج

---

(١) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة في العصور الوسطى ، ص ٢٨٥
(٢) ابراهيم بن صالح : تاريخ الاسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم برنو ص
(٣) القلقشندي : صبح الاعشى ، جـ ٨ ، ص ٨ .

تلك البلاد ، وتجارتهم التي تدر على الخزانة المصرية دخلا طيبا ، كذلك تدل هذه النتائج على معرفة الدولة المملوكية بأحوال تلك الديار حال ذلك الدعاء لملك برنو بالنصر على أعدائه المجاورين من الهمج المعروفين بالدمادم وكانت بلاد السودان مهتمة بالأحداث السياسية الكبرى التي تجرى في مصر المملوكية وخاصة الخطر التتري (١) .

ويتضح من الرسالة التي بعث بها السلطان برقوق سلطان مصر لملك برنو أنها تحمل بين سطورها مزيجا من الحنق والتوسل معا ، ودليل الحنق بادية أيضا فيما سلفت الإشارة إليه من تجريح سلطان برنو على مخالفة المصطلح الدبلوماسي في مكاتبة السلطان المملوكي ويبرر القلقشندي ذلك بأنه جهل من الكاتب بمقاصد صناعة الإنشاء ، إذ لا يهتدون إلى خصائصها (٢) .

وأما يخفف من حدة هذا التعبير ، ما جاء في ختام الرسالة قال تعالى لنبيه داود عليه السلام ، يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب والسلام على من اتبع

---

(١) حامد عمار : نفس المرجع ، ص ص ٥٤ ـ ٥٥ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٨ ، ص ١١٦ .

الهدى ، فالايفاى صحبها الذارهشك . كما أن السلام بتلك العبارة من ملك البرنو المسلم ، الى السلطان المملوكى فيه اهانة مقصودة ، اذ من المعروف أن هذه التحية لا توجه الا لغير المسلمين .

وقد أظهر السلطان برقوق عدم اكتراثه بأمر هذا الكتاب فلم يرد عليه الا بعد سنتين وجاء الرد على ظهر الكتاب دليلا على امتهانه لشأن صاحب برنو (١) .

كذلك يمكن أن يستدل من بين سطور تلك الرسالة على المكانة السياسية والنفوذ الذى كان لمصر فى تلك الديار وسلاطينها وذلك كما جاء بأن الملك مصر الجليل ، أم الدنيا .

كذلك كان حكام السودان الغربى والاوسط كانوا يهتمون بأن يحصلوا سلطانهم بصباغ من الصفة الشرعية وتدعيم ملكهم ومن هنا فقد كان كثيرا من سلاطينهم يطلبون من الخليفة العباسى بالقاهرة تقليدا بتفويضه حكم بلاده . وقد كان الخليفة يمنح هذا التقليد وذلك لان هذا التقليد كان يكسبهم تأييدا بين مسلمى بلادهم وكان هذا من العوامل التى ساعدت على ربط تلك البلاد سياسيا بالقاهرة .

---

(١) حامد عمار : نفس المرجع ، ص ٥٦

(٢) شوقى الجمل : تاريخ العلاقات المصرية الافريقية ، المحاضرات غير منشوره ، الملقاة بمعهد الدراسات الافريقية ، سنة ١٩٧٢ .

وقد حاولت أسرة البلالة التي استولت على الكانم في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي الحصول على التأييد الشرعي لحكمها من السلطنة المملوكية والخليفة العباسي ، الذي كان يقيم في مصر في ذلك الوقت لكنها لم تستطع أن تظفر بشيء من التأييد بالرغم من الهدايا والاموال التي أرسلتها الى مصر (١) .

وقد صح من سلاطين برنو الكانميين ، أن هؤلاء السلاطين قد استقروا بالقاهرة فترة طويلة وهم في طريقهم الى أرض الحجاز ، وذلك حتى يتجمع الحجاج ومعهم المحمل وكسوة الكعبة التي كان يرسلها حكام مصر الى مكة كل عام ، وأن هؤلاء السلاطين ، قد اختلطوا بحكام مصر وعلمائها وقضاتها وفقهائها ، وربما يكونوا قد حضروا دروس الدين التي كانت تدرس بالجامع الازهر وناقشوا امور الدين مع العلماء المصريين واشتروا الكتب الدينية من القاهرة ، وحملوها معهم عند عودتهم الى بلادهم ، واقتبسوا كثيرا من النظم الادارية والتنظيمية والثقافية التي كان معمولا بها في مصر وحاولوا تطبيقها في بلادهم مع ملائمة ذلك للاحوال والظروف السائدة في تلك الديار (٢) .

---

(١) حامد عمار : علاقات مصر بالممالك الافريقية في العصور الوسطى ص ٥٤

(٢) شوقي الجمل : المرجع السابق ؛ معهد الدراسات الافريقية ، ١٩٧٢ م .

وقد توثقت العلاقات بين مصر وبرنو وزادت هذه العلاقات توثقا في نهاية السلطنة البرنية ، بالاضافة الى أن مصر ارتبطت بروابط قوية مع كثير من بلاد السودان النيلي والاوسط ، الا أن ملوك السودان النيلي كانوا يخطبون لانفسهم تحت مظلة الخليفة العباسي في بغداد (١) .

ولكن كيف تكون لهذه البلاد صلات وروابط مع بغداد ولا تكون هناك صلات قوية مع القاهرة بعد سقوط الخلافة العباسية وانتقالها الى مصر ، ذلك أن القاهرة أقرب اليهم وهي في طريقهم الى الحج ولا أنسى وجود صلة بين بغداد والسودان النيلي التي من الصلة بين السودان ومصر ، ذلك لان مصر تجاور برنو ، كانم من ناحية الواحات وأيضا طريق مصر ، فانا الذي كان طريقا مصريا وآمنا للاتصالات ومناهل معلومة (٢) .

ويذكر ديشان هوبير أن احد سلاطين برنو قابل وهو في طريقه للحج الى مكة خليفة المسلمين العباسي بالقاهرة اذ ذاك وطلب منه الخلع والالقاب ولما عاد من الحج أخذ ينظم مملكته على أساس ما رآه من النظم الاسلامية في الممالك الاسلامية التي مر بها (٣) .

---

(١) الادريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص ٦ .

(٢) سر الختم عثمان : العلاقات بين مصر والسودان في العصور الوسطى ص ٩١

(٣) ديشان هوبير : الديانات في افريقيا السوداء ، ص ١٢٤ .

## (( العلاقات السياسية مع دول الشمال الافريقي ))

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

لما كانت تقع جنوب المغرب " الشمال الافريقي " بلاد السودان ومقابلا لها طرابلس وفزان ، وتقع بينهما وداي الرمال ، وتوجد صحراء واسعة بين أرض المغرب وبلاد السودان وفي أطرافها سكان من البربر وفي قلب البر توجد مياه [1] طيبة لم تعذب وهذه الصحراء التي بين المغرب وبلاد السودان قليلة المياه ، مقفرة الحياه ، لا تسلك الا في الشتاء وسالكها في حيرة متصلة السفر دائم الورد والصدر [2] .

ومن هنا فقد ارتبطت تلك الدولة ، وغيرها من دول السودان الشرقي والاوسط بدول شمال افريقيا اكثر من ارتباطها بمصر ، ذلك لكثرة الدروب الصحراوية التي تصل هذه البلاد مع بلدان الشمال الافريقي [3] .

وقد ساعدت هذه الطرق الصحراوية التي لا تنقطع من الشمال الى الجنوب الى اطراف الصحراء الكبرى على تدعيم اسباب التفاهم والتعاطف الانساني بين هذه البلاد وشمال القارة الافريقية ولا بد أن الصلة المباشرة بين الطرفين قد وجدت منذ زمن سحيق [4] .

---

( ١ ) يقصد بالمياه هنا بحيرة تشاد والانهار التي تصب فيها .

( ٢ ) ابن حوقل : صورة الارض ، ص ص ٢٠٤ ــ ١٠٤ .

( ٣ ) حامد عمارة : علاقات مصر بالبلاد الافريقية في العصور الوسطى ، ص ٥٣ .

( ٤ ) سر الختم عثمان : نفس المرجع ، ص ١١٥ .

وتشير بعض أساطير جماعات الهوسا وبرنو وهي الاساطير التي تناقلها الابناء عن الآباء والتي كانت تروى مشافهة على أنه قد حدثت علاقات مع الشمال ذلك هو وجود عناصر النبلاء بين هؤلاء القوم ، فقد كان حكام برنو الذين كانت سلطتهم قد بدأت تأخذ وضعها كدولة نهائية منذ عصر السلطان على غازى مثلا بعيدين عن الزواج فانهم يراعون دائما التوجه الى الشمال لاختيار زوجاتهم من طبقة النبلاء (١) .

وقد عمل سلاطين برنو على تدعيم العلاقات الخارجية لبلادهم مع الدول المحيطة بهم وتوثيق الصلات ولا سيما مع بلاد الشمال الافريقي وذلك عملا على بناء الروابط والصلات الطيبة بين البلدين والتي كان اقامها الاسلافهم ، حكام الكانم قبل رحيلهم الى برنو ، فقد قام السلطان على غازى ( ١٤٧١ ـ ١٥٠٤ م ) بعد أن أنشأ العاصمة برنى باتباع سياسة الصداقة والمودة مع الدول المجاورة ، وقد ساعد ذلك على كسب صداقة وتأييد الدول الاخرى وحلفها ، وقام بتجديد علاقات برنو مع دول شمال افريقيا في شتى المجالات (٢) .

وقام السلطان ادريس بن على ( ١٥٠٤ ـ ١٥٢٦ م ) بارسال سفارة الى طرابلس في عام ١٥١٢ م ، وذلك سيرا على سياسة والده في ضرورة تدعيم

---

(1) Oliver, Page.: Ashort history of Africa. P. 63.

(٢) ابراهيم بن صالح : نفس المرجع ، ص ٨٠ .

روابط الود، والصداقة مع دول شمال افريقيــــا (١) .

وقد أثبتت الاحداث التي مرت بها بورنو فيما بعد، مدى فائدة الروابط مع الشمال الافريقي في تدعيم الوضع الداخلي والخارجي للبلاد .. وجاء بعده ابنه السلطان محمد بن ادريس ( ١٥٢٦ - ١٥٤٥ م ) فقام بارسال سفارة مع هدية قيمة الى حاكم طرابلس وذلك في عام ١٥٣٤ م وذلك حرصــا على تدعيم الروابط الاخوية والصداقة التي كانت قائمة بين البلديـــن منذ عهود قديمة . وذلك ضمانا لحسن الجوار وبقاء الطريق التجاري متصلا آمنا . ولا بد أن هذه العلاقة كانت تعود بالنفع على كلا الطرفين (٢) .

وقام السلطان ادريس الوما ( ١٥٧١ - ١٦٠٣ م ) بارسال سفارة تحمل معها الهدايا القيمة الى طرابلس وذلك في عام ١٥٧٨ م . وذلـــك عملا بنصيحة والدته ولكي يضمن أن يصبح الطريق التجاري الذي يربـــط طرابلس بفزان - كوار - بورنو ، مفتوحا للقوافل على الدوام وأيضـــا لكي يضمن سلامة وأمن القوافل التي تمر بهذا الطريق . وذلك لان السلطان ادريـــس الوما كان في أمس الحاجة الى الشمال الافريقي لان جيشـــه

---

(١) Barth,H., Op. Cit. P. 590.

(٢) Barth,H., Ibid. P. 592.

كان يستخدم البنادق والبارود وكانت هذه الاسلحة والذخائر ترد اليه من الشمال والشمال الشرقي للقارة الافريقية .

وأيضا فان القوافل كانت تأتي بأعداد كبيرة من الخيول العربية التي يتم بيعها في برنو وكان يستخدمها ويعتمد عليها جيش برنو . ولضمان أمن الطريق مع الشمال ودوام الاتصالات فانه قام بكسر شوكة الطوارق وأجبرهم على الخضوع له وأن يعيشوا في سلام وأن يدينوا له بالولاء (1) .

ولقد أرتبطت برنو بعلاقات في الجوار والصداقة مع دول المغرب الاقصى وأنه كانت بينهم علاقات وطيدة منذ ٧٠٠ هـ أي قبل رحيل الاسرة المالكة من كانم الى برنو . فقد راسلوا ملوك الحفصيين في تونس واستمر هذا الاتصال ودوام أهل برنو على انتظام الاتصال حتى كان عهد ادريس الوما والذي قام في عام ٩٩١ هـ أي بعد توليته عرش البلاد بأحد عشر عاما . بارسال رسول منه الى الخليفة المنصور في مدينة فاس بالمغرب وأرسل مع الرسول هدية نفيسة الى أمير المؤمنين في المغرب وكان من أغراض الرسالة التي أرسلها الى الخليفة أنه يطلب المعونة من أمير المؤمنين بالعساكر والاجناد ، وعدة البنادق

---

(1) Barth, H., Op. Cit. P. 593.

ومدافع النار وذلك لجهاده الكفار ونشره الاسلام وقام الخليفة المنصور بارسال هدية من الخيل الى السلطان ادريس وأرسال بعثة له طالبا منه الدخول تحت طاعته والاعتراف بأنه أمير المؤمنين والدعاء له فى الخطبة يوم الجمعة [1] .

وكانت هذه الرسالة فى عام ١٥٨٠ م أى قبل أن يقوم سلطان المغرب بغزو سنغاى بعشر سنوات وذلك أن سلطان المغرب أمر بغزو سنغاى فى عام ١٥٩٠ م [2]

وأما السلاطين الذين تولوا أمور برنو بعد السلطان ادريس الوما فسعوا على الاتصال ببلاد الشمال الافريقى ولو أن هذه العلاقات قديمة اذ نجد أن ابن خلدون يذكر أن سلطان الكانم - برنو - قام بارسال سفارة الى تونس فى عام ٦٥٠ هـ - ١٢٥٦ م ويذكر هذه السفارة على أنها من صاحب برنو [3] . وقد أشار السعدى الى ذلك فقال أن صاحب برنو من ملوك السودان قد أهدى الخليفة المستنصر فى تونس هدية ثمينة وظريفة [4] وذلك لان الخليفة المستنصر كان قد وسع حدود ملكه فى تونس وضم طرابلس والجزائر ومراكش ويبدو هنا أنه حرص

---

(١) السلاوى : الاستقصا فى اخبار المغرب الاقصى ، جـ ٥ ، ص ١٠٣ - ١٠٥

(٢) عبد الرحمن زكى : الاسلام والمسلمون فى غرب افريقيا ، ص ٧٩ .

(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ ٦ ، ص ٢٩٩ .

(٤) السعدى : الخلاصة النقية فى أمراء افريقية ، ص ٥٦ .

ملوك كانم – برنو ، على الاحتفاظ بالعلاقات الحسنة مع سلاطين وخلفاء الشمال الافريقي (١) .

وقد ترتب على تبادل الهدايا والسفارات بين برنو وبلاد الشمال الافريقي أن توثقت الروابط ونشطت حركة التجارة وأصبح التجار يحضرون معهم البضائع من الشمال والتي يحتاج اليها أهل الجنوب بل واستمر تقدم القوافل الى برنو ، بعد أن اصبحت الطرق في أمان وأصبح السفر ميسورا ، ولم يحدث هناك حوادث لقطع الطرق كما كان يحدث في الماضي من تعرض القوافل للسلب والنهب (٢) .

وكانت الادوات والثياب الجميلة والاشياء الغالية التي يحتاج اليها سلطان برنو وطبقة القوم تحمل لهم الحضارة الاوروبية (٣) .

وقد أخذ نفوذ برنو السياسي يزداد على كل الصحراء الكبرى وأصبح لها نفوذ في دول الشمال الافريقي وذلك لان برنو كانت تحت حكم سلاطين أقوياء أمثال ادريس الوما استطاعوا أن يرفعوا مكانة بلادهم وأن يمدوا من نفوذها حتى وصلت الى أقصى مراحل القوة في القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر حتى وصل نفوذها الى فزان وطالب السلطان ادريس الوما

---

(١) نقولا زيادة : الرحالة العرب ، ص ٣٩ .

(٢) Shinnie, M.: Ancient African Kingdoms, P. 70.

(٣) أبن سعيد المغربي : بسط الارض في الطول والعرض ، ص ٢٨ .

من السلطان العثماني يضمها الى بلاده (١) .

وصلت حدودها الى السودان الشرقي وزادت العقيدة الاسلامية التي انتشرت في بربر من مطلع البلاد الى الشمال الافريقي اذ لم تحل وعورة الصحراء دون دوام الاتصال مع تلك الدول ووصلت الاثار الاسلامية العربية الى هذه المناطق السوداء جنوب الصحراء ووصلت اليها العلوم الاسلامية والنظم الاسلامية والاجتماعية حتى في مظاهر الذي ولم تكن لهذه الدول أي جانب من جوانب السيطرة . أو السيادة السياسية او أي نوع من أنواع الحماية على تلك البلاد فقد ترك الاسلام الوطنيين في السودان الاوسط لانفسهم ولبلادهم (٢) .

على أن الاتصال بين افريقيا جنوب الصحراء وغربها وبين العالم الخارجي المطل على البحر المتوسط سواء في الشمال أو الشمال الشرقي من القاهرة ظاهرة قديمة ويستمر هذه الاوقات البعيدة ودلت الاثار المكتشفة على أن غرب افريقيا ووسطها كانا مركز نشاط ومدنية وأن الاثر العربي كان بارزا في مدن تلك البلاد . وبكثرة الاثار العربية الاسلامية وتنوعها في العصر الاسلامي في تلك الديار ظل العالم الاوربي لبضعة قرون . يعتقد أن بلاد السودان ليست سوى جزء من البلاد الداخلة في نطاق العالم الاسلامي (٣)

---

(١) السعدي : الخلاصة النقية في أمراء افريقية . ص ٥٦ .

(٢) ابراهيم طرخان : الاسلام واللغة العربية في غرب افريقيا ( مجلة آداب القاهرة مجلد ٢٧ ، ص ٥٤ ـ ٥٨ .

(٣) ابراهيم طرخان : البرتغاليون في غرب افريقيا ( سلسلة آداب القاهرة . مجلد ٢٥ . ص ٢٢ ـ ٢٣ .

ومن هنا فان الروابط كانت وثيقة بين برنو وبين بقية العالم الاسلامي وخاصة دول الشمال الافريقي ، ولقد لعب طريق المواصلات الشرقي طرابلس – فزان – كوار – بحيرة تشاد ثم الى برنو ، دورا بارزا في توطيد هذه العلاقات (١) .

وكانت تمبكتو بمثابة حلقة الاتصال بين المغرب وشعوبه وحضارته وثقافته ونظمه السياسية والاجتماعية والاقتصادية وبين السودان جنوب الصحراء . ولقد نال أهل البلاد الاصلية نصيبا من الثقافة الاسلامية سواء في ميادين السياسة أو الحرب وذلك للدور الذي لعبته هاتين القبيلتين (٢) .

وأيضا فان مجيء الهجرات الواسعة من الشمال الافريقي عبر الصحراء واتصال العرب بالزنوج في السودان الاوسط قد أوجد دولا عظيمة وممالك ذات شأن وحضارة راقية مثل برنو وهذه الدول الاسلامية السودانية اتصلت بالدول الاسلامية المعاصرة لها في مصر والمغرب ولا شك أنهم استفادوا من هذه الاتصالات احسن استفادة ، اذ اقتبسوا منها بعض نظم الحكم (٣) .

وكان قيام جيش مراكش عام ١٥٩٠ م بالاستيلاء على سنغاى وعبور هذا الجيش للصحراء وهزيمته اسكيا بن سكيا ، وتدمير العاصمة تمبكتو خسارة للحضارة

---

(١) Bovill, E.: Carvors the old sharo. P. 24.

(٢) حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٢٣٨ – ٢٣٩ .

(٣) مصطفى مسعد : الاسلام وحركة الفلان في غرب افريقيا ، ص ١٢١ – ١٢٢

في سنغاي . وبذلك انتشرت الحضارة الاسلامية وقد حوت مكانة تمبكتو وساءت أحوال البلاد . وتركت هذه الغزوة التي جاءت من الشمال اثرها على برنو (١) .

على أنه يمكن القول أن العلاقات السياسية بين برنو ودول الشمال الافريقي كانت دائما مستمرة ومتصلة مهما بلغت الظروف السياسية والاحوال التي كانت تسود جنوب الصحراء اذ أن قوافل الحجاج كانت تسلك الطريق الصحراوي المؤدى الى الشمال في كل موسم حج وأن حكام برنو كانوا يرسلون الهدايا مع قوافل الحجاج الى حكام الشمال . وأن موكب أهل برنو القاصد الى بيت الله الحرام كان لا يخلو دائما من أحد السلاطين فان لم يكن فلا بد أن يكون في الموكب احد افراد الاسرة الحاكمة أو الامراء . أو أحد افراد طبقة العلماء الذين كانوا ذوى نفوذ قوى في بلادهم . ولا بد أن أمير البلاد أو من ينوب عن السلطان كان يحمل معه الهدايا والرسائل الى حكام طرابلس .

---

Johnston, H.; A history of cabalisation Africa. P. (1) 68.

## (( جـ / العلاقات السياسية مع غرب افريقيا ))

كانت العلاقات التي تربط برنو ببلاد غرب افريقيا تتسم بنوع المودة والعلاقات الطيبة وأحيانا كانت العلاقات تتخذ نوعا من الحروب المتواصلة والمناوشات وتارة تتسم العلاقات بنوع من توقيع معاهدات الصلح بين الاطراف وذلك أن بعض الاجزاء من السودان الغربي كانت منطقة نفوذ لبرنو وكانت تربط برنو اكثر من ارتباطها بأى جهة أخرى . والاحداث تذكر أن احد سلاطين مالى وأسمه ساكورا "Sakura" والذى حكم في أواخر القرن الثالث عشر وهو في طريقه لزيارة الاراضي المقدسة في الحجاز لتأدية فريضة الحج من وطنه مالى الى مكة . قد قتل على يد أهل دنقله بالسودان الشرقي ولكن جسده حفظ ونقل الى بلاده برنو وقام سلطان برنو . بارسال من يعلم اهل مالى والبلاط السلطاني بذلك الحادث . وبعد أن علم اهل مالى بذلك ارسلوا سفارة الى سلطان برنو للشكر على ما قام به ولكي تسلمه جثمان الملك الذى قتل (1) .

وقام السلطان على غازى ( ١٤٧٢ ـ ١٥٠٤ م ) بعد أن استغاث به سلطان أهير (2) بتجهيز جيشه لينقذه من مضايقات سلطان كبي

---

(1) Meeh, C.K.: The Northern trikes of Nigeria vol. 1. P. 63.

(2) أهير أو اير ، احدى امارات الهوسا السبع التي قامت في غرب سلطنة برنو .

- السلطان كاتتا - والذى كان قد حصل على أستقلال بلاده من سلطنة سنغاى وأخذ يتوسع على حساب الامارات التى كانت تحيط به (١) .

وخرج السلطان على غازى بقواته سائرا الى تجه ، سلطان أهير لعبور أراضى كاتسينا ودورا ، وأنضم الى جيشه عدد كبير من أهل تلك البلاد ، الا أن السلطان كاتتا كان يرفض المجابهة ويختار الا تواجه قواته قوات برنو القوية وفضل الالتجاء الى حصنه الحكم وحاصرت قوات برنو عاصمته سوابى ولكن السلطان على لم يستطع الاستيلاء عليها (٢) .

وأضطر السلطان على الى رفع الحصار والعودة الى بلاده ، ولكنه بعد أن لقى كاتتا ، ربما والشيء أن كاتتا سار بقواته بعد رفع الحصار وراء قوات برنو وذلك بعد أن وصله المدد من سلطان سنغاى وأستطاع أن يلتحم مع قوات برنو وجرى بينهما قتال عنيف أستشهد فيه الكثير من قوات برنو ، ورجع السلطان على بما تبقى من قواته وعاد كاتتا أيضا الى بلاده (٣) .

وكان السلطان على بن غازى مضطرا أن يدافع عن هذه البلاد التى أخضعها لنفوذه وأصبحت تابعة له عندما كان يحاول كاتتا معاودة الهجوم عليها (٤) .

---

(١) Barth,H.: OP. Cit. P. 589.

(٢) ابراهيم صالح : نفس المرجع ، ص ٨٢ .

(٣) Barth,H.: OP. Cit. P. 590.

(٤) Meek, C.K.: OP. Cit. P. 80.

وقد وجدت روابط قوية مع برنو وامارات الهوسا . ذلك أن أم السلطان قاسي بن ادريس ( ١٣٩٩ – ١٤٠٠ م ) كانت من امارات الهوسا ويبدو أن والده قد تزوجها لظروف سياسية . وأيضا فان السلطان عثمان بن داود ( ١٤٣٢ م ) حين طرد من عرش برنو ، ذهب لاجئا الى امارات الهوسا ( كانو ) وعاش هناك حتى مات أو قتل .

وكذلك فان السلطان محمد بن ادريس ( ١٥٢٦ – ١٥٤٥ م ) دخل في صراع عنيف مع السلطان تومو Tomo حليف السلطان كانتا سلطان كيبي والذي قاتله السلطان على قاري . ولكنه لم تكتب الغلبة لاحدهما على الاخر (1) ولكن السلطان محمد بن ادريس ، وسع حدود برنو غربا حتى كابار Kabara وهي ميناء مدينة تمبكتو .

وقام السلطان دوناما بن محمد ( ١٥٤٦ – ١٥٦٣ م ) بعقد اتفاقية سلام مع الامارات التي تقع غرب مناطق نفوذ برنو وخاصة امارة دراجوت Daragot (٢) .

وقام السلطان قاسي بن عثمان ( ١٤٤٠ – ١٤٤٦ م ) بارسال رسالة

---

(١) Barth, H.: OP. Cit. P. 587 – 590.

(٢) Barth, H.: OP. Cit. P. 592.

الى مواطني واحة توات [١] .

وكتبت هذه الرسالة بتاريخ العاشر من شعبان ٨٤٣ هـ وجاء في هذه الرسالة من السلطان قاضي سلطان برنو . أيده الله ونصره . الحمد لله وحده . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ثم انتقل الكاتب على السلطان من جديد حتى قال أما بعد فالى المرابطين الذين من الشيخ مختار وسيدي عمر الشيخ والى سائر اخوانهم . والى من يخلفه القوم حاليا بتوات السلام عليكم جميعا . وبعد . فلقد عجبنا من امركم لهذا تركتم عادة كبرائكم لماذا امتنعتم من النزول الينا . وارسال البعثات الى بلادنا . منذ عهدكم مع كبيرنا السلطان جعفر . فأنتم لم تعودوا الينا منذ ذلك الحين .. لماذا هذا اني أقسم بالله انه لن يصيبكم اي شيء من الاذى فيما لو جئتم لا من جهتي ولا من أحد غيري . فنسألكم أن تأتوا اذن كعادتكم وكل من جاء من توات حاملا معه رسالة منكم . لا يسألونه عن شيء من الرسوم . لان البلاد بلادكم كما كانت بلاد اسلافكم [٢] .

---

( ١ ) تقع واحة توات الى الشمال الغربي من سلطنة برنو وكان سلاطين برنو يطلبون مساعدتها في هذه الشدة .

Hodgkin,T.: Nigerian perpsectives. P. 80. (١)

Hogkin,T.: OP. Cit. P.P. 80 - 81. (2)

وهذه الرسالة تدل على أن العلاقات بين برنو ومرابطي واحة توات قديمة وثابتة وأن أسسها قائمة على الأسس الإسلامية السليمة . وكانت برنو تدين في ذلك العهد لمرابطي توات بالكثير لقيامهم بنشر العلم والمعرفة في ربوع البلاد . وهذه الرسالة تدل على الصلات الطيبة بين برنو وبينهم (١) .

ولقد كان السلطان علي غازي هو أول سلطان يطلب مساعدة سكان توات في عام ١٤٧٨ م وذلك لمساعدته ضد البلالة . وأيضا يطلب منهم أن يقوموا بزيارة بلاده (٢) .

وأن أسلاف السلطان غازي قد عقدوا معاهدات صداقة وحسن جوار مع هؤلاء القوم وأهل واحة توات قد ارتبطت بعلاقات طيبة مع برنو لفترة طويلة (٣) .

وأنه قبل نهاية القرن السادس عشر الميلادي كان امارة كاتسينا وبعض امارات الهوسا الاخرى . أصبحت تابعة لبرنو واستمرت على تلك الحال أكثر من مائتي سنة . وليس هذا فقط بل أن برنو في القرن الثاني عشر كانت تفرض سيطرتها على شمال شرق امارات الهوسا وكانت تحكم امارة كانو .

---

~~Hodgkin,T.: Op. Cit. P.P. 80 - 81. (١)~~

Hodgkin,T.: ibid. P. 81. (٢)

Palmer,R.: The Bornu sjata and sudan.P. 224.(٣)

cooley,W.: The Norgo land of the arabes. P. 128(3)

امارة الجوكين وكانت قد دخلت تحت سيادتها وأيضا فان امارة زاريا zaria كانت دولة مستقلة ، الا أنها أحيانا كانت تخضع لنفوذ وسيادة برنو وكان كثيرا من امراء الهوسا يخضعون لبرنو ويدفعون لها الجزية حتى قدوم لغزوها الفلاتة في عام ١٨٠٨ (١) .

وكانت هذه الامارات قد خضعت بيد السلطان ادريس الوما وأصبحت تابعة لبرنو في كل ما يتصل بها من الامور الداخلية والخارجية ، ولكن ما يصل الصلة والروابط بين برنو وامارات الهوسا ما تذكره وترويه الاساطير ، أن أهل هذه الامارات قد جاءوا من الشرق من برنو ، وأنهم داموا فيها فترة من الزمن ثم نزحوا بعد ذلك غربا (٢) .

يذكر صاحب كتاب انفاق الميسور " أن بلاد الهوسا يسميها السودانيون من ماليك البربر ، أهل برنو ، ويطلقوا أن جد السلطان برنو ، هو الذي ولد السودانيين من أهل ذلك البلد ، وأن أهل هذه الامارات السبع من ولد باو ، الذي هو مملوك سلطان برنو (٣) .

وكانت أرض هذه الامارات مسرحا للقتال بين برنو ، وسنغاى ثم بعد ذلك بين برنو وكبي ، ولقد سعت كل من القوتين للسيطرة

---

(١) Bovill,E.: OP. Cit. P.P. 223 - 227.

(٢) Kupev,H.: urbonization and immgration in west Af Africa P. 40

(٣) محمد بلو : انفاق الميسور في ذكر بلاد التكرور ، ص ٢٧ - ٢٨

عليها وفرض نفوذها على ذلك الجزء من السودان الغربي [1] ولكنها في أغلب الأوقات كانت تخضع لنفوذ برنـــو .

ومما يدل على وجود الروابط السياسية بين برنو وبلاد غرب أفريقيا هو الموقف الذي وقفه السلطان ادريس الوما ، الذي كان سلطانا شهما ، أنجد أبناء عمومته شعب سنغاي وهم في محنتهم أثناء دفاعهم عن بلادهم ضد الغزو المغربي ، قام بإرسال القوات العسكرية والمعدات والمؤن والمساعدات وذلك لكي يساعدهم في وقف الزحف المراكشي القادم من شمال غرب القارة الافريقيـــة [2] .

وفي عهد السلطان محمد بن ادريس ( ١٦٤٥ ـ ١٦٨٤ م ) والذي حاصره الطوارق من الشمال والجوكون من الجنوب الذي نجح في فك هذا الحصار الفاشل ، وذلك بأن أوقع بين القوتين المحاصرتين للعاصمة برني ، ولكنه من ناحية أخرى اعترف الجوكون كدولة لها كيانها السياسي المستقل وتبادل معها السفراء محافظة على العلاقات الودية والطيبة ، وضمانا لعدم قيام الجوكون بغزو بلاد برنو مرة أخرى ، وتجنبا لأسباب الاحتكاك [3] .

---

(١) عبد الرحمن زكي : الاسلام والمسلمون في غرب افريقيا ، ص ٨٤ .
(٢) عبد الرحمن زكي : المرجع السابق ، ص ٧٩ .
(٣) علي ابوبكر : الثقافة العربية في نيجيريا ، ص ٣٢ .

ومما لا شك فيه أنه في أثناء حصار هذه القوات للعاصمة برنسي فإن هناك قوات من امارات الهوسا جاءت لتساعد برنو في فك هذا الحصار كذلك فإنه عندما تقدمت قوات الفلاتة للاستيلاء على أمارات الهوسا ، فإن أمراءها بادروا بالكتابة الى سلطان برنو لكي يستنجدوه على هؤلاء الاعداء لانهم كانوا يخضعون لسيطرة برنو ، ويدفعون الجزية للسلطان سنويا بل أكثر من ذلك انهم كانوا يلجأون اليه كلما استبدت بهم الملمات كهذه التي تعرضت لها بلادهم [1] .

---

(١) علي ابوبكر : المرجع السابق ، ص ٥٣

## (( د / العلاقات السياسية مع السودان ))

ليس أدل على وجود علاقات سياسية بين برنو والسودان من أن الطريق الليبي كان مصدرا لكثير من الهجرات القديمة والحديثة التي تتجه الى الجنوب ثم تتسرب الى السودان .

وفي القرن السادس عشر تكونت مملكة سنار ، التي يرجح أن تكون هذه المملكة قد تأثرت الى حد كبير بمملكة برنو ، وأيضا بالتيارات السياسية والموجات البشرية القادمة من منطقة بحيرة تشاد الى المناطق النيلية . ولقد كانت سلطنة برنو من المراكز الاسلامية التي كان لها الفضل الاكبر في دارفور وسنار (1) .

وكانت سلطنة برنو ذات صلة وثيقة بالمملكتين اللتين تأسستا في السودان ( مملكة دارفور ومملكة الفونج ) إذ نجد أن سلطنة دارفور قامت على أيدى الكنجارة الذين قدموا الى دارفور من بحيرة تشاد جنوب الصحراء الليبية وربما قدموا من تونس واخترقوا برنو ، حتى وصلوا الى دارفور (2) .

وأن سلطنة برنو هي الوطن الاصلي للفونج وأن هناك روايات وطنية تروى

---

(1) عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية في السودان ، ص ٣٥ - ٣٨

Arkell, A.T.: A history of the sudan, P.P. 206 - 208)
(2)

أن دارفور ووداي كانتا خاضعتين لسلاطين برنو . ومن بين الادلة الـــتي ساقها اركل لهذه الصلة أن دارفور . كانت تتبع المذهب المالكي في الفقه وهذا معناه ان الاسلام جاء من الغرب . أي من سلطنة برنو . والتي كانت أقرب الممالك الاسلامية القديمة الى دارفور وأن السلطان ادريس الوما . الذي دخل في معارك مع باجرمي استطاع أن يخضع دارفور لسيطرة برنو (١) .

وفي روايات برنو الوطنية ان سلطنة سنار التي قضى عليها الاتراك عام ١٨٢١ م (٢) وأسسها شخص من سلالة سلاطين برنو . كان قد هرب من برنو أثناء حرب داخلية نشبت بين أمراء الاسرة المالكة قبل عام ١٥٠٠ م . وأدت تلك الحرب الداخلية الى انقسام بين افراد الاسرة الحاكمة حول ولاية العرش ويروون ذلك بأن احد ملوكهم وأسمه ماي عثمان طرده من برنو عام ١٤٨٦ م وأنـــه ذهب الى كردفـــان (٣) .

وعلى ذلك يمكن القول ان سلطنة الفونج تكونت على أيدي ماي عثمـــان أ( احد دنقس . وأنه كان اول ملوك الفونج عمارة دونقس كما تقول الروايـــات السودانية . فليكن عمارة هذا هو احد ذرية ماي عثمان . ولا سيما أنه عرفنا

---

(١) Arkell, A.T.: OP. Cit. P. 212.

(٢) المقصود بالاتراك هنا هو الفتح المصري للسودان الذي تم في عهد محمـــد علـــي .

(٣) palmer, A.J.: OP. Cit. P. 222

أن لفظ مارة يتردد كثيرا في أسماء ملوك برنو لذلك يمكن أن نفترض أن الفونج حين دخلوا على مملكة سوبا المسيحية وأسسوا ملكهم بقيادة حاكم من الاسرة الماينة من برنو وأن هناك أفواجا من البرنويين قدموا مع هذا الحاكم ، ونزلوا أول الامر على النيل الابيض في مكان يسكنه قوم من الشلك وأصبح لهم نفوذ بين الشلك ثم حاولوا تثبيت أقدامهم بين نصارى سوبا وأسسوا بعد ذلك مملكة سنار وأن لفظ الفونج يرتبط بلفظ فون Fune وهو أحد السلاطين الذين حكموا برنو (١) وأن المعنى اللفظي لكلمة فون عمامة اللثام الذي يلبسه الطوارق في السودان (٢) .

وأن هذه الفئة الوافدة من برنو على مملكة سوبا المسيحية انما جاءت من الطريق النهري الكبير في الصحراء وأنها ربما استطاعت أن تحصل على أسلحة من تونس واستطاع ملك برنو بهذه الاسلحة الضوضاء والدخان الذي تحدثه في أيدي القليل من جنوده أن يبسط سلطانه حيثما يريد وحيثما يمكنه من الى المناطق التي يسيطر عليها (٣) . وأن تكون لهذا السلطان الفونجية

---

(١) Palmer, A.J.: OP. Cit. P. 223.

(٢) عبد المجيد عابدين : نفس المرجع ، ص ٥٥ .

(٣) Arkell, A.J.: OP. Cit. P.P. 206 - 208.

وأن يحكم هذه الديار منذ عصر الاسلام حتى يومنا (١) وأن يقيم سلطانـــه ممتدا من برنو الى هذه الاراضى السودانية بعد أن طرده من وطن ابائـــه وأجــداده برنو (٢) .

وقد أزدهرت هذه السلطنة وعظمت مكانتها وساءت المنطقة وعقدت لـها علاقات وصلات وثيقة مع البلاد التى تقع الى الغرب منها خلف وداى وكانـــم . برنو وأمارات الهوسا فى السودان الغربى (٣) .

ومما يزيد فى تدعيم الروابط والصلات بين السودان وسلطنة وارفـــور ما تقول به الاساطير ، بأنه يوجد فى شمال دارفور قصرا ومسجدا للملك شـــو shaw آخر سلاطين التنجور ولكن الواضح أن هذا البناء ، أقامـــه أحد سلاطين برنو فى القرن السادس عشر الميلادى لكى يكون القصر مقـــرا له ، والمسجد لكى يتخذ مكانا للعبادة (٤) .

وأيضا فانه يوجد على بعد ٢٠ ميل غرب مدينة دنقلا المدينة كما أشـار الى ذلك دركل مدخل باب رئيسى صغير على هيئة الطراز الذى كان يستخدم فى برنو وأن القصـــر الملكى فى دارفـــور يعود لفترة هذا الاحتـــلال

---

(١) مكى شبيكة : مملكة الفونج ، ص ٦٨ .

(٢) مكى شبيكة : السودان عبر القرون ص ١٥ .

(٣) Mandur El Mahadi: Ashort history of the sudan. P. 54.

(٤) Arkell, A.J.: OP. Cit. P.P. 191 - 192.

البرنوي لهذه البـــلاد (1) .

وهناك اشارات الى ان ارض تاج Jnaq وهذه تعرضت للغزو من أحد امراء العرب ربما جاء من برنو . وربما لم تكن هذه الا محاولـــة لاخراج الدخلاء . وهذا يعني أن قوة المسلمين التي جاءت الفور بخلفـــه جلبت الخوف والرعب لكل القبائل التي تعيش في ارض الســـودان . وأن احد الحكام في دار قلاوة بشمال دارفور يعلن انه ينحدر من سلالـة السلطان محمد سلطان برنو وأن ذلك ليس مستبعدا . حيث أن برنو قد ظهرت قوتهـــــا في القرن السادس عشر الميلادي وسيطرت على مساحات واسعة من الارض وامتد نفوذها السياسي والعسكري حتى دارفور (2) .

وعاشت بعض القبائل مثل بني عدام وبني حلبه وغيرهم في برنو . ولقـــد وجدت بعض هذه القبائل طريقها الى كردفان ودارفور . والتي يطلـــق عليها اسم البقاره . وكان هؤلاء قد جاءوا من الغرب والشمال الغربي ثم نزلـــوا برنو وواداي . واستقروا بها فترة من الزمن ثم تحركوا شرقا الى كردفان ودارفور . وأن بعض البقارة يؤكدون أن اجدادهم جاءوا من تونس الى الاقطار الواقعـــة

---

(1) Arkell,A.J.: OP. Cit. P. 195

(2) Arkell,A.J.: ibid . P. 201.

الى الغرب من دارفور ، بعد أن أتاها بها نفر من اليمن وشبهوها بالحضارة اليمنية بهذا الاقليم ثم اخذوا بها يجرون الى دارفور وكردفان (١)

وأن عددا كبيرا من القبائل السودانية جرت جدها من تونس والجزائر ومراكش الى الاسكندرية في القرون التي أعقبت الغزوات الهلالية لشمال افريقيا ، ثم رحلوا الى برنو فالسودان ، وقد جاءوا معهم ببعض العادات الشائعة في السودان مثل الختان والدية (٢) .

وأن بعض العرب في برنو يطلقون على القبائل هناك اسم شوا ، وقد نسبوا هذه التسمية الى الشرق وأن بني جهينة ، أجتازوا في القرن الرابع عشر بلاد النوبة ، ثم أندفعوا جنوبا من بلاد النوبة الى شمال كردفان ثم منها مباشرة الى برنو وأن الكثرة العظمى من البقارة قد وصلوا الى أوطانهم الحالية في السودان وواداى وبرنو في اقليم نهر النيل ، وأن ملاحظة لغة البقارة في برنو تدل على أنهم جاءوا من الشرق (٣) .

وقد نمت أواصر الصداقة العلاقات الطيبة بين مسلمي حوض بحيرة تشاد وبرنو وبين سكان السودان الشرقي ، وقد ازدادت هذه العلاقة توثقا بمرور الزمن (٤) .

---

(١) محمد عوض محمد : السودان الشمالي ، ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ .
(٢) محمد عوض محمد : المرجع السابق ، ص ٢٣١
(٣) محمد عوض محمد : المرجع السابق ، ص ٢٣٢ـ٢٣٣
(٤) ابراهيم طرخان : المسلمون في غرب افريقيا ( مجلة اداب القاهرة ) عدد ٢٢ ص ١٢

وقد أثبتت الدراسات الاركيولوجية التي قام بها فريق من العلماء في تلال دارفور أن السودان الشرقي لم يكن بمعزل عن بقية ممالك المنطقة فيما على الاقل حتى حوض نهر النيجر . وقد كانت هناك علاقات مع برنو خلال العصور الماضية وأن تلال دارفور والتي كانت بها مدينة اورى القديمة كانت مقر الرياسة لادارة كانم في دارفور (١) .

وكانت مدينة اورى هذه حلقة من سلسلة المدن التجارية التي أخذ حجمها يتضخم في ظل الامبراطورية ومن دراسة تاريخها يتضح أن دارفور يمكن اعتبارها الحلقة التي ربطت بين النيل والنيجر زمنا طويلا . وفي نهاية القرن الثامن عشر كان دارفور ووداي كانتا تدفعان الجزية لسلطان برنو . وأن دارفور كانت تعتبر جزءا من ملوك برنـو (٢) .

وإن الاسلام جاء من الغرب عن طريق برنو . أكثر مما جاءت من الشرق ذلك أن بعضا من حجاج برنو . كانوا يسلكون طريق دارفور في اثناء ذهابهم لتأدية فريضة الحج وأن هذا الطريق كان معروفا لحجاج السودان الغربي منذ أزمنة طويلة وقد يكون هذا الطريق أسهل من استخدام طريق طرابلس

---

(١) شريف محمد شريف : توطين العناصر الافريقية في السودان ، مجلة آداب القاهرة ، عدد ٢٤ ، ص ٢٠ .

(٢) شريف محمد شريف : المرجع السابق ، ص ٢١ – ٢٢ .

ـ مصر ، وأن الرحلة بين دارفور ـ وبرنو ترجع الى العصور الوسطى ومن المحتمل أكثر بعدا من ذلك (١) .

ولا بد أن يكون لوقوع دارفور ، وتعرض الاقليم لمختلف المؤثرات السلالية أثر واضح في التكوين البشري للاقليم . ذلك أن هذا الاقليم الذي يعتبر أساسا من أسس العلاقات السياسية مع برنو قد خضع لمؤثرات سياسية كان لها الكبير الأثر في دارفور ، أن لم يكن في كردفان (٢) .

بل أن هناك آراء تقول أن دارفور ترجع في الاصل الى العرب الذين قدموا من السودان الغربي ومن مراكش وتونس وطرابلس على القبائل التي تسكن الصحراء وفرضوا نفوذهم عليها وأن هذه الهجرات ، أخذت تعبر المسالك الصحراوية التي ببرنو ثم الى دارفور (٣) .

ولكنه في أوائل القرن التاسع عشر كان بوركهارت يذكر أن العلاقات بين شرق السودان وغربه لم تكن من الصلة الوثيقة ، وأن هناك قلة من أهالي برنو الذين يقصدون الاراضي المقدسة يسافرون عن طريق بحر الغزال الى دارفور رأسا ، وأن الرحلة من دارفور الى برنو تستغرق خمسة وعشرين الى ثلاثين يوما وأن الدروب التي تسلكها لا يكاد يجد المسافر بها أثر للماء فيها وأن هذا

---

(١) Lewis,L.M. Islam in Trapical.P. AfricaPP. 43.

(٢) محمد عوض محمد : السودان الشمالي ، ص ٢٦٣ .

(٣) شوقي الجمل : تاريخ سودان وادي النيل ، جـ ٢ ، ص ٢٥٢ .

هذا الطريق قد هجر لفترة طويلة بعد أن كان طريقا هاما من مواصلات الربط بين دارفور وبرنو (١) .

ولقد كانت القبائل العربية كما سبق الاشارة الى ذلك ـ وهجراتها في السودان الشرقي الى برنو أكبر دليل على وجود روابط سياسية بين البلدين وأن هذه الهجرات جعلت دارفور أكثر صلة بالاقاليم العربية منها بالاقاليم الشرقية وأن بعض القبائل كانت تنتقل من السودان الشرقي الى السودان الغربي ومن السودان الغربي ( برنو ) الى السودان الشرقي وأنها كانت تعتمد في تنقلاتها على الجمال (٢) .

وبهذا يمكن القول أن السودان الشرقي وخاصة دارفور ، وكردفان قد ارتبطت مع برنو بروابط سياسية قوية وأنه كانت هناك اتصالات دائمة بين السلطنتين في الظروف التي كانت تقف فيها وداي وباجرمي حائلة دون وجود هذا الاتصال وقد أشار الى ذلك بوركهارت بأن العداء بين برنو ووداي ، حال دون وجود سكان برنو في السودان أو أي سكان من الاقاليم التي تقع غرب باجرمي (٣) .

---

(١) بوركهارت : رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان ص ٥٦ .

(٢) محيي الدين خليل : لغة البقارة في غرب السودان ( رسالة دكتوراه ـ آداب القاهرة ) ، ص ٢٣ .

(٣) بوركهارت : نفس المرجع ، ص ٢٧٠ .

## ثانيا : العلاقات الثقافية

### أ- العلاقات الثقافية مع مصر

كانت مصر بسبب مكانة الأزهر ، مقصد لطلاب العلوم الدينية والثقافات الاسلامية من شتى أنحاء العالم كما كان الأزهر مصدر الدعوة الاسلامية الى مختلف الشعوب ، وأن علماءه ، قد أسهموا في جميع المعارف والعلوم ، وفي مستهل القرن الخامس عشر الميلادي ، اتخذ فريق من العجم والمغاربة والصعايدة وأهل ريف مصر ، الأزهر سكنا لهم ، وقام كل فريق من هؤلاء الطلاب في مكان خاص به أطلق عليه اسم رواق ، وأصبح الأزهر منذ ذلك الوقت عامرا بمجالس الوعظ (1) .

وكثرة الأروقة داخل الأزهر وكان من بين هذه الأروقة رواق برنو ، وهو داخل رواق الجبرت وطلبته عشرة طلاب وكان طلبة برنو ضمن الطلاب الذين يلحقون بالأروقة والذين يبلغ عددهم ٢٥ طالبا ، ومعظمهم من الشرقيه

وكان رواق البرنوية يقع في زاوية الرحمة المتوفية خارج باب الأتراك بين رواق الأتراك ورواق السليمانية ، وأن الأمير عبد الرحمن كتخدا جدده رواق الفيوميين (2)

---

(1) وزارة الأوقاف وشئون الأزهر : الأزهر تاريخه وتطوره ، ص ٤٥ .

(2) سليمان الزياتي : كنز الجوهر في تاريخ الأزهر ، ص ١٠٣

وكان طلاب الاقطار الخارجية ومنهم طلاب برنو ، يأتون الى الازهر وهم كبار السن ، فوق العشرين سنة ، وأكثرهم لا يحفظ القرآن وكثيرا منهم يكون قد طلب العلم في بلاده قبل قدومه الى الازهر في مصر (١) .

وبالاضافة الى الطلاب البرناوية الذين كانوا يدرسون في الازهر ، نجد أنه قد استقرت في مصر ، طوائف من بلاد التكرور لتشهد حلقات العلم بالجامع الازهر وتستمع من شيوخه المصريين امثال ابن الجوزي وابن حسان وغيرهم وكذلك لجأ بعض الوافدين على مصر منهم الى الانقطاع للعبادة وللالتحاق بالطرق الصوفية واشتغل البعض الاخر بالتنجيم وضرب الرمل ، وبات فقراء التكرور في مصر ، موضع العطف والرعاية من السلاطين (٢) .

وان الطلاب الذين تعلموا في الازهر ساهموا بنصيب كبير عند عودتهم الى برنو في شتى نواحي الحياة الثقافية والفكرية والسياسية والدينية والاجتماعية بل والاقتصادية (٣) .

ولقد نمت العلاقات الثقافية بين مصر وبرنو ، بل أكثر من ذلك أن هذه العلاقات بدأت تزدهر في العصر المملوكي ، وذلك لان العصر اعتبر بأنه من أزهى عصور مصر الاسلامية وأصبحت مصر بحق زعيمة العالم الاسلامي

---

(١) سليمان الهادي : المرجع السابق ، ص ٢٩٧ .
(٢) حامد عمار : علاقات مصر بالبلاد الافريقية في العصور الوسطى ص٨٠
(٣) محمد عبد المنعم خفاجي : الازهر في الف عام ، ص ٦

وكان لهذا اثره الكبير في الادب والعلم وقامت في مصر نهضة علمية كبيرة وانتشرت كتب العلماء المصريين في البلاد الاسلامية شرقا وغربا ، ووصلت بعض هذه الكتب الى بلاد برنو (١) .

وتركت مصر اثرا واضحا في عادات برنو ، اذ نجد أن العادة التي جرت في برنو في وقت الفيضان حيث يفيض النهر الذي يخترق اقليم برنو ، أن يأمر الملك بجارية مزينة بافخر الثياب فيلقى بها في مجرى النهر وهذه العادة إن صحت روايتها تدل على بقاء تلك العادة المصرية القديمة في تلك المنطقة (٢) وقد أيدها في كتابه انفاق الميسور تلك الرواية فقال عن أهل برنو أنهم يضحون للبحر كما كانت تفعل القبط للنيل في مصر ايام الجاهلية (٣) .

ومن الثابت أيضا أن الحجاج السودانيين في ذهابهم لمصر لم يكن لمجرد المرور أو العبور للاراضي المجاورة ، بل لاحساسهم العميق بأهمية مصر في حياتهم ، فقد كان لمصر وجه حضاري مشرق ، ولذلك قصدها الحجاج متشوقين لمشاهدة ذلك المركز من جميع جوانبه الفكرية ، كانت مصر وسيطا حضاريا وتجاريا بين تلك البلاد الافريقية ، ومناطق اخرى من العالم ، ولا شك

---

(١) عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي الاول ،
(٢) عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية في السودان ، ص ١٠٤ .
(٣) محمد بلو : انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ، ص ٢٩ .

في أن أهالي تلك البلاد قد استفادوا من تفاعل الحضارة العربية الاسلامية بالحضارات الاخرى وإلى جانب هؤلاء الحجاج فقد شهدت مصر وبلاد السودان النيلي والاوسط بالرابطة الثقافية والفكرية [1] .

ولقد كان للتجار الكارمية دور هام في العلاقات الثقافية بين مصر وتلك البلاد . ذلك لانهم كانوا اداة طيبة لنشر جانب من الثقافة العربية . فضلا عن نشر اللغة العربية . وأيضا مما زاد الروابط الثقافية . وعنصر الثقافة العربية في برنو . أنها كانت تجاور مصر من ناحية الواحات وكان اتصالها بمصر تأكيدا لروح الاخوة الاسلامية واستفادت من الخبرات الثقافية والعلمية [2] .

وبالرغم من أن هدف أولئك التجار الكارمية كان نقل منتجات بلادهم وما يسد حاجتها الضرورية الا أنهم فضلا عن ذلك رسلا للحضارة والمدنية . فالعمل التجاري كان يتطلب الاحتكاك بأهل البلاد . ومن ثم تقبل الوان من الثقافة العربية اليهم من ناحية أخرى . ويرجع أولئك التجار الى بلادهم بانطباعات حية عن الحضارة العربية ومزايا حضارتها وبهذه الطريقة يصبح تفاعل

---

(١) سر الختم عثمان : علاقات مصر مع السودان في العصور الوسطى ، ص ٢٠٨

(٢) سر الختم عثمان : المرجع السابق ، ص ٩١ .

الثقافة أمرا ميسورا وهكذا ساعدت التجارة في تدعيم أسباب التفاهم والتعاطف الانساني بين بلاد برنو وبلاد شمال شرق القارة . ولا بد أن نذكر أن الصلة المباشرة بين الطرفين تعد عنصرا حيا وبارزا . حيث أن رجال برنو اتصلوا برجال الدولة في مصر وأيضا العلماء . ويدل ذلك على أن مصر . أخذت المركز العلمي المعظم بعد أحداث المغول على الوطن الاسلامي واستيلاء المسيحيين على الاندلسيين هنا لك أصبحت مصر كعبة العلم والعلماء (١) .

ولقد تكررت زيارة سلاطين برنو الى مصر ومرورهم بها أثناء ذهابهم لأداء فريضة الحج وبذلك فان صلة مصر ببلاد برنو قد توطدت وظهر أثر الثقافة المصرية الاسلامية في بلاد برنو في شراء كتب المالكية وتشجيع ارسال البعثات الطلابية الى مصر . وكان المعلمون يعودون من مصر ليحتلوا مراكز القيادة في بلادهم فكان منهم الائمة والقضاة والمعلمون في المدارس والمساجد ولم تقتصر تلك النهضة التي يعيشها هؤلاء العلماء على الجانب

---

(١) سعيد عاشور : المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك . ص ١٤١ .

النظرية بل تعدتها الى الجوانب العملية بعد وأن الطلاب اعتادوا كثيرا من الحياة العلمية والتعليمية في مصر خلال القرن السابع عشر الميلادي الى درجة أصبحت فيه بعض المدن السودانية في حياتها العلمية صورة مصغرة للمجتمع المصري . ونستطيع أن نلمس هذا الاثر في النظام التعليمي حيث يشير السعدي الى قيام حلقات الدرس التي يجلس فيها الطلاب حول معلميهم كالتقليد العلمي المعروف . وكان نظام الحلقات العلمية هو نظام الدراسة المختارة وقت انشاء الجامع الازهر (١) .

وكذلك وصلت مؤلفات العلماء المصريين الى هذه البلاد ومنها مؤلفات السيوطي وغيره من العلماء المصريين وقد شاعت هذه المؤلفات في تلك البلاد وكان الوافدون من تلك البلاد الى الجامع الازهر يتعمقون في فقه المالكية وأنشأوا في مصر مدرسة لتعليم مذهب مالك بالفسطاط (٢) .

وكانت مدرسة بني رشيق هذه ضمن مدارس القاهرة . وهي مدرسة للمالكية ولها في بلاد التكرور سمعة عظيمة . وقد بناها بني رشيق . وما لهما أي اعانة الامن جهتهم في كل سنة . وأوقافها ضعيفة . ودرس بها الشيخ الامام علم الدين بن رشيق الحلبي حين وفاته تدريسا وإمامة . ثم استقر

---

(١) عبد الرحمن السعدي : تاريخ السودان . ص ٢٦ .

(٢) حسن أحمد محمود : الثقافة العربية في أفريقيا . ص ٢٥٨ .

فيها بعد ، ولده قاضي القضاة ، زين العابدين . وكان التكارير اذا قدموا من بلادهم قاصدين الحجاز ، قبل بلادها ينزلون عند القاضي ، علم الدين بن رشيق ، في داره عند حمام الريش ، قد عمر اليه مالا عمر به المدرسة ودرس بها (١) .

كذلك فانه من خلال الوثائق التي نشرها بالمر والمخطوطات التي حواها كتابه يتبين مدى العلاقة الثقافية التي ربطت مصر ببلاد برنو . ومن رحيل بعض العلماء من برنو الى الجامع الازهر وحجهم الى مكة وزيارتهم بغداد . ثم عودتهم الى بلادهم لاشتغالهم بالعلم وتعليم الحديث والتفسير وشرح الآيات القرآنية الكريمة . والافتاء في المسائل الدينية التي تهم الرعية (٢) .

كذلك كان بعض علماء من مصر قد رحلوا الى برنو وقاموا بالتدريس والافتاء ومنهم جلال الدين السيوطي . اذ نجد أنه يذكر في ترجمته عن نفسه " أني زرت بلاد اليمن والهند والمغرب وبلاد التكرور (٣) " .

ومن ذلك فانه يمكن القول أن مصر لم تكن بمعزل عن بقية القارة الافريقية وما يجري فيها . إنما كانت تؤثر في الممالك الافريقية وتتأثر بها وخاصة تلك الممالك التي كانت تجاورها جغرافيا . ويظهر ذلك واضحا

---

(١) ابن دقماق : الانتصار بواسطة عقد الامصار . ص ٦٦ .

(٢) palmer;R.: The Bornu shara and sudan.P. 35.

(٣) السيوطي : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة جـ ١ . ص ١٦٠

فى برنو ، وهو أحد وجوها بين الجماعات الاسلامية التى تعيش فى برنو .

وقام أحد التجار الذين كانوا يسكنون القاهرة وهو برهان الدين التلمسانى ، ببناء مدرسة الى جانب قصره لتستقبل طلبة العلم فى ذلك الوقت وساهم بدور فعال وهام فى تعميق الاثر الثقافى فى مصر فى بلاده ، برنو بالثقافة العربية الاسلامية فى مصر (١) .

وكان من أثر الثقافة العربية ، أن انتشر اسلام انتشارا واسعا فى بلاد برنو وقامت الحركة الاسلامية فى جنوب البلاد ، وأندفعت القبائل الوثنية الى اعتناق الدين الاسلامى ، بدافع من مجاورتها للعرب ، وبسبب تمسك العرب بدينهم الاسلامى تمسكا شديدا وتأثرهم بالثقافة العربية المتجددة القادمة مع الحجاج والتجار من مصر (٢) .

---

(١) صبحى لبيب : التجارة الكارمية وتجارة مصر فى العصور الوسطى ، المجلة التاريخية ، ص ٤١ .

(٢) ابراهيم صالح : تاريخ الاسلام وحياة العرب فى امبراطورية كانم - برنو ص ٢٠٢ .

## العلاقات الثقافية / دول الشمال الافريقي :

اتصل أهل برقو ببلاد المغرب اتصالا وثيقا ، واستفادوا من المراكز الثقافية الاسلامية في تلك البلاد وقد كانت هذه الاتصالات الثقافية ايجابية وعلمية ومن جراء هذه الاتصالات لأن الثقافة العربية التي سادت في تلك البلاد قد غلب عليها طابع الثقافة المالكية الرئيسية ، وكانت كلها تقريبا تدور حول فقه مالك والعلوم المساعدة الاخرى ، التي تعد مفتاح الفقه وتساعد على فهم هذه الثقافة المالكية التي ازدهرت في القيروان .

وعلى هذا فانه قل أن يوجد مذهبا في تلك البلاد الا مذهب الامام مالك ولا فقه الا فقه الامام مالك فقد كان من جراء هذه العلاقات الثقافية التي ربطت بلاد برقو بالمغرب ، أن كان الفقهاء مالكيين في حياتهم وعقائدهم وأحكامهم وأقضيتهم وفي دينهم ، والشعوب مالكية تتأثر بهؤلاء الفقهاء ، وقد كادت مدارس الثقافة الاسلامية أن تكون مذهبية بحتة فكأن هذه المدارس في فاس أو القيروان أو طرابلس [٢] .

وكذلك حتى طريقة الكتابة نفسها تأثرت بالطابع المغربي فالقلم المغربي المستخدم في الكتابة هو القلم المغربي ، وحتى نفس المصاحف والكتب المتداولة

---

(١) حسن احمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٦٧ .

كانت الكتب المالكية المغربية تدرس في مدارس برنو أو في أي مكان تسرب إليه الإسلام أو مذهب مالك . كانت الثقافة في برنو ثقافة مغربية في أرض سودانية . وبما صح الروابط بين جامع الزيتونة في تونس ، صار له صيت ذائع في الأقطار الافريقية [1] .

وليس هناك شك في أن طلابا من برنو ، قد رحلوا الى بلاد المغرب لتلقي العلم في مساجد فاس والقيروان أو طرابلس والزيتونة ، وذلك لان بلاد المغرب كانت منبعا أصيلا للثقافة العربية ، فقد نزحت بعض القبائل المغربية الى تلك البلاد ، وأنه ربما قد رحل معها عددا من العلماء المغاربة كانوا دعاة لاتجاه أخرى من المغاربة ، لحقوا بهم في أزمان مختلفة وأيضا فان هؤلاء العلماء الذين هاجروا من شمال افريقيا الى بلاد السودان الغربي والاوسط ، اثروا في طبقة سودانيين ، لان مذهبهم ، مذهب مالك المالكية وأن كثيرا من هؤلاء المعلمين الذين انتشروا في بلاد برنو ، قد تعلموا في مساجد القيروان ، وفاس ، ويقال أن أكثر من ألف داع من دعاة الاسلام يغادرون طرابلس كل سنة للعمل في نشر الاسلام في بلاد السودان ولا شك أن عددا من هؤلاء الدعاة ، قد وصل الى برنو

---

(١) السعودي : الخلاصة النقية في أمراء افريقية ، ص ٦٤ .

وأن بعض الطلاب كان يشق طريقه سيرا على الاقدام الى هذه المراكز الاسلامية في الشمال الافريقي . فاذا انتهوا من دروسهم في الدين والشريعة الاسلامية ، صار كثيرا منهم معلمين اهالي بلادهم الوثنيين ، بل يقوم هؤلاء في المدن التي يستقروا بها بانشاء المدارس لكي يتلقى العلم بها ، أطفال الوثنيين والمسلمين على السواء (١) .

وقد ظهر في بلاد المغرب عدد من علماء برنو , نبغوا في نظم الشعر العربي وفي رواية الاخبار وفي التفقه في الدين الاسلامي ، بل أكثر من ذلك كانوا حجة في المسائل الدينية ، ولا يختلفون هذا عن زملائهم علماء المغرب الذين ارسلوا عليهم وتعلموا منهم اصول هذه العلوم (٢) .

ومما يدل على وجود روابط ثقافية بين بلاد المغرب وبلاد برنو أننا نجد أن لقب سلطان برنو والذي كان يلقب بالماي ، وهو يعني السلطان قد تكون له علاقة بالقسطاي الذي كان يطلق على سلطان تونس (٣) .

وكان طلاب برنو الذين يدرسون في بلاد المغرب ، يحضرون معهم عند عودتهم الى بلادهم كثيرا من الكتب الدينية وأن بعض هذه الكتب نسخوها في بلاد المغرب (٤) .

---

(١) أرنولد : الدعوة الى الاسلام ، ص ٢٦٨ .
(٢) عبد المجيد عابدين : قبائل من السودان الاوسط والسودان الغربي ص ١٠٢
(٣) عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية في السودان ص ٤٩
(٤) Hogher,S.J.: The Muhammaden onivtes of Nigeria.P.197

وبما دعم العلاقات الثقافية ، وجود العلاقات التجارية ، وطرق التواصل السهلة بين بحيرة تشاد وطرابلس عن طريق فزان ، فأنها كانت عاملا هاما في نشر الثقافة العربية الاسلامية ، وأيضا فأنه لما انتقلت القيادة السياسية للبلاد من كانم الى برنو ، أصبحت برنو مركزا لسلطنة اسلامية عظيمة ، وذلك بسبب انتشار القبائل العربية ، مثل قبيلة الشوا وغيرها من القبائل العربية الى تلك المناطق ، ذلك أن هذه القبائل لم تكن تكتفي بادخال الاسلام الى تلك الديار بل طبع البلاد بطابع عربي وذلك بنشر اللغة العربية [1] .

وفي عهد السلطان ادريس الوما ، فان السلطان المنصور سلطان المغرب الاقصى ، أرسل له صورة من البيعة والخطبة باسم أمير المؤمنين سلطان المغرب ، والدخول في طاعته وبما يكون قد أرسل بعض العلماء المغاربة مع رسل السلطان ادريس لتعليم الناس أمور الدين الاسلامي الصحيح والبعد عن الخرافات [2] .

على أن تأثر ثقافة برنو بثقافة المغرب لا تعني أن جزء الثقافة الى زوارة وهنا من ثقافة المغرب ، فالعلماء والفقهاء من أهل برنو ، والذين تعرضت لهم كتب التراجم ، لا يقلون في مستواهم وتحصيلهم من أخوانهم

---

(١) ابراهيم طرخان : الدولة الاسلامية في افريقيا السوداء ، ص ٢٣١ .

(٢) السلاوي : الاستقصا في أخبار المغرب الاقصى ، جـ ٥ ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦

الثقافية ، فقد تلقوا نفس التعليم ودرسوا في نفس المدارس ، وبرزوا في ميدان الثقافة ، ويلاحظ أن المراكز الثقافية التي قامت في برنو ، كانت صغيرة إلا أنها كانت على اتصال وثيق ببلاد المغرب والجزائر وتونس وطرابلس ، كان علماء المغرب دائمي الرحلة الى بلاد برنو وأن هذا الاتصال كان من أهم العوامل التي ساعدت على انتشار الاسلام وفي تطور الثقافة الاسلامية في برنو (١) .

ويلاحظ أن التأثير المغربي لم ينقطع أبدا طوال العهد بالاسلام ، وكانت التجمعات الاسلامية في شمال السودان تقوم بدورها في نشر الاسلام والثقافة الاسلامية في المناطق الواقعة الى الجنوب ، وكان هذا الاتصال والتأثير واضحا وقويا ذلك أن اقليم فزان بطرابلس لم يكن يبعد عن بلاد برنو ، أكثر من مسيرة أسبوعين بها ، وعبر هذا الطريق اتصل المغرب بالسهل الخصيب الواقع جنوب الصحراء اتصالا وثيقا ذلك أن المسلمين قد أحيوا طرق الواحات ونظموا القوافل وأمنوا الطرق فبدأ المغرب الاسلامي يؤثر بثقافته وحضارته وسياسته (٢)

وكانت برنو حريصة على الاتصال بالمغرب الاسلامي وليس ذلك فقط بل حريصة على الاتصال بالعالم الاسلامي كله .

---

(١) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٠١ .

(٢) حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص ٢١١ .

ولقد ظل علماء وفقهاء يرون أخوانهم فقهاء المشرق في وقفة المجتمع في الدفاع عن حقوق الناس ، والثورة على الظلم والمجاهرة بنقد الحكام وكان هذا حال فقهاء يرون بعدها تلك الايام في البلاد (١).

---

(١) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٢٥ .

## ج / الصلات الثقافية مع غرب افريقيا

للحديث عن الصلات الثقافية بين بلاد برنو ، وبلاد غرب افريقيا ، لابد من أن نبين الدور الذى لعبته مدينتى تمبكتو وجنى فى نشر الثقافة العربية فى برنو ، ذلك لان مراكز برنو الثقافية قد نمت وازدهرت فى ظل الامن والطمأنينة ، ومن خلال عمل سلاطين البلاد على تشجيع الحركة العلمية فى البلاد ، ودعم الروابط بين برنو والمراكز الاسلامية المختلفة فى غرب افريقيا وارسال الطلاب والعلماء للتزود بالعلوم الاسلامية [1] ، وذلك لان تمبكتو وجنى اصبحت مكانتهما الثقافية لا تقل عن مكانة القيروان فى افريقية أو فى فاس فى المغرب الاقصى أو قرطبة فى الاندلس والقاهرة فى مصر .

ذلك أن تاريخ الثقافة العربية الاسلامية فى هذا العالم الافريقى ، قد ارتبط بتاريخ مدينة تمبكتو ، فقد كانت هذه المدينة بحق مركز الثقافة وقلب الحركة الفكرية النابض ، أجتمع فيها العلماء من كل لون وجنس ، فنجد المغاربة والاندلسيين والمصريين والحجازيين وفد اليها الناس من كافة غرب افريقيا ، فى السنغال والنيجر ، وامارات الهوسا وبرنو وكانم والسودان وكل هذه الطوائف كانت تذهب الى هذه المدينة لتقيم فيها بحثا

---

(١) حسن محمود : نفس المرجع ، ص٢٢٢ .

ثم ترحل أو تقيم اقامة دائمة (1) . وكانت الكتب تحمل اليها من مختلف جهات العالم الاسلامى ، ثم تنسخ وتباع فى المدينة الامر الذى كان يؤيد الحركة الفكرية فيها وبذلك فان تمبكتو لم تكن مدينة محلية الطابع . انما كانت عالمية اتصلت بالبيئات الاسلامية المعاصرة ورحل اليها الطلاب الزنوج طلبا للعلم وعما فيه وجود لتداول الكتب والبحث ودراسات الاسلامية والآثار الدينية . فنجد أن . الكتب التى كانت تدور حول فقه مالك والتى كانت تدرس فيها كانت تدرس ايضا فى مدارس برنو . وفى أى مكان تسرب اليه الاسلام . أو فقه مالك ومن هنا كان العلاقات الثقافية التى اقامتها برنو مع غرب افريقيا قد توطدت وزادت . وذلك فى الوقت الذى كانت فيه اوربا تعيش فى العصور الوسطى (2) .

وبعد سقوط الاندلس كان العلماء رحلوا الى غرب افريقيا . وأقام عدد منهم فى تمبكتو وبعد أن بعضا منهم رحل شرقا الى برنو . وقاموا بالتدريس والوعظ على أنه مهما يكن فان مدارس برنو لم تصل مطلقا الى عظمة تمبكتو وكان ذلك هو الدافع فى أن يرحل طلاب البرنو اليها . بعد أن يكونوا قد حفظوا أجزاء من القرآن الكريم فى مدارسهم (3) .

---

(1) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٧٣ .
(2) صلاح صبرى : افريقيا وراء الصحراء ، ص ١٦٣ .
(3) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٧٢ .

وكانت أوضاع المراكز الثقافية تتأثر بالأحوال السياسية كما تأثرت تمبكتو . فإنه عندما تكون الدولة قوية فإن هذه المراكز الإسلامية تزدهر وتمارس نشاطها الطبيعي في نشر الأفكار والثقافة الإسلامية . أما إذا كانت الدولة في حالة من الضعف فإن هذه المراكز تنكمش ولا تستطيع أن تؤدي رسالتها علـــى خير أداء[1] .

وفي ذلك فإنه بعد تدمير تمبكتو على أيدي المراكشيين عام ١٥٩٠ ميلادية أخذ معاهد الثقافة الإسلامية التي كانت تشع من تلك المدينة في الذبول . ويسجل حتى ضوء الثقافة الإسلامية . وقد ترك ذلك أثره على الحياة الثقافية والعلميــة في برنـــو (٢) .

وكان من أثر الغزو المراكشي لتمبكتو أن يرحل بعض رجال العلـــم إلى برنو بعد أن حملوا معهم كتبهم . وذلك لكي يحتفظوا بها . وأيضـــا فإنه عندما هزم الأتراك شمال افريقيا ومصر . فقد كانت هذه فرصة قويـــة للحضارة الإسلامية العربية في برنو ومن ثم فإن الحضارة العربية الإسلاميـــة في بلاد السودان بدأت تتوغـــل .

وقد كانت برنو . ومالي وغانا من أهم مراكز الحضارة السودانية ولكنهـــم

---

(١) Hoghenga S.J.: The Mohammeden emirtses of Nigeria P. 39.

(٢) Ward, E.W.: A history of Africa P.P. 74 - 79.

مختلفين من حضـــــارة العرب في الشمال وحضارة الزنوج الافريقية في الجنــوب . ولقد أثرت برنو تأثيرا قويا في حضارة السودان الاوسط وأصبحت سنغاى ارتباطـــا ثقافيا قويـــا (١) .

وتركت برنو آثارا حضاريا اسلاميا قويا في امارات الهوسا . ذلك أن كثيرا من العلماء الذين عاشوا في برنو . قد رحلوا الى امارات الهوسا . وأحضـــر هؤلاء العلماء معهم الكتب الدينية والعبارات والكتابة العربية . والخط البرنوسي الى امارة كانو وغيرها من امارات الهوســا التي خضعت لنفوذ برنو السياســـي والاخص الامارات الشرقية منها والتي تأثرت حضاريا وثقافيا ببرنـــو (٢) .

ولكن هذا التأثير الاسلامي القوي لبرنو في امارات الهوسا الشرقيـــــة قد أزداد قوة في القرن السادس عشر الميلادي وذلك اثر خضوع هذه الامارات لسلطة برنو السياسيـــــة . ومن هنا فان برنو استطاعت أن تدعم تأثيرهـــا الثقافي بعد أن دعمت نفوذها السياسي (٣) .

وجاء أيضا العلماء الى برنو من مالي وسنغاى والاقاليم الشرقية وجـــاء اليها ايضا من بلاد الفلاته وأشار الى ذلك صاحب كتاب أنفاق الميسور فقـــال انه حضر عدد من العلماء الى برنو لحضرة السلطـــان عمر بن حســام منهم

---

(١) shin nie ,M.: Ancient African Kingdoms.P. 70.

(٢) Halt, : The cambridge history of slam vol. 2. P. 357.

(٣) مصطفى مسعد : الاسلام وحركة الثقافة الاسلامية في غرب افريقيا ص٥٢.

الشيخ الولي بن الجرمي ، وبالأعياد الحسن والحسين ويسمهم جميع أكبر من أبنائهم وقد حدثت ثقافة في جهة ، بأثر الثقافة التي حول هذا العالم ولاية (١)

كذلك فقد كان للتجارة التي كانت قائمة بين بلاد غرب القارة الأفريقيـــة وبين برنو أثرها في تشجيع الحركة العلمية في البلاد ، إذ نجد أن العلمـــاء والطلاب ، لا يقدر لهم الذهاب إلى تلك البلاد إلا بصحبة القوافل التجاريـــة وأيضا فإن القاهرة والأزهر والكتـــب الإسلامية والمساجد تركت أثرا كبيرا في تبادل المعرفة بين غرب أفريقيا وبرنو (٢) .

وأن كثيرا من الحجاج كانوا يأتون من الأقاليم الغربية حتى تمكنوا أو يمرون ببلاد برنو وهم في طريقهم لتأدية فريضة الحـــج (٣) .

ولا شك في أنهم كانوا ينتظرون بعض الوقت في تلك الديار حتى يتـــم تجهيز قافلة الحج التي كانت تمضي كل عام من برنو قاصدة الأراضي المقدسة فـــي الحجاز ولا شك أيضا في أنهم قد تزودوا بالثقافة الإسلامية الموجودة في ذلـــك الوقت في برنـــو .

---

(١) محمد بلو : إنفاق الميسور في ذكر بلاد التكرور ، ص ٢

(٢) إبراهيم طرخان : الإسلام واللغة العربية في غرب أفريقيا : مجلة آداب ، القاهرة ، عدد ٢٢ ، ص ٥٢ .

(٣) بوفهارت : نفس المرجع ، ص ٣٢٢ .

وليستدل على دور برنو الثقافى وصلاتها الوطيدة مع بلاد غرب افريقيـــا من اننا نجد أن الحاج عمر ، والذى لعب دورا هاما وبارزا فى تاريـــخ السودان الغربى ، فى منطقة السنغال بالذات ، أنه أثناء ذهابه لتأدية فريضـــة الحج الى مكة وأيضـــا أثناء عودته الى بلاده ، والتى استغرقـــت بضع سنوات ، فانه قضى فترة طويلة من الوقت فى برنو وتزود بالعلـــوم الدينية ، ودرس الكتب الموجودة فى برنو واطلع عليها وتلقى علـــى أيدى علماء برنو بعض التعاليم الاسلامية الصحيحة ، وربما يكون قد أخـــذ معه بعض الكتـــب التى يتم نسخها فى برنو (1) .

---

Trimingham, J.S.: A history of islam in west Africa P. (1) 181.

## (( د / العلاقات الثقافية مع السودان ))

اذا كانت برنو قد بسطت نفوذها السياسي على بلاد السودان ، وخاصة الجزء الشرقي منه في بعض فترات التاريخ وخاصة في القرن السادس عشر الميلادي فمما لا شك فيه أن هذا النفوذ السياسي قد ترك تأثيرا ثقافيا قويا على بلاد السودان ولا بد أنه قامت صلات ثقافية قوية بين البلدين .

وقد تمثل ذلك في التأثير اللغوي ، اذ نجد كلمة الفاشر ، وهي أحدى مدن غرب السودان الهامة وهي كاسم له يكاد مشتق من لغات اقليم البرنو ، وأيضا فان التأثيرات العربية التي أنتشرت من ليبيا الى الجنوب ، ثم الى الشرق ، قد تركت تأثيرا قويا في بلاد السودان ، كذلك فان استخدام كلمة ميرام وهو اللقب يطلق على كل بنت من بنات السلطان في دارفور ومعناه الاميرة قد أخذ عن سلطنة برنو (١) .

واستخدام لفظ الفاشر في السودان كعاصمة ، نجد أهل برنو كانوا يستخدمون هذه الكلمة بمعنى الساحة الواسعة امام قصر السلطان ، وأن تقسيم سلاطين الفور ممالكهم الى أربعة أقسام هي الشمال والجنوب والشرق والغرب قد أخذ من اقليم بحيرة التشاد ، حيث قسمت برنو بلادها الى أربعة أقسام وكذلك فان المملكة السائدة حول بحيرة تشاد هي مملكة الكــــانى

(١) التونسي : تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ص١١٦

وهي التي كان يتعامل بها الاهالي في برنو ، وأيضا تماثل بها الاهالي في دارفور (1) .

ومما ساعد على تقوية الروابط الثقافية بين بلاد السودان وبرنو أن كثيرا من حجاج برنو ، كانوا يذهبون الى الاراضي المقدسة في الحجاز عن طريق سودان وادي النيل (2) .

ذلك أن هذا الطريق كان معروفا منذ أزمنة قديمة ولم يكن استخدامه أسهل من استخدام طريق طرابلس مصر (3) .

وكانت برنو من أهم المراكز الاسلامية في أفريقيا والتي كان لها الفضل الاكبر في نشر الاسلام والثقافة العربية في دارفور ، وسنار ، فقد عرفت بعض قبائل سيفاجه بحماسها الديني للدعوة الاسلامية ومجهودهم اثرت حركة المرابطين في قبائل السودان الوثنية (4) .

ولقد كانت هناك علاقات مباشرة خلال العصور الوسطى بين منطقة شمال ليبيا وسودان وادي النيل ، وقد بينت الاكتشافات الاثرية ذلك ، وانتشر الدم والمعتقدات والافكار والثقافات بما جاء من شمال ليبيا الى اقليم سودان وادي النيل (5) .

---

(1) محمد عوض محمد : السودان الشمالي ، ص ٢٦٨ ـ ٢٧٢ .
(2) الشاطر بصيلي : تاريخ وحضارة السودان الشرقي والاوسط ، ص ٤٢٢ .
(3) Lewis, islam in trapical Africa. P. 20.
(4) عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية في السودان ص ٢٠
(5) Oliver R., The dawn of African History. P. 61.

وأن الصلة بين برنو ودارفور من ناحية ومملكة الفونج من ناحية اخرى تفسره وثيقة توجيه هامة الحقائق . اذ نجد أن لقب السلطان في برنو هو الماي وهو نفسه لقب السلطان . الذي يستخدم في السودان وأن لفظ الفونج مرتبط بالسيفاوين وهو أحد سلاطين برنو . الذين حكموا البلاد . ومن المعروف ان المؤرخين العرب الذين كتبوا اطلقوا على القبائل غير العربية اسم الفونج . وأن الفونج في مدلول سكان وادي النيل كانت تعني هذه الجماعات التي يسيطر عليها الفونج سلطانهم [1] .

وأن كثيرا من علماء الفونج يرجع اصلهم الى المغرب والاندلس . ولكن هؤلاء العلماء الذين هاجروا من شمال افريقية الى السودان . قد استقروا بعض الوقت في برنو . ثم رحلوا الى السودان الشرقي . والظاهر أن الفونج قد حملوا معهم من غرب افريقيا المذهب المالكي وكانوا من اوائل الذين تمذهبوا في منطقة الجزيرة وكذلك فان طلاب من دارفور قد اختلطوا بزملاء لهم من برنو ووداي وهم يدرسون في الجامع الازهر . ولا شك أن هذا الاختلاط قد ترك اثرا قويا في كليهما . وأنه من بلاد البرنو قد نشطت حركة الجهاد السلمي لنشر الاسلام في الشرق وأن نفوذ برنو الثقافي قد وصل حتى حدود بلاد النوبة ومن ناحية فان الاسلام والثقافة الاسلامية

---

(١) عبد المجيد عابدين : نفس المرجع ، ص ٤٥ ـ ٥١ .

لا بد أنها تسربت الى منطقة دارفور من مصر وبفضل هذه الموجـــات (١) .

وكان السودان طريقا هاما للتجارة بين البحر الاحمر ، وغرب افريقيـــا وهكذا انتشر الاسلام والثقافة العربية فى السودان . ولى غير شك لأن التجار العرب خير دعاة للاسلام فى هذه البلاد ، وما عمق الثقافة الاسلامية والثقافـــة العربية ، قدوم وفود اسلامية من شمال القارة ، وبلاد المغرب والسودان الشرقى وكل هذه الوفود كان لها تأثير قوى على أرض السودان (٢) .

على أن هناك آراء تذكر أن التيار الاسلامى والثقافة الاسلامية ، قـــد اندفعت من السودان الشرقى الى الغرب نحو كردفان ودارفور ومنها الـــى البلاد التى تجاورها غرب (٣) .

وإن كان هذا الرأى لا يخفى أن التيار القوى للاسلام جاء من الغرب ، ذلك أن عرب جذام قد ساهموا بقسط فى نشر الثقافة الاسلامية العربية فى البلاد بين لانهم مضوا فيها واجتاحوا مملكة النوبة وسيطروا على دارفور واتخذوا من هـــذه المنطقة قاعدة لغاراتهم ، على ما جاورهم من الاقاليم ووصلوا حتى برنو ، وأيضـــا

---

(١) عبد المجيد عابدين : نفس المرجع ، ص ١٠٤ .
(٢) شوقى الجمل : تاريخ سودان وادى النيل ، جـ ٢ ص ٢٥٠ .
(٣) حسن احمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٣١ .

كان هناك طلابا من السودان قد وفدوا للدراسة في مدينة تمبكتو ولا شك أن هؤلاء الطلاب وهم في طريقهم الى تلك المدينة قد مروا ببرنو ، وأحتكوا بها بعلماء؟ فتـــــرة من الزمن ونالوا قسطا من الثقافة الموجودة في برنو في ذلك الوقت (١) .

ومن أجل الروابط التي ربطت بين دارفور وبرنو ، أن دارفور كانت عـــلى أيدي الكنجارة الذين قدموا الى دارفور من اقليم بحيرة تشاد وجنوب الصحــــراء الليبية ثم أعقبتها برنو ووداي وصلوا الى دارفور ولا شك أن هؤلاء القوم قـــد أحضروا معهم بعض المؤثرات الثقافية التي تركت طابعها على الحياة الثقافيــــة في دارفور (٢) .

وكان الشيخ السوداني محمد بن أم مريوم ، والذي شدت اليه الرحال فـــي علم التوحيد والتصوف ، والذي بلغ عدد طلبته ألف طالب وجهها ، من دار الفونج الى دار برنو ، وبذلك كان طلابا من برنو قد رحلوا الى السودان طلبا للعلـــم على أحد علمائها وفقهائها ، ويقول الاستاذ أركل أنه كان يوجد في شمال دارفـــور مسجدا أتخذ مكانا للعبادة والتدريـــس (٣) .

---

(١) حسن أحمد محمود ، نفس المرجع ، ص ٣٢٥ .

(٢) عبد المجيد عابدين : نفس المرجع ص ٤٨ .

(٣) Arkell, A.J.: A history of sudan P. 191.

وأن هذا المسجد لا شك قد ساهم بدور كبير في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية في دارفور ، وأن انتشار الإسلام والثقافة الإسلامية قد زاد وتوسع في السودان الغربي في عهد السلطان ، محمد بن ادريس الذي كان رجلا عظيما وعمل على توثيق الروابط الثقافية بين برنو وبلاد السودان (١) .

وأن قبائل جهينة التي هاجرت الى جنوب الهضبة ثم الى شمال كردفان واندست الى دارفور ، ثم منها مباشرة الى برنو ، قد تركت آثرها الثقافي والحضاري في المناطق التي مرت بها ولو لفترة قصيرة (٢) .

واستمر تأثير الحضارة الإسلامية والثقافة العربية والديانة الإسلامية في كردفان ودارفور ووداي وبرنو ، وأما باعاليها وشواطئ النيجر وفولتا العليا وانتشرت اللغة العربية وتحدث بها سكان تلك الأقطار مثل العرب لأنها لغة الدين والقرآن وتأثروا الى درجة كبيرة بالحضارة العربية (٣) .

ويدل القرائن على أن بعضا من عرب بني هلال ، قد مروا في طريقهم من المغرب الى السودان بأرض برنو ، وأن هؤلاء ، قد أقاموا بها لبضعة أجيال ثم أخذوا يهاجرون الى كردفان ودارفور ، ومن كل هذا نستطيع أن نستخلص أن السودان الشرقي قد ارتبط بروابط ثقافية قوية مع بلاد برنو (٤) .

(١) Arkell, A.J.: OP. Cit. P. 213.

(٢) محمد عوض محمد : السودان الشمالي ، ص ٢٣١ .

(٣) Johnoston, H.: A history of conslisation of Africa P. 70.

(٤) محي الدين خليل الريح : لغة البقارة في غرب السودان ص ٩ .

## ثانيا : العلاقات الاقتصادية

### (( أ- العلاقات الاقتصادية مع مصر ))

اذا كانت العلوم الاقتصادية في خدمة العلاقات الانسانية ، فان التجارة وهي تؤدي مهمتها الجليلة في تبادل السلع وتداولها قد يراد اداة من ادوات العمران الرئيسية وهذا هو ما يطبق على الدول الاسلامية المحيطة بها وذلك لان العلاقات الاقتصادية بين مصر وهذه الدول يتوقف لتحديدها هاما في بناء الروابط بل في توثيقها ، فالتجارة في العصور الوسطى ، والتجارة الكارمية قد ساهمت في بناء ذلك العصر بما نقلته من الافكار والعادات فضلا عن السلع والمنتجات بين الشرق والغرب (١) .

ولقد اتيح لمصر أن تلعب دورا هاما في الاقتصاد العالمي في العصر المملوكي وأن يكون التجار الكارمية طبقة من الدعامات الكبرى في بنائها الاقتصادي وتوجيهه وانعاشها في الشرق والغرب وازدهرت الكارمية في مصر حتى اصبحوا أعظم طبقة تتحكم في أهم تجارة عالمية في ذلك الحين وهي تجارة التوابل وسلع الشرق وأما عن اسم الكارمية هؤلاء فانها لم تصل بحد الى تفسير جازم لتسميتهم بهذا الاسم وقد تعددت محاولات تفسير هذا الاسم وان كان هذا الاسم مأخوذا

---

(١) صبحي لبيب : التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى ، المجلة التاريخية ، العدد الثاني ، ص٥ .

عند الكارم ، وأن هذا الاسم قد انتشر بين من اشتغلوا بتجارة البهـــار (1) .

وقد أصبح لهم في مصر ، وسائر بلاد العالم الاسلامي نفوذا اقتصاديـــا وأسطول تجاري عظيم وأن نشاط الكارم في افريقيا قد اتخذ مركز انطلاق آخـــر غير بلادهم الاصليـة ذلك المركز هو مصـــر (2) .

وأبلغ دليل على العلاقات الوثيقة بين مصر وبلاد برنو تلك الطائفة مـــن التجار الكارمية الذين هاجروا الى مصر وأقاموا بها وأشركوا بنصيب موفور فـــي تجارتها الخارجية واشتغلت هذه الطائفة بتصريف الحاصلات السودانية وتجـــارة الرقيق ومارسوا التجارة البهار من اليمن والهند مرورا بعيـــذاب (3) .

وأن طريق التجار لاستجلاب الفلفل قديما هو بلاد الكارم ، الا أن الكارمية هم تجار التوابل وغيرها من سلع الشرق بين المحيط الهندي والبحر الاحمـــر ومصر ، وأن مصر كانت السوق الرائجة لسلع بلاد السودان لا سيما جنوبيـــة وتجاريـــة (4) .

كذلك فان شيوخ التجار المصريين والمغاربة ، كانوا يرحلون كل عام الـــى برنو ، وذلك لكي يقوموا بعمليات استبدال الخيول بالرقيق وأيضا الاقمشـــة

---

(1) عطية القوصي : تجارة مصر في البحر الاحمر منذ فجر الاسلام حتى سقـــوط الدولة العباسية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، ص ٦٢ .
(2) عبد المجيد عابدين : قبائل من السودان الاوسط والسودان النيلي ص ١٠٢
(3) حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية في افريقيا ، ص ٢٦٠ .
(4) ابراهيم طرخان : امبراطورية كانم الاسلامية ، ص ٩ ـ ١٠

القاهرة والاسلحة وايضا للتجار في الذهب (١) .

وأن حركة التجارة كانت نشطة بين مصر وبلاد برنو ، وأن القوافل التي كانت تعرسها في حركة التبادل التجاري تقدر بألفي عشر الف جمل كانت تسلك طريق فاكا Sekedda في طريقها الى القاهرة وكانت اهم هذه التجارة النحاس الذي يأخذ منه الصعيين والبربر والبرنو ومالي وامارات الهوسا (٢) .

وقد أصبح هؤلاء التجار الكارمية اهم طبقة تجارية في الامبراطوريـــــة المصرية ، وذلك بما اصبحوا به من أجل البقاء على ثبتها وقوتها (٣) .

وكانت محاصيل افريقيا الوسطى وبلاد السودان الغربي مادة من مواد التجارة التي احتكرت عليها مظلة الدولة المملوكية بيعها للتجار الاوربيين وبأرباح باهظة الاثمان . وكان الملح أهم صادرات تلك الجهات الى مصر . ومهمـــــا يكن من امر فيظهر أن تلك الطائفة من التجار لم تقتصر على محاصيل بلاد شـــــا فحسب بل مارسوا ايضا تجارة البهار ولعل معرفتهم الاولى ببلاد السودان الغربي . ادى بهم الى تحمل الجو في البلاد الاخرى وأن اسم الكارمية لـــم يقتصـــر على تجار افريقيا الوسطى بل شمل كل تاجر من الكانم وغيرها فســــن

---

(١) Larroy, I.: Histore du l'empire du Bornu. P. 147.

(٢) Borill: Caravans of the old sahara. P. 75.

(٣) صبحي لبيب : نفس المرجع ، ص ١٠ ـ ١١

يشتغلون بتجارة افريقيـــــا الوسطى وغيرها (١) .

وشهدت مصر نشاطا تجاريا كبيرا لهؤلاء التجار ، وراجت التجارة مـــع بلدان السودان الغربي وأفريقيا الوسطى ، وكان هؤلاء التجار يجلبون الى المماليك محاصيل بلادهم ومحاصيل البلاد الاخرى ، وهي التي كان الاوربيون يبذلون كل جهد للحصول عليها (٢) .

ولقد أثر هؤلاء التجار تأثيرا قويا في حياة مصر حتى أن بعض سلاطين المماليك عندما كانوا يضطرون لخوض الحروب والتجهيز لها كانوا يقترضـــون منهم الاموال وأيضا كلما أضطرتهم الظروف الى ذلك (٣) وقد ساعد اتصالهـم بالسلاطين ، ودفع الضرائب والتبرعات لله ولة أن توطدت اقدامهم في ميدان التجارة الحريــــــة (٤) .

وقد وجد لهم في القاهرة فندق أطلق عليه فندق الكارم ، وهذا الفندق هو وقف الامير عمر بن أخي صلاح الدين الايوبي ، وقد بنى هذا الفندق العظيم في الفسطاط على نيل مصر حيث ترسوا مراكبهم المحملة بالسلع (٥) .

(١) حامد عمارة : علاقات مصر بالبلاد الافريقية في العصور الوسطى ص ٧ ص ٥٨

(٢) نعيم زكي سليمان : طرق التجارة الدولية ومكانتها بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ص ١١٨ .

(٣) المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ ٣ ، ص ٣٢ ، ١٣٣ .

(٤) صبحي لبيب : نفس المرجع ، ص ١١ ـ ١٢ .

(٥) ابن دقماق : الانتصار بوسطة عقد الامصار ص ٣٤ .

وأقف هذا النفوذ على سكن الكارم وبذلك استقر نشاط هذه الطائفة لأول مرة داخل الأراضي المصرية وبعد ذلك صار طبيعيا أن ينتظم نشاطهم في مصر وأن تمتد لهم النفوذ لاستقبالهم من قوص والاسكندرية وغيرها من مدن مصر التجارية الكبرى (١) .

واتخذت هذه الطائفة مدينة قوص مركزا لهم فأصبحت سوقا تجاريا حافلا بمنتجات افريقيا الوسطى والمغرب واليمن وكونوا لهم نقابة قوية هيمنت على التجارة واحتكرتها وأقاموا على نقابتهم رئيسا معترفا به من قبل الحكومة ونمت ثروة بعضهم نموا عظيما بحيث أصبحوا يقومون في عالم التجارة بما تقوم به البنوك الحديثة اليوم (٢) .

وقام هؤلاء التجار بدور عظيم في مصر وتركيا بجانب سد الاحتياجات المحلية وتجاروا مع امارات السودان وارتبطوا بتجارة عظيمة وواسعة مع الأسواق الاجنبية (٣) .

ولقد زاد نفوذهم المالي في مصر . وأن السلطان منسى موسى سلطان مالي عند زيارته لمصر وهو في طريقه الى الحج استدان من احد هؤلاء التجار وأثناء عودة السلطان من الحج الى بلاده . أرسل هذا التاجر مع السلطان وكيله ليرد الدين وفوائده (٤) .

---

(١) صبحي لبيب : نفس المرجع . ص ١٢

(٢) حسن احمد محمود : نفس المرجع ص ٢٦٠ .

(٣) شوقي الجمل : علاقات مصر بالبلاد الافريقية ومحاضرات معهد الدراسات الافريقية . ١٩٢٢ م .

(٤) الشاطر بصيلي : تاريخ حضارات السودان الشرقي والاوسط ص ٤٢٢ .

وجاءت القوافل من اقاليم القارة الافريقية الى مصر وكانت تحمل هذه القوافل على النطرون والياقوت والجلود وسن الفيل والذهب والرقيق وريش النعام وبعض المنتجات النباتية (١) .

واستوردت برنو المنسوجات القطنية والحريرية في سلعة الكمالية من مصر(٢) وأصبحت البرنو - كانم - سوقا لتبادل السلع . وانتقل اليها التجار حيث اقاموا في مختلف الاقاليم بها وكان سلاطين البرنو والاقطار المجاورة من السودان الغربي والاوسط يقترضون من هؤلاء التجار عند مرورهم بالقاهرة في طريقهم الى الحج . وكثر تردد التجار المصريين الى بلاد برنو والتكرور وكانوا يذهبون في قوافل كبيرة وذلك لانهم كانوا قد عرفوا طرق المعاملة مع أهالي تلك البلاد والمسالك التي تسلكها القوافل حتى الوصول الى برنو (٣) .

وقد عملت مصر من جانبها على رعاية شئون هؤلاء التجار في البحر الاحمر وبلاده المختلفة لتسيطر على نشر العدل حتى تحفظ لكل تاجر حياته وماله وكان لهم في بلاد البرنو اسواق كبيرة قاموا فيها بنشاط تجاري واسع النطاق (٤) .

---

(١) Bovill,: OP. Cit. P. 257.

(٢) Urroy,Y.: Histore du l'empire du Bornu. P.149.

(٣) حامد عمارة: نفس المرجع ، ص٨٥ .

(٤) صبحي لبيب ، نفس المرجع ص ١٢ .

ويشير القلقشندي الى أن تجارة الذهب اصبحت رائجة بين مصر وبلاد السودان ، وذلك لان بلاد التكرور كانت أهم منطقة يستورد منها الذهب الذى يجلبونه الى الديار المصرية (١)

وكان التجار المصريون يذهبون الى هذه البلاد لجلب الذهب وانهم كانوا يمرون في ذهابهم ببلاد برنو ، وأن نطاق التجارة المصرية قد اتسع بالنسبة لهذه البلاد فأصبح كبار التجار المصريين يمتلكون ممالكهم ووكلائهم وذلك حتى يحصلوا ويأتوا بأرباح طائلة (٢) وقامت التجارة بتوثيق الصلة بين مصر وبلاد برنو في خلال العصور الوسطى (٣) .

وأدى هؤلاء التجار الكارمية دورا هاما في الترويج من ديار الاسلام بما قدموه من مساعدات للسلطات الحاكمة ، وبلغت هؤلاء القدرة المادية على البناء والتعمير ، فبنوا المساجد والمدارس والخوانق وغيرها بمصر كما عمروا المكة نفسها ، وبلغ من ثرائهم أنهم كانوا ينثرون الذهب والفضة على مواكب السلاطين وكانوا يخدمون الاسلام بنشاطهم التجارى ، وبذلوا جهدا في نشر الاسلام والعلوم الاسلامية وثقافتها (٤) .

ومن هنا يمكن القول أن مصر قد ارتبطت بروابط اقتصادية مع برنو .

وساهم في تلك الروابط التجار المصريين الذين رحلوا الى تلك الديار والتجار الكارمية الذين استقروا بالقاهرة ، وقوص والاسكندرية .

(١) القلقشندي : صبح الاعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٦٥ .
(٢) ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ، جـ١ ، ص٢٠٢
(٣) سر الختم عثمان : العلاقات بين مصر والسودان في العصور الوسطى ص١٠٩
(٤) صبحى لبيب : نفس المرجع ، ص ٢٧ ـ ٢٩ .

## ح/ ( العلاقات الاقتصادية مع دول الشمال الافريقي )

لقد تجاوز نشاط البرنو حدود بلادهم الى البلدان المجاورة والبعيدة فامتدت دائرة هذا النشاط التجاري نحو الشمال الى بلاد المغرب وبلغ نفوذهم التجاري شأن كبير • وزاد النشاط التجاري بين برنو وبلاد الشمال الافريقي بسبب الطرق الصحراوية التي تربط فيما بينهما •

وساعد التجار الكاريبية على أن دار تجارة البحر المتوسط الى حد كبير وذلك بسبب أن نشاطهم الروحي والتجاري ببلاد ساحل البحر المتوسط • وما كانوا يقدمون من منتجات بلادهم [١] •

ولقد كان الدخول الى داخل القارة الافريقية حيث بلاد برنو وباقي بلاد السودان الاوسط والغربي أيضا للتجار المسلمين الذين كانوا يقومون بتجارة الشمال ويعودون بتجارة البرنو وكان هؤلاء التجار يعبرون الممرات الصحراوية الى الداخل وكان الطريق الشرقي الذي يبدأ من طرابلس ـ فزان ـ كوار ـ تشاد ثم برنو • يلعب دوراً هاما في نقل التجارة والتجار [٢] •

ويشير ابن خلدون الى أن بلاد البرنو من أهم بلاد السودان وانه كان يسافر اليها تجار المغرب وذلك لكي يقوموا بشراء الرقيق الذي يجلبونه معهم الى بلاد المغرب [٣] •

---

(١) عبد المجيد عابدين : قبائل السودان الاوسط والسودان الغربي ص ٢ • ١ ـ ٥ • ١

(٢) Lewis:L.: Islam in trapical Africa P. 21. I.Wiesl.:

(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر • جـ ١ ص ٤٣ •

ولقد كانت البلاد الاسلامية ولا سيما بلاد المغرب وكل الشمال الافريقي السوق الرائجة لبلاد السودان ، ويعني هذا ارتباط بلاد السودان واتصالها بالشمال ، وقد تحكم المسلمون في المسالك الصحراوية ودروبها ، واحتكروا عليها الاتصال ببلاد السودان لاسباب دينية وتجارية واستقر عدد من تجار المسلمين في تلك البلاد ونشطت حركة التجارة بين بلاد السودان وشمال افريقيه ، عبر الطريق الصحراوية (١) .

وكان التجار المغاربة يقومون باستيراد العبيد والاواني النحاسية والاغنام ، والعاج والجلا من الحبش وجلود الاسود من برنو وكانت حركة التجارة بين برنو وطرابلس دائما مستمرة وكان تجار الشمال يصلون الى فزان ثم منها يذهبون الى برنو يحملون معهم الهدايا للسلطان (٢) .

وبعد أن يدفع هؤلاء الهدايا الى السلطان ، كان يترك لهم حرية التنقل عبر الطرق الصحراوية بين طرابلس وفزان ومرزق وغات وبرنو وكانو ، وذلك لان هؤلاء ، كانوا يمتلكون ثروات ضخمة وطائلة من جراء قيامهم بأعمال التجارة وقد قضى رابح الزبير عند استيلائه على برنو على معظم التجار الطرابلسيين ، الذين كانوا يقومون بالتجارة مع برنو ، والذين كانت تأتي قوافلهم كل خريف الى برنو (٣) .

---

(١) ابراهيم طرخان ، امبراطورية غانا الاسلامية ، ص ٤٢ .

(٢) Lyon, G.: Anarrative of travels in Northern Africa P.P. 128.

(٣) Vischer, H.: Across the shara from tripoli to Bornu. P. 148.

وقد سيطرت بعض قبائل البربر على الطرق الصحراوية المؤدية الى برنـو في فترة ضعف الدولة ، وسيطر على اثرها الاضطراب والفوضى في الحياة الاقتصادية وقد أدى هذا الى أن هجر التجار الطريق الاول ، والذي كان يعرف بطريق فزان كاوار - برنو ، وذلك بسبب خوف التجار على أنفسهم وممتلكاتهم (١) .

لكن في فترات قوة الدولة ، فان قوافل التجار كانت تدخل بلاد برنو ، بأعداد كبيرة من الجمال التي تحمل القناطير من أنواع الاحمر والنطرون والاكسية وثياب الصوف والعمائم والطرز والزجاج والاصواف والاحجار الكريمة والالات الحديدية والنحاسية (٢) .

وكانت المدن التي تقع بجنوب الصحراء تقبلها التجار الذين كانت تعبر الصحراء وقد كان لمجيء التجار من الشمال أثر كبير على الحياة الاقتصادية في برنو ، وذلك أن هذه البلاد بفضل هؤلاء التجار قطعت شوطا كبيرا للامام في استخدام العملة والموازين والمقاييس (٣) .

كذلك كان من أثر العلاقات التجارية بين بربر الشمال وزنوج الجنوب السودان والاحتكاك بينهما أن تسرب الاسلام الى هذه البلاد ، بعد أن حمله التجار وأيضا لأن شعب البرنو لم يكن أبدا هدفا لغزوات أهل الصحراء أو المقاومة كالتمرد

---

(١) حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٨٢ .

(٢) نقولا زيادة : الرحالة العرب ، ص ٩٣ .

(٣) عبد الله زكي : الاسلام والمسلمون في غرب افريقيا ص ٦٢ .

بالسيادة على طرق القوافل المارة بكوار التي تربط الصحراء الكبرى بين البحر المتوسط وبحيرة تشاد وكذلك وادي النيل وعلى ذلك، فقد استطاع أهلها أن يحموا أو يحتضنوا جزءًا كبيرًا من الصحراء، وكان لهم الإشراف المطلق على مسالك التجارة إلى الشمال في كوار ولقد لقي السلطان أو رسوله صعوبات كبيرة في السيطرة على طرق الصحراء حتى تم له احتلال واحة كوار في طريق كوار وكانت غنية بمناجم الملح والنطرون (1).

ولقد نمت منطقة برنو نموا اقتصاديا هائلا وذلك بسبب موقعها التجاري بين افريقيا الغربية والشرقية واتصالها تجاريا عن طريق طرابلس ودول الشمال الافريقي التي يفد إليها التجار بالأقمشة والمنسوجات الأوربية ويعودون بالعاج والجلود وريش النعام والرقيق (٢).

ولقد ذكر الدمشقي عن أهل برنو، أنهم يأكلون الذرة ويصبر على أحدهم العمر الطويل ولا يرى على يديه خبزا إلا ما يحمله التجار الواردون عليهم من بلاد المغرب (3).

ولأهلها تجارات يسيرة وصنائع يتعاملون بها بين أيديهم مع أهل المغرب الذين يفدون إليهم (4).

---

(١) عبد الرحمن زكي: نفس المرجع، ص ٦٩.
(٢) نعيم قداح: افريقية الغربية في ظل الاسلام ص ٨٦.
(٣) الدمشقي: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ص ٢٣٩.
(٤) الادريسي: صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ص ٢٢.

وكانت أهم القوافل التى تأتى من برنو هى قوافل العبيد التى كانت تصل الى الاقطار الشمال الافريقى . أن أى شخص يزور جنوب تونس يتعجب من الزنوج الموجودين فى القرى الجنوبية وذلك يبين كيف كانت أعداد العبيد تأتى من برنو (1) .

ولى أدل على استقرار الامور التجارية بين برنو والشمال الافريقى ودوام الاتصال واستمرار الطرق الصحراوية فى تأدية رسالتها فى الحركة التجارية ما ذكره دنهام وكلابرتون . من أن الطريق بين برنو وبين الشمال الافريقى يسوده الامان واستقرار الاحوال كما هو الحال فى انجلترا وذلك رغم الضروب التى كان يفرضها السلطان برنو الا أنهم ظلوا على اتساع التجارة وحسنها وذلك لكى يعم الرخاء شعب برنو ولكن كان التجار العرب المراكشيون هم الوحيدون الذين تركت لهم حرية الاتجار والقدوم الى برنو وذلك لان كثيرا منهم كانوا معروفين لرجال السلطان وأنهم كانوا يحضرون معهم المنتجات الاوربية التى كانوا يشترونها من طرابلس (2) .

---

(1) Johnoston,H.: OP. Ci . P. 160.

(2) Danham and cloppertor.: P. 329.

## هـ/ العلاقات الاقتصادية مع غرب افريقيـــا

ارتبطت برنو بعلاقات اقتصادية قوية مع البلدان المجاورة لها وكانت البلاد التي تقع الى الغرب منها ترتبط معها بروابط اقتصادية قوية . ويرجع هذه الروابط الاقتصادية الى أن برنو كانت تفرض نفوذها السياسي على امارات الهوسا . ودخل في صراع . عسكري مسلح مع سلطنة سنغاي وامارة كبي . وأن هذا الاحتكاك السياسي . كان يؤدي الى احتكاك اقتصادي في تبادل السلع بين برنو وجيرانها وذلك بأن يأتـــي التجار من امارات الهوسا والامارات التي تقع الى الغرب منها والى اسواق برنو لكـــي يقوموا بشراء المواشي والمنسوجات التي تصنع في برنو وأيضا المنتجات التي تأتي اليهـــا من الشمال وذلك لكي يعطوا لها السلع المتوفرة في بلاد الهوسا مع السلع الزائدة عـــن حاجة سكان برنو (1) .

وكان النحاس يحمل من كانو . وهي غرب برنو الى برني العاصمة وذلك لكـــي يستفيد منه سكان برنو وفي مقابل ذلك يقوم أهل برنو بمبادلة القماش والجواري الحســـان والثياب (2) .

وأن أهل برنو اقاموا علاقات اقتصادية وتجارية مختلفة مع بلاد كانو وهي مدينـــة

---

(1) Alexandaf,B,: From Nigor to Nile, vol. 2. P. 268.

(٢) ابن بطوطه : تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، ص ١٩٨ .

تمبكتو وجنى وجاو وغيرها من مدن غرب افريقيا وعملوا على تشجيع الحركة التجارية مع تلك البلاد وعلى زيادة دخولها واطرادها (١) .

وعمل سلاطين برنو على تشجيع قدوم التجار الى بلادهم والعمل على منح التسهيلات اللازمة لذلك والقيام بتأمين طرق المواصلات حتى تستطيع القوافل الحضور فى أمان الى برنو ومن ذلك الرسالة التى أرسلها السلطان قاضى سلطان برنو الى عرب واحة توات يطلب منهم الحضور الى بلاده ، دون أن يحملهم ضرائبا ومكوسا وجزية ، وأن أى تاجر يستطيع أن يحضر الى برنو ولا خوف عليه وأنه سوف يجد الامان والطمأنينة (٢) .

ولقد كانت الطرق الواصلة بين برنو وبلاد غرب افريقيا تسمح بتنقل القوافل التجارية بين برنو وبين جاراتها غربا الى حوض السنغال ومن طريق واحات الصحراء الكبرى الى نهر النيجر (٣) وكل هذه التجارة كانت تعود بالنفع المتبادل على كل الأطراف .

ومن الثابت جغرافيا أنه لم تكن هناك حواجز طبيعية تقف حائلا بين انتقال القوافل بين برنو وبلاد غرب القارة . ذلك أن صلة غرب افريقيا بالعالم الخارجى كانت تتم عن طريق القوافل الشمالية والتى كانت بدورها تمر ببلاد البرنو

---

(١) حسن احمد محمود : الاسلام والثقافة العربية فى افريقيه ص ٢٦١ .

(٢) Hodghin,T.: Nigerian perspectives.P.P. 80 – 81.

(٣) محمود ابو العلا : دراسات فى جغرافية العالم الاسلامى ، ص ٢٣ .

وقائم ، ومهما يكن من أمر هذه البعثة فإن سلطنة برنو قد لعبت دوراً كبيراً في تجارة السودان الغربي وذلك لبسطها النفوذ السياسي والحضاري والاقتصادي على بعض الاقاليم (١) .

ولقد لعبت التجارة بين برنو وبلاد غرب القارة دوراً هاماً في نشر الاسلام في بلاد الهوسا ونتيجة لهذه الصلات التجارية بين الامارات والبرنو ، فقد اعتنق بعض حكامها الدين الاسلامي وذلك أن الاسلام قد انتشر في امارة كانو عن طريق التجارة والتجار الوافدين اليها من برنو ولقد كان من نتيجة الاتجار مع مدن الهوسا ، أن أصبح لهذه المدن تجارة واسعة وكان بها الاسواق العامرة بشتى أنواع السلع المختلفة (٢) .

وأن أهل برنو كان يكثر عندهم الذهب والذي كان يجعلهم أصحاب ثروة مما كان يزيد من نشاطهم التجاري ويشجع على الاتجار معهم ولقد كانت الاقاليم التي تقع الى الغرب منهم تجاري تعاطيا تجاريا ملحوظا معهم (٣) .

وقد ذكر بارث أن سوق مدينة عاصمة برنو كانت تفد اليه القوافل من البلاد المجاورة وذلك لكي يقوموا بتبادل المنتجات والبضائع معهم وقد

---

(١) سر الختم عثمان : نفس المرجع ، ص ٥٥ .

(٢) Trimingham, J.S.: The influence of islam upon Africa , P. 18.

(٣) Bovill, E.: The golden trade of moors. P. 130.

أكسبت ذلك برنو شهرة عظيمة (١) . ولقد نتج من جراء هذه الاتصالات الاقتصادية بين برنو وكانو ان شهدت تلك المدينة توسعا تجاريا هائلا منذ القرن الخامس عشر الميلادى . على الرغم من أنها كانت تدفع الجزية لبرنو . الا أن التجارة وطرقهـــا كانت مفتوحة ومتصلة بين الطرفين . وأيضا فان كاتسينا بعد أن استقلت من سلطـــاى ارتبطت بروابط تجارية قوية مع برنو . على الرغم من انها كانت لا تزال تدفـــع الجزية لها (٢) .

وعمل سلاطين البلاد على حماية الطرق التجارية فى السودان الاوسط والغربى وقد ساعد ذلك على تدعيم التجارة واستمرارها ولكن بمرور الوقت فان الطوارق دعموا نفوذهم على هذه الطرق من الساحل حتى وسط النيجر والتى بحيرة تشاد . وأنـــه فى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى فانه لم تكن توجد قوة تحول دون تحكمهـــم فى الطرق الصحراوية وقد أدى ذلك الى تدهور اقتصاد برنو وكساد الحركة التجارية بينها وبين بلاد غرب القارة الافريقية (٣) .

وقد قدرت القبائل التى كانت تأتى الى كانو من الشرق من برنو وشمال القارة الافريقية فى بداية القرن التاسع عشر بحوالى ٢٠ الف رجل (٤).

---

(١) Barth,H.: OP. Cit. P. 52.

(٢) Craw er,H.: The story of Nigeria P. 45.

(٣) Trimingham,J.S.: A history of islam in west A rica P. 151.

(٤) صلاح صبرى : افريقيا وراء الصحراء ، ص١٦٢ .

## د / العلاقات الاقتصادية مع السـودان

ليس من السهل القول أنه كانت هناك علاقات اقتصادية قوية بين برنو وبلاد السودان مثل تلك العلاقات التي كانت بين برنو ومصر وبلاد الشمال الافريقي الا أنه هناك احتمال بأن التجار الكانميين قد اتخذوا من وادي النيل الجنوبي ومنطقة البحيرات مجالا لنشاطهم التجاري ، ذلك لأنه من المعروف أن طرق القوافل منذ أزمنة طويلة قد امتدت بين ساحل البحر الاحمر وبين بلاد السودان الاوسط ( برنو ) ولا يمكن أن الممالك المسيحية التي قامت في وادي النيل الجنوبي كانت تقف عقبة في سبيل نشاط الكانم أو الكانميين التجاري بحيث تحول دون وصول التجار من أواسط القارة الى البحر الاحمر ، فقد كانت سنار وعلوة معبرا تجاريا منذ عهد قديم ، ولا يستبعد أن يكون ، وادي النيل الجنوبي ، خلوا من الآثار الكانمية أو الكانمية ، اذ نعرف أن هذا الوادي كان يقع في ملتقى نشاط التجار الذين جدوا في توسيع دائرة تجارتهم بامكاناتهم الهائلة على سواحل البحر الاحمر وبلاد الحبشة [1] .

وباستخدام التجار الكانميين أرض السودان الشمالي معبرا لتجارتهم فانهم دخلوا الحبشة تحت ستار التجارة ، ووجدوا من الامراء والحكام ترحيبا بسبب نشاطهم الاقتصادي الضخم واشتغالهم بتجارة الرقيق ومساعدة ملوكها لحماية اقليمهم (٢) .

---

(١) عبد المجيد عابدين : لمحات من السودان الاوسط والسودان الغربي ص ١١٠-١١١

(٢) عبد الرحمن زكي : الاسلام والمسلمون في شرق القارة ، ص ٥٥ .

وكان لهؤلاء التجار القادمين من السودان الشرقي صلة بأمراء الحبشة المسلمين الذين كانت دولتهم تطوق الكتلة الاثيوبية الجبلية المسيحية من الشرق والجنوب حتى تصل جنوبها الى اقليم البحيرات . وهذا يمثل الدليل على الصلة بين برنو وهذه السلطنات الاسلامية الحبشية . ولما كانت برنو قد مارست نفوذا سياسيا في مناطق دارفور وكردفان فمن الواضح أن هذين الاقليمين قد كانت بينهما وبين البلاد صاحبة السيطرة حركة تجارية نشطة وذلك من الاثار التي عثر عليها في هاتين المنطقتين والتي يتضح منها أنهما كانتا تخضعان للامبراطورية البرنوية . حيث كانت امبراطورية برنو تتمتع بنفوذ سياسي واقتصادي وثقافي على جيرانها (١) .

وقام التجار القادمين من غرب بلاد السودان الشرقي بدور هام في نشر الاسلام بين ربوعه اذ نجد أن السودان بحكم موقعه الجغرافي قد تعرض لتيارات اسلامية وافدة من الشمال الشرقي الى دارفور وكردفان وأن التجار كان لهم أكبر الاثر في نشر الاسلام (٢) .

ولكنه في الفترات المتأخرة من تاريخ برنو فان برنو قد أغلقت أبوابها في وجه التجار النيليين منهم وهنا حاول التجار أن يتوغلوا في وسط القبائل التي تسكن شرق برنو ولكنهم فشلوا ولا يهتم النيليين بالاتجار مع اهل دارفور وبرنو وكذلك لم يعثر على أي اثر لتجارة منتظمة للقوافل تتم بين شرق السودان والاقاليم الواقعة وراء باجرمي . وأما القافلة التي تسافر من برنو الى دارفور من

---

(1) Arkell, J.S.: A history of the sudan P. 213.

(٢) [illegible]

عن طريق بحر الغزال فلم يكــن بعيداً عن التجـــارة (١) .

ومع ذلك فان القوافل القليلة التي كانت تستطيع أن تصل غربا الى برنــو فانها كانت تقوم بالتجارة مع القبائل التي تصل اليها . وبينما كانت الظــروف السياسية تحول دون تدفق تجارة واستمرارها ، فانها لم تكن تنقطع نهائيــا اذ نجد أن ترمنجهام يذكر أن التجار النوبيين قد توغلوا غربا في الاقالــيم التي تقع غرب الجهة حتى وصلــوا الى نيجيريا . بينما البربر وأهالي السودان الغربي انتشروا في الاتجاه الشرقي وأصبحت برنو وواداي متصلة بدارفور وكردفان وذلك يرجع لجهود التجار القادمين من الغــرب (٢) .

ومهما يكن من الظروف السياسية التي كانت تقف حجر عثرة في سبيـــل الروابط الاقتصادية بين برنو والسودان الشرقي فان الروابط قد تمت بين السودان وبرنو وأن كثيرا من تجـــار برنو كانت لهم مراكز تجارية هامة ومنتشـــرة فـــي مصر والسودان وشواطئ البحر الاحمـــر (٣) .

وانهم ساهموا بنصيب كبير في أنشـــاء المدن الساحليـــة على شواطئ

---

(١)
(٢) Trimingham, S.J. : Islam in the sudan. P. 99.
(٣) عبد الرحمن زكي . الاسلام والمسلمون في غرب افريقيـــا ص ١٧ .

البحر الاحمر مثل سواكن ، وزيلع ، وبربرة ومقديشيو وغيرها وأصبحت هذه المدن الساحلية مراكز تجارية هامة تقوم بحمل متاجر افريقية الى أسواق آسيا وحمل متاجر آسيا الى افريقيا ومن ثم أصبحت هذه المراكز التجارية ، مراكز هامة لنشر الاسلام ، اذ قام أبناء كانم - برنو في هذه المدن التجارية بفتح المدارس وشجعوا الطلاب على الدرس وتحصيل والتبحر في العلوم الاسلامية ، وهذا خير دليل على وجود روابط اقتصادية قوية وصلة بين بلاد برنو وبلاد السودان (١) .

---

(١) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص ٥٩ .

## « الفصل الرابع »

## الاسلام والثقافة العربية

### أ - انتشار الاسلام وأثره

من المعتقد أن الاسلام دخل بلاد الكانم أيام الامبراطورية القديمة في ركاب الاسرة الحاكمة وأن أدخال هذا الدين الى هذه البلاد هو الذى مكن للاسرة الحاكمة من السيطرة على البلاد ، والتوجه الى الشرق وحكمهم البلاد (١) .

وأن الاسلام جاء اليها أولا من الشرق من مصر وكان ذلك في القرن الحادى عشر الميلادى أو قبل ذلك بقليل وانتشر بعد ذلك وثبتت دعائمه في البلاد ، وأصبح اهل الكانم والبرنو مسلمين وتذكر الروايات المحلية أن أول من بث الاسلام فيها هو الهادى عثمان ، الذى ادعى أنه من ولد عثمان بن عفان (٢) .

وبعد ذلك ظلت مملكة السلطنة وزادت ثقتها باسلامها وبعدت نفوذها على من جاورها وزادت هيبتها وأن الذين نشروا الاسلام في تلك الديار هم الافريقيون وخصوصا الحاميين الذين تجرى في عروقهم الدماء العربية ، ومعظم الممالك الاسلامية في السودان ، كواداى وبرنو وكانم ودارفور ، قد أسست على أيدى بعض

---

(١) حسن أحمد محمود ، الاسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، ص ٢٥٦ .

(٢) سر الختم عثمان ، العلاقات بين مصر والسودان في العصور الوسطى ص ٥٤ ، ص ٥٥ .

المتحدثين باللغة العربية السامية والذين جاؤوا اليه مع الاسلام والتجارة وأصبح الاسلام الديني في افريقيا (١) .

وإن كان الاسلام قد جاء اليها أولا من مصر الا أن دول الشمال الافريقي قد شاركت بدور فعال في نشر الاسلام ، اذ نجد أن الاسلام بعد أن استقر وثبتت مبادئه في شمال افريقيا ، فان وسط وغرب القارة الزنجي عرف الثقافة العربية الاسلامية التي تعتمد على التوحيد ، لكن على الرغم من أن الاسلام قد بدأ يغزو البلاد ، الا أن تقدمه كان بطيئا أولا ، ولكنه زادت سرعة انتشار بين الافريقيين بعد ذلك بقيام الامبراطوريات الاسلامية مثل كانم وبرنو في تلك المنطقة من السودان الافريقي والتي كان لها الفضل الاكبر في نشر الحضارة الاسلامية في تلك الارجاء (٢) .

وكان الاسلام ينتشر بالتسرب البطيء السلمي من قوم الى قوم فاذا ما اعتنقته الطبقة الارستقراطية وهي هدف الدعاة الاول تبعتها بقية القبيلة وقد يحدث أن تعتنقه الدعوة الاسلامية من الطرف ، كان يعلو مكان الرئيس الديني في عشيرة وثنية ليقوي مكانها الاجتماعي ، ويستجيب افرادها لدعوة الاسلامية . وقـــد

---

(١) Trimingham, J.S.: islam in the sudan P.P. 91 - 100

(٢) Trimingham, J.S.: The christion church and islam in west Africa P. 9.

بدأ الاسلام فى كانم باعتناق احد ملوكها الاسلام . وتعد الصلات التجارية وطرق القوافل الممتدة من بحيرة تشاد الى طرابلس عن طريق فزان . كانت عاملا هاما فى انتشار الاسلام وانتصاره فى تلك الجهات (١) .

ولقد لعبت التجارة دورا كبيرا فى نشر الاسلام بمنطقة السودان الاوسط التى تضم برنو وكانم ونتيجة لهذا الدور فان الاسلام تغلغل فى نفوس الرعية . وكان له اثر كبير فى توحيد القبائل تحت سيادة سلطنة البرنو (٢) ، وكذلك ساعد فى جمع شمل الشعوب فى أمة واحدة وخضوعها لتعاليم الاسلام وعقيدته (٣) .

ومن هنا فان القبائل التى كانت متناحرة قبل الاسلام أصبحت بالاسلام قوة واحدة تخضع لزعامة واحدة .

وكان السلطان أومى اول سلاطين البرنو الذين اعتنقوا الاسلام ( ١٠٨٥ – ١٠٩٧ م ) وهو الذى أسس الدولة الاسلامية فى البلاد وأن الشيخ محمد بن مانى هو الذى أدخل الاسلام فى بلاد كانم والبرنو كما جاء فى محرمة السلطان أومى (٤) .

وهذه الوثيقة التى نشرها السلطان أومى على رعيته وأعلنها فى بلاده والتى

---

(١) د. [illegible] : الديانات فى افريقيا السوداء ، ص ١٢٩ – ١٣٢ .

(٢) سر [illegible] : نفس المرجع ، ص ٨٩ .

(٣) ~~Trimingham,R.: The Bornu shoun and sudan. P. 14.~~
Trimingham,J.S.: islam in west Africa P.P. 16 – 17

(٤) Palmer,R.: The Bournu shoun and sudan .P. 14.

يذكر فيها أن برنو هى أول بلاد السودان التى دخلها الاسلام وأن انتشار الاسلام بسرعة فى هذه البلاد يرجع الى اعتناق هذا السلطان لتلك العقيدة ، وعمله على نشرها بين رعيته (١) .

وجاء بعد ذلك سلاطين حاكموا البرنو ، عملوا على نشر الاسلام بين الرعية وذلك بعد أن اعتنقوا وحدانية الله والقيام بالصلاة والصوم وتطبيق التعاليم الاسلامية بكل حذافيرها والعمل بما جاء فى الكتاب والسنة . (٢) .

وعمل هؤلاء السلاطين على توطيد العقيدة الاسلامية بين شعوبهم ومن هنا كان الاسلام آخذ فى التوسع والانتشار وليستدل على انتشار الاسلام وعمقه فى نفوس الرعية والطبقة الحاكمة والنبلاء ، بما جاء فى رسالة السلطان عمر بن عثمان الى السلطان برقوق سلطان مصر والتى يشكو فيها عرب جذام وذلك قوله أن هؤلاء الاعراب ، قد افسدوا ارضنا كلها فى بلد برنو كافة ، وسبوا احرارنا وأقاربنا من المسلمين ، ويطالب برد هؤلاء الى حريتهم واسلامهم وعقاب هؤلاء الاعراب بانهم الجاهلون بالله وسنة رسوله والى ما جاء فى هذه الرسالة آيات قرآنية وأحاديث نبوية ، يدل دلالة كبيرة على عمق العقيدة الاسلامية فى نفوس الحكام والرعية وبذلك يحفظهم لكتاب الله وسنة رسوله (٣) .

---

(١) Trimingham, J;S.: A history of islam in west Africa P. 115.

(٢) Trimingham, J.S.: The ingluence of islma open Africa .P. 34.

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٨ ، ص ١١٦ ــ ١١٧ .

## الاسلام فى برنو وعهد وصول الاسرة الحاكمة اليها

فى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى ، كان شعب الكانورى والتبـو يتجهون نحو جنوبه بعد ان تم نشر الاسلام وانجذابه فى سكان برنو الوثنيين ، وكذلك لان بلاد برنو تصلح ارضها للزراعة ، أكثر مما تصلح ارض بلاد الكانم ، ولكن شعـب السو ، الذى كان يسكن برنو يرفض الاستسلام والدخول فى الاسلام حتـى هذا الوقت وبعد فى خلال القرن الرابع عشر الميلادى ، بعد حروب بين قبائـل السو وبلوايش سيف ، ومن ثم فان القبائل المسلمة ، أخذت ترحل الى الاقليـم البرنو ، والذى كانت تسكنه أيضا قبائل الكوارا رانا ، بجانب شعب السـو ، بدأ هذا الشعب بعد أن رأى زحف القبائل المسلمة من الشمال بعد هزمها على يد شعب البلالة ، بدء يتجه شرقا الى أرض برنو ، وعملت الشعوب الاسلاميـة على دخول القرى والمدن التى كان يسكنها شعب السو ، والكوارارنا والاستيـلاء عليها وهدمهم وضمهم فى تلك الارض (1) .

على أنه يمكن أن نلاحظ أنه بالنظر الى انتشار الاسلام فى البلاد فان انتشاره كان بسرعة فى الجزء الشمالى من السودان فى المنطقة الواقعة جنوب الصحراء .

---

(1) ابراهيم بن صالح : تاريخ الاسلام وحياة العرب فى امبراطورية كانـم برنو ، ص ٢٥ – ٢٧ .

ويقال مملكة النقابات الاسلامية في هذا الاقليم كان أغلب السكان قد اصبحوا مسلمين على الرغم من ان الجزء الجنوبي من برنو والذي كانت تسكنه تلك الجماعات الوثنية ، قد تأثر قليلا بالاسلام وأن كان الاسلام قد بدأ يخطو خطوات فيما بعد الى الجنوب (١) .

ولم يكن انتشار الاسلام يسير بسرعة في عهد السلاطين الذين رحلوا جميعا وذلك بسبب انشغالهم بالقتال ضد السلالة ، وبقايا شعب السو ، وقد عاق ذلك حركة الدخول في الاسلام على نطاق واسع الى أن جاء السلطان علي غازي ، والذي عمل على تعميق المفاهيم الاسلامية الكفيلة برفع مستوى البلاد الى حياة افضل فنصب الشيخ عمر مساويا واعظا للامة البرنوية ، وكان السلطان يحضر بنفسه دائما مجلس وعظه وكان يستمع اليه في خشوع وهدوء وهو يعظ الناس (٢) .

وكان هو الشيخ من سلالة الفلاتة وما نشأ في برنو خمسة عشر عاما ، ثم سافر الى الشرق الاسلامي وذهب الى الازهر بالقاهرة ، ومكث هناك ليتعلم ويتلقاه على رجال الدين ثم بعد ذلك ذهب الى مكة وأدى فرائض الحج ومناسكه ، وبقي في المدينة

---

(١) Trimingham, J.S.: The christian church and islam P.10.
(٢) ابراهيم بن صالح : المرجع السابق ، ص ٨١ .

الشريف لمدة شهرين ثم من المدينة ذهب الى بغداد واستقر بها ستة شهور متزودا بالمعارف الدينية والعلمية ثم أخيرا عاد الى بلاده برنو واستقر في عاصمتها برني وقام بتدريس العلوم الاسلامية (١) .

ومما قام السلطان علي غازي ، ببناء العاصمة الجديدة برني ، فأنه بنى له قصرا فخما لكي يمارس منه شئون الحكم ، وبنى بهذا القصر مسجدا فخما وعين له الشيخ عمر بن عثمان إماما له ، وكان هذا المسجد خاصا بالاسرة الحاكمة يقوم بالصلاة به السلطان ورجال البلاط السلطاني ، والنبلاء وسيدات القصر الملكي ، وكان عدد المصلين به سبعة وستين شخصا منهم سبعة خداما وستون ، رجلا (٢) .

كذلك فانه تم بناء أربعة مساجد كبرى ليؤدى بها الصلاة ، باقي أفراد الشعب وعين لكل مسجد إماما ليقوم بتأدية الصلاة يوم الجمعة ويؤم المصلين الذين يقدرون باثني عشر شخصا يؤدون الصلاة كل يوم جمعة ، وأطلق على المسجد اسم عرف به فكان المسجد الاول يعرف بمسجد جابابا ، والامام الذى كان يقوم بالصلاة به الشيخ محمد مجرى ، وسمي المسجد الثاني " تاليسو " والامام الذى يصلي بالناس به هو الشيخ " سنوباي " ، والمسجد الثالث سمي مسجد

---

(١) Palmer,R.: The Bournu shara and sudan. P. 53.

(٢) Palmer,R. ibid. P. 34.

" اوبو " والامام الذى كان يؤدى الصلاة بالقوم هو الشيخ كاراجوانا " والمسجد الرابع سمى مسجد " واوبو " واسم امامه الشيخ أحمد بوكو (١).

وعمل السلطان على غازى على نشر الاسلام بين وثناء القبائل الوثنية وكان يخير وثناء القبائل التى يتم قهرها بين اعتناق الاسلام أو القتل وغالبا كان هؤلاء يفضلون الدخول فى الدين الاسلامى ثم تتبعهم بعد ذلك قبائلهم .

وكان للعقيدة الاسلامية اثر كبير فى هذه البلاد وذلك لوجود صلات وثيقة مع مصر وطرابلس والمغرب وكل هذه البلاد ساعدت على انتشار الاسلام والثقافة والحضارة الاسلامية العربية . وكان من جراء اعتناق شعب الكانورى للاسلام ورسوخه عقيدة لهم والعمل على نشره بين القبائل الوثنية أن اعطاهم اعتناق الاسلام قوة سياسية فى السلطنـــة (٢) .

وبناء على تلك القوة فانهم عملوا على نشر الاسلام على نطاق واسع بين أهـل البلاد والبلاد المجاورة وذلك أعطاهم انطلاقة جديدة نحو العلاقات الدولية . أما تطور الاسلام فى تلك الارجاء فان كانم برنو قد بدأ يدخل عهد العز والرخاء (٣)

---

(١) Palmer, R.: The Bornu shara and sudan . P. 54.

(٢) colmen, J.: Nigeria . P.P 22 - 26.

(٣) حسن أحمد محمود : نفس المرجع . ص ٢٥٧ .

وليس هناك شك في أن التآلف الروحي الذي ولدته وحدة الشعائر الاسلامية بين جميع الشعوب التي بدأت تعتنق الاسلام ، كان له أثر بعيد في حياة الشعب الكانوري ، فالمسلمون في جميع البلاد يلتفون حول شعائر واحدة ، كالاعتقاد بأركان الاسلام الخمسة (١) .

ويلاحظ أن قبائل الكانيمبو والكانوري التي انتشرت في تلك المنطقة يسمون السكان المحليين بصفاتها الموجودة في تلك المنطقة على الرغم من أنهم لم يكونوا رجال عقائد أو دعاة دعوة للاسلام (٢) .

ومع ذلك فان ليو الافريقي كتب في بداية القرن السادس عشر الميلادي في أثناء رحلته في القارة الافريقية وزيارته لبرنو ، يقول أن سكان برنو لا والوثنيين ، ولكن هذا يختلف في القول عن أن الاسلام ، قد جاء الى هذه المناطق منذ أربعة قرون وقد يعني قول ليو أن عامة الشعب لم تعتنق الدين الاسلامي وأن انتشار الاسلام في هذه المنطقة لم يكن انتشارا واسعا (٣) .

ولكنه أشار الى اشارة واضحة بذلك بقوله أن أكثر قبائل برنو لم تزل على الوثنية وأنهم لم يعتنقوا الدين الاسلامي وأنها تحيا حياة بدائية وأنه ليس لهم عقيدة ولا دين فهم ليسوا مسلمين أو نصارى أو يهود ، وأنهم يحيون

---

(١) عبد المجيد عابدين : قبائل من السودان الاوسط والسودان النيلي ص ١٠

(٢) Lewis, : islam in trapical Africa P. 132.

(٣) Hodgkin, T.: Nigerian perpectives. P. 27.

حياة البهائم ولا يعرفون فكـــرة الزواج (1) . على أن ما ذكره ليو هنا لا ينطبق على الجزء الشمالي من البلاد . والذي كان قد تقدم فيه الاسلام وسعت اركانـــه أصبح طبيعة لغالـــب السكان وبما يكون حديث ليو في الجزء الجنوبي قــــرب شعـــب البوكون .

وليس أدل على عمق الشعور الاسلامي وإيمان الشعب والحكام والسلاطين به لكل ما جاء في القرآن الكريم والسنة والعمل بهما . تلك المحيات التي كـــان السلاطين يقومون بإصدارها وذلك باعطاء بعض الامتيازات والمنح للمشايــــخ والائمة المسلمين ورجال الدين الذين يؤدون خدمات جليلة للسلطان والسلطنة وكان هؤلاء السلاطين ينشرون هذه المحيا على الشعب (2) .

والسلطة هناك اراء تقول أنه رغم انتشار الاسلام بين شعب الكانوري فانـه لم يتغلغل في النفـــوس . فليس في لغة الكانوري كلمة تعبير عن التوحيد . ولا يعرف جمهور الناس من الثقافـــة الاسلامية سوى مظاهر العبادات . وبعض الافكار المجيبة من الجنة والنار . وعلى ذلك فان اســـلام البرنويين اســـلام محرف بل اسلام لا حياة فيـــه (3) .

ولكن استطيع القول أن الاسلام تعمق في نفوس شعب برنو ولكن هـــذا

---

(1) You Africanes: The history and discription of Africa. vol. 2. P.P. 832 - 833.

(2) Palmer,R.: The Bornu shara and sudan P.P. 21 - 46.

(3) دائرة المعارف الاسلامية : مادة برنو ، ص ٥٨٣ .

الرأى قد يكون على جانب كبير من الصحة بأن الشعوب الاسلامية التى لا تتخذ اللغة العربية لغة التخاطب والقرآن لغة لها قد لا يتأصل فيها الدين الاسلامى والعقيدة الاسلامية مثل الناطقين باللغة العربية لغة القرآن الكريم .

وإن كان هذا القول لا ينفى انتشار الاسلام انتشارا واسعا فى انحاء الكانم من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب . بل انه تجاوز حدود برنو ووصل الى بلاد الهوسا غربا والى دارفور شرقا وذلك نتيجة لتأثير برنو (1) .

وتم ذلك خلال القرن السادس عشر الميلادى وأوائل القرن السابع عشر . ذلك أثناء فترة حكم السلطان ادريس الوما . والذى كان سلطانا متدينا حاول أن يطبق العقيدة الاسلامية وأن يشيعها فى كل أرجاء الامبراطورية الواسعة . وبذلك بذل جهودا عظيمة لكى يدعم الاسلام ويمكنه فى نفوس رعيته وأن يكون كل فرد فى هذه الامبراطورية مسلما صحيحا وأن يخلص الدين الاسلامى من البدع والخرافات التى لحقت به . وعمل بما جاء فى الشريعة الاسلامية بالدعوة الى الدخول فى الاسلام بين الاعداء . وكانت حروبه للجهاد فى سبيل الاسلام وفى سبيل توسيع رقعة العقيدة الاسلامية (2) .

---

(1) Crowder,M.: The story of Nigeria P. 42.

(2) Ahmed ibn Fartua: Mai Idris Alooma of Bornu P. 20.

وعمل على دخول كثيرا من البلاد المجاورة فى الاسلام وجاء كثيرا من حكام هذه البلاد الى بيرنى عاصمة برنو ليقدموا فروض الطاعة ويطلبون دخولهم فى الاسلام وانعقاده عليه ذلك لهم ولشعوبهم (١) .

على أن مما ساعد على انتشار الاسلام وتغلغله فى نفوس شعوب البرنــو أنه بعد سقوط بغداد عاصمة الخلافة العباسية على أيدى التتار ، اضطر كثيــرا من العلماء والفقهاء ، ورجال الدين الى النزوح من بلادهم الى القارة الافريقية ومما لا شك فيه أن بعضا من هؤلاء العلماء قد وصلوا الى برنو بعد أن نزحــوا من الشمال الافريقى وأن بعضا منهم قد طاب له المقام فى أرضها ، فقام بدعـــوة الناس الى فهم الدين الاسلامى على أسس سليمة وعمل على تخليص العقيدة من الافكار التى لا تتفق مع طبيعة الدين الاسلامـــى (٢) .

ومن ذلك يمكن القول أن تلك الديار قد صبغت بالصبغة الاسلامية البحتــة وأن كل القبائل مثل الكانورى والكانمبو قد صارت عقيدتها الاسلامية أعمق مما كانت عليه عند دخول الاسلام تلك الديار وأن الاوربين كانوا يعتقدون أن بلاد برنـــو وباقى دول السودان الاسلامية جزء من العالم الاسلامى ، وذلك لان سكانها أصبحوا مسلمين متمسكين لديانتهم ، عاملين على التمسك بكل ما جاء بها من تعاليـــم وأصبح يشار الى سلطنة برنو فى كتابات الرحالة الفاتحين على أن برنو سلطنـــة اسلامية (٣)

---

(١) Trimingham,J.S.: Ahistory of islam in west Africa. P. 123.

(٢) Hogben,S.J.: The Mohammedan emites of Nigeria.P.57

(٣) The Columbia encyclopedia. Art3 P. 249.

## ب ـ اللغة العربية وأثرها في حركة التعريب في البلاد

يجانب انتشار الاسلام في تاريخ برنو بطابع واضح فقد تم فيه الامتزاج الكامل بين التقاليد الاسلامية الوافدة ، وبين التقاليد الوثنية المحلية السائدة في البلاد ، وظهرت بعد ذلك تقاليد اسلامية افريقية ، أساسها الشكل والطابع الافريقية البحت ، ولم يقدم الامر أن يختفي الشعب من التقاليد الناقصة في الحياة الاسلامية المعاصرة لهم ومن هنا فإنه يمكن القول من الثقافة العربية أنه كان ، طابعها عربيا صرفا لم تداخله آية تأثيرات أخرى ، وذلك لسبب واضح هو أن هذه الشعوب الوثنية الاسلامية في برنو ، والتي اعتنقت الاسلام وتعلمت ثقافته الاسلامية العربية لم تكن لها تقاليد ثقافية عريقة ، وكانت الثقافة التي انتشرت في البلاد يغلب عليها ثقافة التقاليد المالكية الدينية ، على أنه يلاحظ بالضبط تحديد مدى انتشار الثقافة العربية الاسلامية بين عامة الناس ، ذلك أنهم كانوا لا يتحدثون اللغة العربية في حياتهم الخاصة كلغة لهم ، انما كانوا يستخدمون لغاتهم الاصلية ثم يستخدمون اللغة العربية في شعورهم الثقافي وفي صلواتهم وأحاديثهم الدينية (١) .

---

(١) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص ١٦٦ ـ ١٦٩ .

على أنه يلاحظ أن الاسلام قد تطور فى ماهيته ، ليلائم أحوال تلك الشعوب ، وأن هذا التطور ، قد صاحبه تطور أيضا فى الثقافة الاسلامية العربية ولغتها (١) .

ولقد تسربت بعض القبائل العربية الى تلك المناطق مثل قبائل الشوا وغيرها من القبائل العربية التى أستقرت فى اقليم البرنو ، ولم تكتف هذه القبائل بادخال الاسلام الى تلك المناطق ، بل أنها طبعتها بطابع عربى بسبب انتشار اللغة العربية لغة القرآن فى تلك الاقطار ، ومن ذلك فانه يمكن القول أن الجزء الشمالى من اقليم البرنو لا ينطبق عليه القول بأنه جزء من بلاد الزنوج لان به كثيرا من القبائل التى تتكلم لغة الضاد وتستخدمها فى كل أمورها (٢) .

وأن ظهور الاسلام واللغة العربية بنجاح كبير فى ذلك الاقليم يبين لنا الدور العظيم الذى قام به هذا الدين ولغته الغراء فى تلك البلاد وتطورها ، فلقد أصبحت عن طريق الاسلام والعلوم الاسلامية العربية مطبوعة بالحضارة والتقدم . .

وسرعان ما شكل الاسلام عادات السكان وطور حياتهم حتى صار مستواها الفكرى والثقافى يقارن بنظائره فى الدول الاسلامية المعاصرة لبرنو فى ذلك الوقت ، سواء فى الشرق الاسلامى أو شمال القارة الافريقية .

ولقد كان الاسلام والعلوم العربية الاسلامية هى التى أدت الى تسلم

---

(1) Trimingham, J.S.: The christian cherch and islam in west Africa P. 32.

(٢) ليفتسان [illegible] : نفس المرجع ، ص ١٤٠ .

هذه السلطنة الكبرى ، وسارت نهضة الاسلام مع انتشار اللغة العربية فى شرق انحاء السودان الاوسط والغربى . وأصبح المذهب الغالب فى تلك البلاد هو مذهب الامام مالك ، على أن سيادة هذا المذهب لا تنفى وجود بعض الشافعية فى البلاد مما يؤيد ، أثر الشيخ المصرى للثقافة العربية الاسلامية التى سادت تلك البلاد (١) .

والواضح أن الدعوة الاسلامية فى تلك البلاد كما فى غيرها من البلاد الاسلامية قد ارتبطت باللغة العربية لغة القرآن الكريم والعلوم الاسلامية التى تفسر القرآن والاحاديث النبوية وتعاليم المذهب المالكى ولقد ساعد الاسلام واللغة العربية جنبا الى جنب مع الجهاد فى نشر الاسلام وتوسيع رقعة البلاد الاسلامية فى أفريقيا ولقد احترم الافريقى فى برنو وغيرها من البلاد الاسلامية الافريقية ، اللغة العربية ، احتراما يقترب من التقديس لأنها لغة القرآن الكريم فبها يؤدى الصلاة ، كما يتلو بها القرآن الكريم ، وبواسطتها يلم بعلوم الدين الاسلامى (٢) .

على أن اعتناق تلك الشعوب للدين الاسلامى وتمسكها بالروح الاسلامية العربية قد ترك اثره على حضارتها وثقافتها ، بل أن الاسلام ولغته فيهما

---

(١) ابراهيم طرخان : الاسلام واللغة العربية فى غرب افريقيا ، ص ٥٧ـ٥٨ .

(٢) ابراهيم طرخان : المرجع السابق ، ص ٦١ـ٦٢ .

بصورة واضحة وجلية في حياة تلك الشعوب (١) .

وساعد هذا التأثير على انتشار اللغة العربية والتمسك بها والمحافظة عليها وعلى تعلمها وذلك فضلا عن الجانب الديني المرتبط بها . ونجد أن كثيرا من الشعوب الافريقية في السودان الاوسط والسودان الغربي قد ادعى الاصول العربية والانتساب الى الاسر العربية ذات التاريخ العريق في تاريخ الامة العربية الاسلامية . وأن هذا الادعاء لم يظهر أو لم يعرف الا بعد انتشار اللغة العربية والاسلام في تلك البلاد . وهذا دليل على حرص هذه الشعوب على التمسك بكل ما هو عربي وديني . كما يدل على الترحيب والرضى والتقبل الذي ظفر به الاسلام ولغته . فقد ادعى ملوك تلك السلطنة أنهم ينحدرون من أصل عربي يمني وأن أسلافهم من نسل سيف بن ذي يزن (٢) .

بل أكثر من ذلك أن كلمة الكانوري مشتقة أصلا من العربية والتي معناها أصحاب النور أو جملة الشاطئ ، اشارة الى الدور العظيم الذي لعبته هذه القبائل في نشر الاسلام والثقافة العربية الاسلامية . وكما ذكرت أساطيرهم فان هذه السلطنة الاسلامية العظيمة قد قامت على أيدي العرب الوافدين من الشرق (٣) .

---

(1) Trimingham, J.S.: The influence of islam upon Africa P. 96.

(٢) القلقشندي : صبح الاعشى ، جـ ٨ ، ص ١١٧ .

(٣) ابراهيم طرخان : نفس المرجع ، ص ٦٩ .

وكان للحركة التجارية دور كبير في نشر اللغة العربية وثقافتها وقد وجدنا في برنو وكانم عدد كبير من الشواهد التي تدل على عمق اللغة العربية والعروبة في تلك الديار ، رغم محاولات الاستعمار في محو الطابع العربي من تلك البلاد ولا يستطيع أحد أن ينكر دور العرب في إقليم البرنو فقد تأثرت بهم شعوب تلك البلاد إلى حد كبير وتبنوا مظاهر الثقافة العربية بين هذه الشعوب المحلية . ولم يقف دور العرب عند الاقامة في هذه البلاد فحسب ، بل كان لهم دور بارز في تعمير البلاد وتطويرها ، وأن العرب اقاموا مجموعة من المدن الهامة في البرنو ولا سيما في الغرب والشرق والشمال ، فقد إستقرت أعداد كبيرة منهم ، وكان لاختلاط العرب مع سكان البلاد اثر كبير في نشر اللغة العربية ، بل أن الاجزاء الشمالية قد تعربت على مستوى الجنس واللغة وانتشرت اللغة العربية على نطاق كبير ، وأن كانت اللغات المحلية منتشرة في بعض الانحاء في البلاد ، الا أننا نجد أن اللغة العربية والنظم العربية اصبحت هي السائدة في البلاد (١) .

وكان تأثير العرب قويا فقد تعربت بعض القبائل في برنو وأن كان تأثير اللغة العربية قليلا على بعض القبائل مثل الشيوا والطوارق ، ولكن كثرة

---

(١) سر الختم عثمان : العلاقات بين مصر والسودان في العصور الوسطى ، ص٨٠ .

العرب فى سلطنة برنو حاولت أن تصبغ البلاد بالصبغة العربية الكاملة ، حيث دخلت بعض القبائل العربية من سودان وادى النيل الى برنو والذين يقدر عددهم بحوالى مائة الف نسمة ويوجد من بينهم أولاد سليمان والشوا ، والبقارة وكل هؤلاء ، يتكلمون اللغة العربية (١) .

ويبدو أن الهجرات العربية الرئيسية التى أثرت فى برنو وثقافتها العربية الاسلامية قد جاءت من مصر وشمال افريقيا عبر السهول والبرارى الواقعة بين النيل وإقليم بحيرة تشاد وأنهم تركوا اثرهم الثقافى والحضارى فى المناطق التى استقروا بها (٢) .

ويوجد فى برنو ايضا بعض العرب الراكبين وأنهم يتكلمون اللغة العربية ويتخذونها وسيلتهم فى كل أمور حياتهم وكذلك القوم الذين يختلطون بالعرب فانهم يتكلمون اللغة العربية أيضا ولقد تأثروا بالعرب الذين يعاشرونهم ويتصلون بهم وكان لهم نفوذ قوى فى برنو (٣) .

وعلى الجانب الاخر فان اللغة العربية قد أمدت لغة الكانورى بكلمات من الالفاظ الدينية والسياسية والاقتصادية وكان لهذه الهجرات العربية أثر كبير فى

---

(١) Trimingham, J.S.: Islam in west Africa P. 112.

(٢) مصطفى مسعد ، سلطنة دارفور ، المجلة التاريخية عدد ١١ ص١١٧

(٣) ابراهيم طرخان ، الاسلام واللغة العربية وغرب افريقيا ، ص ٦١ .

انتشار اللغة العربية في تلك البلاد واستقرارها بها ، وهذه الهجرات العربية قديمة وسابقة على دخول الاسلام ولكنها زادت بانتشار الاسلام ، وأمثال هذه السابقين للاسلام مثلا مجموعة القبائل العربية المعروفة باسم الشوا ، السابق ذكرها فان هذه التسمية التي أطلقها عليهم البرابرة ، قد وصلوا من وادي النيل من الشمال واستقروا في جنوب برنو بالتدريج (١) .

وقد فسر بعض الباحثين ، بأن أصل هذه التسمية عربي وأنها كانت الاصل فيه مجموعة عربية كما أن القبائل العربية ، قد احتفظت باسمها الاصلي بشكل جدا ، هذا وساهمت العرب والشوا وغيرهم من دعاة المسلمين العرب مع القبائل الافريقية ، ساعدت على انتشار اللغة العربية بجانب الاسلام ، ويحرص المتكلمون باللغة العربية في برنو مثلا على الاحتفاظ بها حتى لا تطغى عليها اللغات المحلية ولا سيما لغة الكانوري ، كما أن اللهجة العربية السائدة في برنو يغلب عليها اللهجات الحجازية (٢) .

والمسلمون في تلك البلاد متشبعون بالحضارة الاسلامية العربية ، وذلك لان العرب كانوا يختلطون برجالهم ونسائهم وحضارتهم وهكذا تطبع البلاد بالطابع العربي الاسلامي ويتم تداخل القبائل العربية مع القبائل المحلية في السودان الاوسط

---

(١) ابراهيم بن صالح ، نفس المرجع ، ص ٢٢١ .

(٢) ابراهيم طرخان ، نفس المرجع ، ص ٧ .

في قلب افريقيا فقد دخلت في الاسلام وطبعت بالروح العربية طوعا لا قسرا وقامت حضارات اسلامية ونمت اللهجات الوطنية الاصلية بجانب لغة الضاد لغة القرآن الكريم كدليل على أن الحضارة العربية تقوم على مجادلة النـــاس بالحسنى ولهذا وجدت الشعوب الافريقية في الاسلام والحضارة الاسلامية العربية ضالتها ، فقد عثر في برنو على عدد كبير من المقابر عليها شواهد باللغة العربية (١) .

وعلى هذا فإن التعريب في سلطنة برنو ، قد اتخذ مظاهر متعددة أبرزها اللغة والنسب والتاريخ . ولكي تحقق الاسرة الحاكمة هذه المظاهر ، ، شجعوا كثيرا من العلماء والفقهاء الذين اخذوا بنصيب من العلم في مصر وغيرها من البلاد الاسلامية ومنحوهم مكانة مرموقة وأحاطوا انفسهم بعدد من كتاب اللغة العربية وعلمائها وجعلوا اللغة العربية اداة للكتابة الرسمية الموجهة الـــى الاقطار الاسلامية مثال ذلك رسالة صاحب برنو الموجهة الى سلطان مصر (٢) .

وأيضا في سبيل هذا التعريب فانهم حولوا النسب الحميري الذي يتسم وذلك بأن عدل اهل برنو هذا النسب الحميري الى نسب حميري ملحق بالقرشية

---

(١) نجلاء سهيل العمري : الافريقيون والعرب ، ص ٦ .

(٢) القلقشندي : صبح الاعشى ، جـ ٨ ، ص ١١٦ .

( أهل تيس ) والاسلام فى سبيل هذا التعصيب عدلت اسماء ملوكهم التى كانت تحمل دلالات وثنية الى أسماء عربية اسلامية مشتقة أصلا من سلالة القرن الاسلامى (١) .

وأيضا مما قوى اللغة العربية وسهل انتشارها على نطاق واسع ، اتصال هذه الدولة الاسلامية بالدول الاسلامية المعاصرة " مصر وشمال افريقيا " ، واتساع بعض النظم شيئا واتخاذها اللغة العربية وسيلة فى كل امورها الحكومية وتشجيع الحركة العلمية وتقريب العلماء والفقهاء وبناء المساجد ، وتأسيس المدارس ، والترحيب بالعلماء من العالم الاسلامى ، وأدى ذلك الى ازدهار الدراسات الاسلامية العربية فى المراكز التى قامت فى برنو ، كما رحل الطلاب الى المراكز الاسلامية الثقافية فى العالم الاسلامى ، فى مصر وبلاد المغرب والحجاز والعراق وغيرها من البلاد الاسلامية الاخرى (٢) .

فالى جانب اللغة العربية التى انتشرت انتشارا واسعا فى البلاد ، فان أهل برنو يتكلمون عدة لغات محلية ولغة الكانورى ، أوسع هذه اللغات انتشارا ولكن لاتوجد مؤلفات بهذه اللغة ، وأن كانت تسعى الى أن تحمل محل اللغة العربية التى هى اللغة الرسمية وأن كانت بعض القبائل الافريقية فى تلك البلاد

---

(١) عبد المجيد عابدين : قبائل السودان الاوسط السودان الغربى ص ٥٠ ـ ١٠١

(٢) مصطفى محمد : الاسلام وحركة الثقافة فى غرب افريقيا ، ص ١٢٢ .

تتمسك بلغتها المحلية وتسعى بكل الوسائل في المحافظة عليها [١] .

ولقد ظلت اللغة العربية هي اللغة الرسمية في سلطنة الكانم والبرنو لمدة قرون ولقد حل الاستعمار الفرنسي والاستعمار الانجليزي عندما دخل هذه البلاد على أحلال لغته محل اللغة العربية ، وبذلك أنزل اللغة العربية الى الدرجة الثانية ، وهذا اكبر دليل على انتشار اللغة العربية وحبهـا في نفوس الاهالي وذلك لارتباطها بالقرآن الكريم [٢] .

ورغم محاولات الاستعمار ، فان اللغة العربية ظلت في انتشارها وزيادة المتحدثين بها ، وذلك بسبب ما أتفق عليه أغلبية المسلمين من عدم جواز ترجمة القرآن الكريم الى أن لغة اخرى ، فكان كل من يريد أن يفهمه ويحفظه أن يقبل على تعلم اللغة العربية ويبدو أن الاحجام عن ترجمة القرآن الكريم الى اللغات الاجنبية كان من أهم الاسباب التي حافظت على اللسان العربي وصانته ، ونستطيع أن نبين عمق وأثر اللغة العربية في تلك البلاد ، في وجود كثيرا من الكتب في تلك المكتبة في هذه البلاد وعنايتها باللغة العربية ، وتشجيع ارسال البعثات الطلابية

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية : مادة تيبستو ، ص ٥٨٣ .

(٢) علي ابوبكر : الثقافة العربية في نيجيريا ، ص ٢٠٣ .

وكان المتعلمون يعودون من مصر ليحتلوا مراكز القيادة في بلادهم وكانوا يمشون ردها اسلامية حية تقوم على أدوات الحياة الاسلامية العربية التي شاهدوها في مصر وباقي بلاد الشرق الاسلامي (١) .

وليس أدل على انتشار اللغة العربية ما قاله توماس ( رونالد ) من أن اللغة العربية وهي لغة القرآن الكريم لقد بلغت درجة عظيمة من الذيوع والانتشار حتى غدت لغة التفاهم بين قبائل نصف القارة السوداء . ثم يردف ويقول وهذا تقدم كبير في الحضارة الافريقية (٢) .

ولكن رغم انتشار اللغة العربية " برنو وباقي دول السودان الاوسط فانها لم تمس القبائل الوطنية الافريقية لغتها أو تقضي عليها بل ظلت هذه اللغات بجانب اللغة العربية التي هي لغة الدين والثقافة والمدنية والحكومة والتجارة . وقد تركت هذه اللغة العربية وأثرها في اللغات المحلية . لدرجة كبيرة ويظهر هذا الاثر واضحا في لغة الكانوري (٣) .

كما أن اثر التعريب في المدن الاسلامية في برنو واضح جدا بل أكثر وضوحا منه في المدن الاسلامية الاخرى في بلاد السودان الاوسط والغربي

---

(١) عبد الحليم عثمان : نفس المرجع . ص ١٩٧ .

(٢) ارنولد . توماس : الدعوة الى الاسلام . ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرين ص ٩٧ .

(٣) ابراهيم طرخان : نفس المرجع . ص ٧١ — ٧٢ .

ويوجد في لغة الكانوري كثيرا من الكلمات ذات الاصول العربية ومستخدمة في شتى مظاهر الحياة الدينية والثقافية والاقتصادية ، وفي الحروب والسياسة ونظم الحكم والقضاء ثم في لغة المكاتبات الرسمية بين الدولة وبين العالم الاسلامي الخارجي ولقد وجدت في الدواوين الخاصة من سلاطين الممالك صيغ عربية خاصة لمخاطبة ملوك تلك البلاد وكانت المكاتبات التي ملوك وسلاطين البرنو باللغة العربية تدل على مدى تقدم الاسلوب العربي وفن الكتابة العربية والمراسلات في برنو [1] ، وهذه النماذج التي احتفظ بها ديوان الانشاء في مصر [2] ، تدل دلالة واضحة على أن اللغة العربية قد فرضت سلطانها في بلاد برنو فوقا على كل اللغات المحلية السائدة في البلاد وانها أصبحت منطوقة ومفهومة ، لاغلب طبقات الشعب في برنو وليس للحكام والسادة ، وذلك لان كثيرا من القوانين والمراسيم التي كانت تصدرها الحكومة الاسلامية في برنو لرعاياها كانت تصدر باللغة العربية ، مثل دعوة بعض القبائل بالانخراط في الجيش ، أو لاصدار المراسيم السلطانية لتعيين القضاة والاشراف والعلماء ، ورجال الادارة في مناصبهم ، وأيضا المحرمات التي كان يحرص على اصدارها كل سلاطين برنو باللغة العربية وتذاع على الشعب لكي يعرف ما جاء بها ويعمل على احترامها وتنفيذها وأكبر دليل على ذلك المحرمة التي أصدرها السلطان ادريس الوما عام ١٠٠٠ هـ ـ

---

(١) ابراهيم طرخان : نفس المرجع ، ص ٢٣ ـ ٢٥ .

(٢) القلقشندي : صبح الاعشى جـ ٨ ص ٢ .

— ١٠٩١ م . والتى يعود فيها أصل بعض العلماء من بنى حبيب والذين يمتد نسبهم من على بن ابى طالب (١) .

وأيضا فانه فى المراسلات الداخلية التى كانت تتم بين السلطان وحكام اقاليمه والتى كانت تصدر باللغة العربية والتى يتضح فيها مدى قوة الاسلوب العربى وبلاغته (٢) .

كذلك وقف الباحثون على بعض المعلومات المتعلقة عن الحضارة الاسلامية الافريقية فى تلك البقاع وكان تأثير العرب واضحا قويا ومن ذلك الاتصال الدائم مع السودان وليبيا ومصر وباقى دول الشمال الافريقى . وكانت عاصمة البلاد مركزا لجالية عربية كبيرة من التجار والعلماء (٣) .

ومن هنا يمكن القول أن الحياة الاسلامية والحضارة الاسلامية التى يحياها العرب الاوائل تركت اكبر الاثر فى نفوس الافريقيين وأن الفضل فى انتشار الاسلام واللغة العربية فى المدن والقرى الصغيرة فى برنو يعود الى هؤلاء العرب الغازين (٤) .

---

(١) Palmer, R.: The Bornu shara and sudan. P. 50.

(٢) ابراهيم طرخان : نفس المرجع . ص ٧٥ .

(٣) نعيم قداح : افريقية العربية فى ظل الاسلام ص ٧٢ .

(٤) ابراهيم بن صالح : نفس المرجع . ص ١٦ .

## ب - أثر المعاهد العلمية والمساجد

## في الحياة الثقافية في برنو

عندما انتقلت الاسرة المالكة الى برنو ، تاركة وراءها - الكانم - أرض آبائها وأجدادها فانها كانت وشعبها قد تشبعت بروح الاسلام وحضارته وثقافته الاسلامية وأن اسلامها كان قد مر عليه اكثر من ثلاثة قرون ، فانها حملت معها المعتقدات الاسلامية السمحة الى أرض برنو ، ونشرتها بين القبائل الوثنيين الذين كانوا يسكنون تلك الاراضي . ومن ذلك فانها عملت على اقامة كثيرا من المراكز العلمية الاسلامية لكي تمارس دورها الهام في الحياة الثقافية في البلاد . ولكي تنشر الثقافة العربية الاسلامية بين القوم . وبذلك فقد انتشرت هذه المراكز والكتاتيب التي كان يؤمها كثيرا من التلاميذ لدراسة القرآن الكريم وتعاليمه ولغته العربية أيضا . ومن بين تلك المراكز الاسلامية التي انتشرت في برنو ، مركز اسلامي قوي كان يقوم بدور هام في نشر العلوم الاسلامية في شرق برنو . ذلك هو مركز دومبلوا Dumbulwa وكان هذا المركز محط انظار القادمين من غرب القارة لتأدية فريضة الحج في الاراضي الحجازية . حيث كانوا يتزودون بالتعاليم الاسلامية التي كان يقوم بشرحها لهم عدد من

---

(1) Trimingham, J.S.: islam in the sudan P. 160.

الائمة والمحسنين (١) ، بالاضافة الى أنه وجد في برنو كانم - نظام مقار للتعليم ، يعتمد على نشر الثقافة العربية الاسلامية في أرجاء البلاد ، وذلك لمحاولة خلق روح اسلامية قوية بين شعوب السودان الاوسط (٢) .

ولقد عمل سلاطين برنو على تزويد تلك المراكز العلمية في بلادهم بالكتب الدينية وخاصة كتب الفقه المالكي وكثيرا من المصاحف ، وأيضا دعوة العلماء من بلادهم للتدريس في هذه المراكز ، وفضلا استقدموا علماء كثيرين من القاهرة وفاس ، والقيروان وطرابلس وأيضا من بلاد الحجاز ، وغيرها من البلاد الاسلامية (٣) .

ولقد كان بعض العلماء يأتي الى بلاد برنو بصفتهم الشخصية وذلك بصحبة قوافل الحجاج أو صحبة القوافل التجارية ، وذلك ليقوموا بالتدريس في المعاهد العلمية التي كان يشجعها السلاطين ومن ذلك نجد أن السلطان علي غازي ، الذي كان أول من أرسى قوة وعظمة برنو ، يقوم بتنصيب الشيخ عمر بن عثمان مفتيا وإماما للعاصمة برني ، وبنى له مكانا يقوم فيه بالوعظ

---

(١)

(٢) ديفيد اوكونور : الاسلام في افريقيا الشرقية ص ١٩ / Trimingham, J.S.: Islam in the Sudan, P. 160.

(٣) Palmer, R.: OP. Cit. P. 33.

والارشاد لكافة المسلمين في العاصمة أو القادمين اليها . وكان السلطان على قاري بنفسه حريصا على حضور تلك المجالس وذلك لكي يتزود بالتعاليم الاسلامية الصحيحة (١) .

ولقد استفاد برنو كثيرا بصلاتها العلمية بمصر وذلك لاعجابهم بأهلها بالثقافة العربية الاسلامية الزاهرة بها القاهرة وتأثرهم بها دفعهم لكي يساهموا في بناء مدرسة في القاهرة عرفت باسم مدرسة بن رشيق . وأصبحت هذه المدرسة من المدارس العربية المشهورة في العصور الوسطى . وعمل سلاطين البلاد على تشجيع العلماء وأجزال العطاء لهم الامر الذي شجع بعض العلماء ليتصدرهم . وكان لهؤلاء العلماء أثر كبير في الحياة العلمية والاجتماعية في البلاد . فقد كان يتم عليهم واجبا التوجيه الديني في البلاد . وبالفعل فقد قام بعضهم بتسجيل التراث الادبي والفكري لعلماء البلاد . مثل أحمد بن فرطوا . والشيخ عمر بن عثمان مساريا . ولولا هذا الجهد لضاع تاريخ البلاد المجيد (٢) .

وكانت المراكز العلمية المنتشرة في البلاد في المدن الكبرى والصغرى

---

(١) ابراهيم بن صالح : نفس المرجع . ص ٨١ .

(٢) عمر النقر عثمان : نفس المرجع . ص ١٢٥ - ٢٧ .

الصغيرة ، والبوادى بحركة تطهير واسعة للإسلام من الشوائب والبدع ، وقام بهذا الجهد الطلاب الذين درسوا وتعلموا فى الازهر الشريف وأتقنوا اللغة العربية التى أصبحت وحدها لغة التخاطب مع القوم رغم الجهود التى بذلها الاستعمار للقضاء على الثقافة العربية الاسلامية فى تلك الجهات من القارة الافريقية ، وتحولت أنظار الافريقيين عن القاهرة ولكن دفاعهم عنها ظل فعالا قويا ، اذ أن المسلمين من الافريقيين يعمدون الى انشاء مدارسهم ومؤسساتهم الثقافية فى المناطق النائية من البلاد ، وذلك عملا على نشر اللغة الثقافة العربية من خلال مساجدهم التى كانوا يقومون فيها بالتدريس للاطفال من المسلمين والوطنيين (1) .

ويبدو أن المراكز العلمية قد انتشرت انتشارا واسعا فى برنو ، ولهذا فقد شد العلماء رحالهم الى برنو ووفد اليها علماء من القاهرة وتونس وفاس ومالى وسنغاى ، ومن ذلك ما ذكر أن كثيرا من العلماء قد وفدوا الى برنو فى عهد السلطان محمد بن ادريس الذين كان من بينهم الشيخ الفلاتى البرنسى ، والذى ظل طوال عمره يدعو الى الله ويشرح للناس تعاليم

---

(1) ابراهيم طرخان : نفس المرجع ، ص ٧٠ .

الاسلامية ويرشدهم الى الخير . والعمل بالكتاب والسنة . ولم يمض على اقامته في برنو الا زمن قصير حتى دخل في طاعته واتباعه عدد كبير من اهل برنو . الامر الذى أثار سخط السلطان عمر بن ادريس ( ١٦٢٥ - ١٦٤٠ م ) والذى أحضره الى مجلسه وسأله عن غايته فأخبره بأنه يقوم بارشاد الناس الى الطريق السليم والسلوك بهم نهج السنة المحمدية (١) .

ولكن السلطان رأى ازدياد نفوذ هذا الشيخ وكثرة اتباعه . فأمر بقتله وأيضا قتل بعض اتباعه ولكن بعض الاتباع استطاع الفرار وأشار الى ذلك محمد بن بلو . وذلك أن الشيخ الجرمي مع الشيخ وولده . وقعت عليهما المحنة ولكن الشيخ ولده استطاع الفرار من برنو . وقتل الشيخ الجرمي (٢) .

وقام كثير من العلماء بدور فعال ونشط في مجال التعليم على أساس التعليم الديني الاسلامي وحفظ القرآن وتفسيره . ودراسة اللغة العربية والعلوم الاسلامية وقد حرص أهل البلاد جميعهم على حفظ القرآن والتزامهم الشديد في ذلك (٣) .

---

(١) ابراهيم بن صالح : نفس المرجع ، ص ٩٢ .

(٢) محمد بلو : نفس المرجع ، ص ٢

(٣) حسن احمد محمود : نفس المرجع ص ٢٦٩ .

وكان كثيرا من السلاطين متفهمـــين في العلوم الاسلامية ، فضلا عن الجانــب السياسي ، ومن ذلك أن السلطـــــان حمودين بن دوتلط ( ١٧٢٣ ـــ ١٧٣٦ م ) كان أحد العلماء البارزين ، والذى لم يمنعه اشتغاله بالسياســة عن مواصلة حياته العلمية ، وأصار عصره بازدهار العلم والعلماء ، فقد قرب اليه العلماء ، ورجال الدين ، ودوام معهم على قراءة الكتب الدينية وبطالعتهــا وأبجاد الحلول للمشاكل الفقهية التي تعترضهـــم (١) .

وأيضا كان السلطان أحمد بن علي ( ١٧٩٣ ـــ ١٨١٠ م ) كــــان من السلاطين الصالحيـــن المتعبدين ، وكان محبا للعلماء ومقربــــا اياهم كما كان يحب جميع المسلمين ، وعليه خوفـــه من الله تسامح في كثيــــر مـــن الامــــور (٢) .

وقد ساهم العلماء البرنيون من خلال المراكز الاسلامية في اصدار كثيــر من المؤلفات التي غطت فنون المعرفة المختلفة من تاريخ وآداب الى علوم لغويــة وفقهية وحديث ، وهذه تعد بالآلاف ، وقد عثر على كثير من المخطوطـــات التي تجمعت من التدمير في عهد السلطـــان عمر بن محمد الامين الكانمي

---

(١) Palmer, R. : Op.cit . P . 252.

(٢) ابراهيم بن صالح : نفس المرجع ، ص ٩٧ .

وإن كانت كثيرا من المخطوطات قد تعرضت للتدمير على أيدي الهلالة عندما دخلوا نجمي عاصمة البلاد النوبية في كانم ، وقد عثر بارث خلال رحلته ( ١٨٤٩ - ١٨٥٥ ) على مخطوطة بها أسماء سلاطين برنو القدماء ومنها ديوان مايات برنو وبعض المراسيم التي كان يصدرها السلاطين (١) .

وليس هناك شك في أن كثيرا من المخطوطات العربية في برنو ، كان يقوم العلماء بتدريسها في المراكز الثقافية للطلاب ، وعلى هذا فانه يمكن القول أن برنو كانت من أكبر مراكز العلم والثقافة العربية في السودان الاوسط والغربي ، وقد أنجبت برنو عددا من علماء تفخر بهم المملكة ومعظمهم تلقوا تعليمهم في الازهر الشريف ، والذين كان لهم الفضل في تأسيس المعاهد الرئيسية في البلاد ومنهم الشيخ سليمان الباجرى والشيخ البحرى ، والشيخ محمد الوالى ، والشيخ محمد الطاهر بن ابراهيم والشيخ محمد البكرى ، وغيرهم من العلماء .

وقد استمر هؤلاء وتلاميذهم من بعدهم في اداء رسالة نشر

---

(١) ابراهيم طرخان : نفس المرجع ، ص ٧٦ - ٧٧ .

الثقافة الاسلامية والتدريس الاسلامى ، حتى جاء رابح الزبير ، فقضى على جميع المعاهد العلمية بقتل علمائها وتشتيت شملهم فأصبحت برنو مثل تمبكتو بعد اضمحلال الجهد المراكشى لها فى أواخر القرن السادس عشر(1) .

ولكن العمل الذى قام به رابح ، أفقدنا كثيرا من المعاهد الدينية التى كانت تقوم بدور هام فى نشر الاسلام والثقافة العربية ، فقد أصبح الحصول على تاريخ أى معهد مستحيل اذا ما استثنينا قليلا من المعاهد ، مثل معهد الشيخ الكانمى الذى أسسه بنفسه وكان مؤسسه قد درس فى كل من المدينة النبوية والازهر الشريف فاستقبل رجوعه الى وطنه وقبل أن يقوم بأى دور سياسى فى البلاد وكان ذلك فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى ( ١٧٩٦ م ) ، وكان الكانمى عالما متفقها ، مما أكسبه عددا كبيرا من الطلبة ، وكان نفوذه فى سلطنة البرنو ، لا يقل عن نفوذ عثمان دن فودى فى غرب القارة وأكبر دليل على ذلك هو قدرته على تجهيز جيش استطاع به أن يهزم الفلاتة ، بعد أن عجز سلاطين البرنو عن ذلك وقد أعطى الشيخ الكانمى كل

---

(1) على أبوبكر : الثقافة العربية فى نيجيريا ، ص ١١٧ .

اهتمامه بمعهده ، شارك امراء الدولة العليا والسلاطين .

وكان هذا المعهد يضم العديد من الطلاب الدارسين ، وأيضـــا عددا من الاتباع للشيخ وكان يساعد الشيخ بعض العلماء والاتباع في التدريس في هـــذا المعهـــد (١) .

على أنه في أواخر عهد الاسرة السيفية فقد أصبح هناك عدد قليل جدا من افراد الاسرة الحاكمة يهتمون بالثقافة العربية الاسلامية ، ويعملون على تشجيع العلماء وتقريبهم اليهم وأيضا تشجيع الطلاب وبذل العطاء لهم والمحافظـــة على المؤسسات العلمية أو على الاقل محاولة مساعدتها في تأدية رسالتها (٢) .

ولقد وجد غير هذا المعهد ، معاهد اخرى كثيرة مارست دورا هاما في نشر الثقافة الاسلامية العربية والحضـــارة الاسلامية بين القوم ، ومنهـــا المعهـــد الذي أسســـه الشيخ عبد السلام بن حبيب ، والذى درس فيـــه النحو والفقه ، والتفسير ، وهي العلوم التي كان بها يحفل ونشر الثقافـــة العربية في أرغيرمو وأيضا الاديب الحاج ابوبكر ، وهو من سلالـــة السلاطين

---

(١) علي ابوبكر : نفس المرجع ، ص ١١٨ .

(٢) علي ابوبكر : المرجع السابق ص ١١٩ ـ ١٢٠ .

المثقفون ومسجده يعد من أكبر المعاهد العلمية في برنو ويوجد غير هذا المعاهد كثيرا من المساجد التي كانت تنتشر في القرى الصغيرة وفي البوادي وفي أي مكان كان يوجد فيه مسلمون كان العلماء والفقهاء يعملون من خلال تدريسهم ومواعظهم على نشر الثقافة العربية في البلاد (١) .

وكان لمساجدها في نشر العقيدة الاسلامية وكان لافريقيا الاسلامي اثر في تدعيم هذه المراكز الاسلامية . ذلك أن مجموعة من العلماء والفقهاء قد حملوا مشاعل العلم والمعرفة الى تلك البقاع من القارة الافريقية . بعد أن تلقوا تعليمهم في مدارس مصر المشهورة في أزهرها الشريف ومن هنا فقد صحب النهضة الاسلامية في برنو . تطور ثقافي يتمثل في انتشار الثقافة العربية الاسلامية (٢) .

وساعد على انتشار هذه الثقافة العربية الاسلامية في برنو . تلك الكتب التي تفسر المذهب المالكي . والتي صحبها العلماء معهم الى برنو . وقد ساعدت هذه الكتب والافكار الاسلامية السنية برنو رغم الظروف .

---

(١) علي ابوبكر : نفس المرجع ، ص ١٢٠ .

(٢) عمر أنخم عثمان : نفس المرجع ، ص ٧٩ .

والمحن التي مرت بها في ادوار تاريخها على أن تظل باقية كمركز اشعاع للحضارة الاسلامية والثقافة العربية في وسط السودان (1) .

قام العلماء العرب القادمون من دول الشمال الافريقي بدور هام وفعال في الحركة العلمية والثقافية في برنو ، فقد تثقف العلماء من برنو والبلدان الافريقية ، واتصلوا بأهلها ونشروا العلم بينهم ثم عادوا الى اوطانهم بعد أن كانوا قد اقاموا في تلك البلاد واشتهروا بالعلم والتف حولهم تلاميذ كثيرون ولم يعد يألفون العنصرية ، فقد اصبحوا جميعا ابناء دين واحد ، ولغة واحدة على تراث فكري مشترك ، وقد كان لهؤلاء العلماء أثر عظيم في تنمية الروح العلمية وتدعيمها على مر الاجيال كما كان لهذا التعاطف اثر في سرعة الاستجابة لهذه الافكار والاهتداء بها ، وقد قام هؤلاء العلماء بدور كبير في انشاء مراكز العلم والتعليم في افريقية العربية الاسلامية (2) .

وكان لهذه المراكز العلمية شأن كبير في برنو ، اذ كانت عاملا من عوامل التحضر كما أنها رفعت مستوى أهل برنو الفكري وما جاورهم من شعوب السودان على أنه جاء فترة اضمحلت فيها الثقافة في برنو ، وقلت المراكز العلمية فلم يعد بها الا عدة مكاتب بسيطة يتعلم فيها الصبيان وهي مقصورة على المدن .

---

(1) Hodgkin, T.: OP. cit. P. 35.

(2) عبد المجيد عابدين : صور من وحدة الفكر العربي في افريقيا ، ص ٢١-٢٤

الكبرى ، ومعنى انه كانت في العاصمة ما يشبه الجامعة التي كان يؤمها ألفا أو ثلاثة الاف من الطلاب ، يجلسون على الصفائح وعلى هيأت الاعراب الذين يتعلم ابناؤهم فيها ولكن التعليم كان مقصورا على الكتابة العربية وتحفيظ القرآن الكريم أو سور قليلة منه . ويذكر أن الاساتذة لم يكونوا اعلم من تلاميذهم وانه ليس هناك تقدم في الحياة التعليمية وقد حدث ذلك التدهور في التعليم في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، عندما تعرضت البلاد للتدهور والانهيار(١)

ويذكر دنهام وكلابرتون أثناء زيارتهما لبرنو أنهما سمعا الاطفال الصغار في الصباح الباكر بعد صلاة الفجر مباشرة وهم يتلون الايات القرآنية بصوت جمع عال . ويتدارسون هذه الايات القرآنية فيما بينهم وهي التي كان يطلب منهم الشيخ تلاوتها في الصباح عند الذهاب الى الكتاب . وكانوا يلتفون حول النار المشتعلة وهم يمارسون هذه القراءة عادة كل يوم حول النار المشتعلة (٢) .

ولا شك أن هذه العادة كانت متوارثة منذ فترة طويلة . وأن هؤلاء الصبيان قد ورثوا هذه الطريقة في حفظ القرآن الكريم من أسلافهم

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية : مادة برنو ، ص ٥٨٣ .

(٢) Dan han and clepperton : OP. cit. P. 98.

ويلاحظ أن كتاتيب تحفيظ القرآن الكريم لم تكن في العاصمة برنو فقط أو في المدن الكبرى في برنو ، بل إنه من المرجح أن هذه الكتاتيب قد انتشرت في كل مكان دخله الاسلام (١) .

وقد ساعد على تطوير الحياة الثقافية في البلاد ، أن الأطفال كانوا ينتقلون من مكان الى آخر طلبا للعلم في هذه المراكز الثقافية التي انتشرت في برنو وأنهم كانوا يقطعون مئات الاميال على الاقدام طلبا للعلم وللالتحاق بالمدارس والمساجد التي كانت تدرس القرآن الكريم واللغة العربية وعلومها المختلفة ، وذلك لكي يكتسبوا المزيد من الثقافة العربية الاسلامية .

---

(١) حسن أحمد محمود : الثقافة العربية في أفريقية ، ص ٢٧ .

## دور المساجد في الحياة الثقافية

اذا كان للمعاهد والمراكز العلمية وكتاتيب تحفيظ القرآن دورا هاما في الحياة الثقافية في برنو ، فان المساجد لا تقل اهمية عن دور هذه المؤسسات الثقافية ان لم تكن مارست أهم الادوار في نشر الثقافة العربية الاسلامية ، بل كانت مصدرا من أهم هذه المصادر ، ذلك لان المساجد كانت هي أحد ملامح انتشار الاسلام في البلاد لانه كلما انتشر الاسلام في مكان ما ، فان الحاجة تدعو الى ضرورة وجود المساجد لكي يمارس المسلمون شعائرهم الدينية ويقومون بتأدية الصلاة في تلك المساجد . وعلى الرغم من المساجد لم تكن تحظى بعناية كبيرة في برنو في بادئ أمر الاسلام بها ، اذ نجد أن المساجد في المدن والقرى كانت تبنى من الطين والخوص والقنا او الطوب اللبن (١) .

وكانت المساجد مكانا استطاع من خلاله رجال الدين أن يقوموا بدورهم العظيم في المجتمع ، وكان دورهم في المساجد هو تأليف القلوب حول الشعائر الدينية وذلك بالاضافة الى أن الاسلام ليس يفرض على أتباعه أن يحملوا رسالته الى كل بقاع الارض يدعون فوق منابر المساجد كان يحض علماء الجهاد

---

(1) Trininqlam, J.S.: The christian church and islam in west Afrca. P. 31.

فى نشر الاسلام وثقافته وكان ذلك من غير شك بعناية وثقافة قوية . أشارت فى شعب برنو . شعروا فيها بأنهم قوة متماسكة من ناحية ومن ناحية أخرى بأنهم جزء من كيان عالمى اوسع بكثير من حدود بلادهم الضيقة وكان دور المسجد هاما فيما فى تعميق هذا الشعور لدى مسلمى برنو (١) .

ولقد صارت المساجد فى برنو مراكز اسلامية قوية ومنارات للاشعاع الاسلامى والحضارى وبازدياد دورها وتركت تأثيرها فى حياة السكان وطبعت البلاد بالطابع الاسلامى وازدياد عدد الداخلين فى الاسلام . وظهرت آثار الحضارة الاسلامية العربية واضحة قوية من جراء ممارسة المساجد لدورها فى نشر الاسلام والتعاليم الاسلامية وحضارتها (٢) .

وكانت تدرس فى المساجد كتب الحديث والتفسير وذلك على مذهب الامام مالك وهو مذهب الاغلبية فى البلاد . وهذا يدل على الدور الهام الذى كانت تمارسه المساجد بها والت تمارسه فى نشر الثقافة العربية الاسلامية . وذلك ما ذكره استاذى الدكتور حسن احمد محمود . بأنه اثناء زيارته لنيجيريا وتأديته صلاة الجمعة فى أحد مساجد العاصمة أن شاهد الخطيب يلقى خطبة الجمعة

---

(١) عبد المجيد عابدين : قبائل من السودان الاوسط والسودان الغربى ، ص ١٠٣

(٢) Lewis, M. : islam in tropicol Africa.P. 23.

بلغة اليوربا وحفظوا آيات من القرآن الكريم والاحاديث النبوية وكان ذلـــك باللغة العربيـــة (١) .

واهتم السلاطين اهتماما كبيرا ببناء المساجد وذلك لايمانهم بالدور العظيم الذى تلعبه المساجد فى نشر الاسلام وتعميق الثقافة الاسلامية بين قلوب الرعيـــة وتوجيه المسلمين وبما لهم فى برنو على هدف واحد ، فنجد أن السلطان علـــى غازى ، عند ما قام ببناء عاصمة بلاده ، برنى ، فانه قام ببناء اربعة مساجـــد كبيرة ، وذلك بالاضافة الى مسجد القصر الملكى ، الذى كان يؤدى الصـــلاة به جميع الامراء والنبلاء وسيدات القصر ، وعين لكل مسجد من هذه المساجـــد اماما ، لكى يؤدى الصلاة يوم الجمعة بالمصلين وكان كل مسجد من هـذه المساجد يسع أثنى عشر الفا من المصلين (٢) .

وكان السلاطين يختارون ائمة المساجد من بين الذين يتمتعون بسمعة طيبـة ويكون لهم تأثير قوى فى نفوس الشعب وكذلك من المتعلمين الذين درسوا خـــارج برنو ورحلوا الى مكة والازهر الشريف ونالوا قسطا وافرا من الثقافة العربية الاسلامية

---

(١) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٢٠ .

(٢) Palner, R: OP. cit .P. 34

(٣) Trin qham , J.S.: AAthstory of islam in west Africo.P. 117.

وقد استطاعت مساجد برنو ، ومدارسها أن تجذب اليها طلابا من شتى بلاد غرب القارة الافريقية ومن السودان الشرقى جنوب خضع لبرنو ، ومن ذلك ، نجد أن الحاج عمر أحد زعماء الحركات الدينية فى غرب افريقيا ، والذى لعب دورا بارزا فى تاريخ السودان الغربى ، مكث فترة ليست وجيزة فى برنو لكى يتزود بالتعاليم الدينية وليتردد على علمائها ويسمع من قضاتها ويدرس فى معاهدها ويسمع خطبائها فى المساجد وذلك الذى يوسع مداركه ويعمق مفاهيمه الدينية وعلى ثقافته الاسلامية (١) .

ولقد تركت الثقافة العربية الاسلامية طابعها واضحة فى البلاد ، بل أكثر من ذلك فانها تخطت حدود برنو الى الجنوب حيث مملكة الجوكون ، فنجد أن تقاليد الجوكون ، قد تأثرت من تقاليد شعب البرنو ، والذى نال قسطا وافرا من الثقافة العربية الاسلامية وذلك لان هناك فيان البرنو وأمارات الهوسا قد عاشوا بين الجوكون ومن هنا فقد تأثروا بالحضارة الاسلامية العربية التى نقلها أفراد شعب برنو فى المساجد ومن الائمة (٢) .

ولقد بذل السلاطين كل جهودهم ، على العمل فى نشر المساجد فى ، القرى والمدن وبنائها وتجميلها فنجد السلطان ادريس الوما بعد أن تولى

---

(١) Trimingtan, J.S.: OP. cit .P. 181.

(٢) Meek, C.K. : Asudonese kimdyoms .P. 22.

أمير البلاد يقوم بهدم المساجد القديمة ، وذلك لانها كانت مبنية من القش والطين ولم تكن تتناسب مع عظمة امبراطورية برنو ومكانتها في القارة الافريقية ولا مع النفوذ السياسي والثقافي الذي يتمتع برنو في عهده ، فأمر بأن تكون كل مساجد العاصمة والمدن الكبرى من الطوب الاحمر الاجر " والحجارة وذلك لكي يتمكن المسلمون من تأدية شعائرهم الدينية والقيام بالصلاة على خير اداء ولا سيما في فصل الامطار الغزيرة ، ولاهتمامه بالعقيدة الاسلامية ، فعين الائمة والعلماء لتلك المساجد وبذل جهودا جبارة لكي يقوم تلك المساجد بدورها الهام في نشر الاسلام وثقافته العربية الاسلامية (١) .

وكانت المساجد بالنسبة للمسلمين الذين يسكنون بالقرب منها بمثابة بيوت أخرى لهم اذ كانوا يلوذون هذه الفترة وكانوا يستخدمونها في منافع أخرى كثيرة (٢) .

ومن هنا فانه يمكن القول أن المساجد في بلاد برنو قد قامت بتأدية رسالتها في نشر الاسلام والعقيدة الاسلامية وفي نشر الحضارة العربية وثقافتها ، وذلك لان القائمين على أمور هذه المساجد من الائمة والوعاظ والعلماء كانوا قد

---

(1) Ahmed Fartua: Maildris Alloma. P. 39.

(٢) متز ، آدم : الحضارة العربية في القرن الرابع الهجري جـ ٢ ، ص ٨٧ .

تلقوا تعليمهم الاسلامي في مدارس القاهرة ومعاهدها وفي القيروان وفاس وطرابلس ثم عادوا الى بلادهم ليتولوا هذه الامور وكان هذا من بين الاسباب التي جعلت المساجد منارة للعلم والمعرفة في هذه البلاد الافريقية والتي كانت شعوبها تنظر الى المساجد نظرة مقدسة .

## الحج وأثره في نشر الثقافة العربية

الحج هو أحد أركان الاسلام الخمسة المفروضة على معتنقي العقيدة الاسلامية ومن هنا فقد حرص شعب البرنو وحكامه على أداء تلك الفريضة وزيارة الاماكن المقدسة في المدينة ومكة . وذلك لما كان يحظى لقب الحاج من احترام وهيبة وتقدير على الشخص الذي كان يقوم بتأدية هذه الفريضة . والذي كان يتحمل أهوال الطريق ومخاطره في الذهاب والعودة الى تلك الاماكن المقدسة . ولقد كان سلاطين كانم - برنو . من أحرص الناس على تأدية تلك الفريضة . وليس أدل على ذلك من أن السلطان أومي ( ١٠٨٥ - ١٠٩٧ ) وهو أول سلطان يعلن اسلامه في كانم وبرنو ويعتنق الديانة الاسلامية عقيدة له . يحرص على تأدية تلك الفريضة حرصه على تمسكه بالدين الجديد الذي اعتنقه وحرصه على الدخول فيه افواجا . ولكن القدر شاء له الا يكمل رحلته الى الحجاز اذ انه مات في الطريق (1) .

ولقد كان من صفات الذين يعتنقون الدين الاسلامي عقيدة لهم . ويتمسكون بها هو أن يذهبوا الى الاماكن المقدسة لتأدية فريضة الحج وكانت الدعوى الى الذهاب الى الاراضي المقدسة خاصة بالحكام وعلية القوم في المراحل الاولى لانتشار الاسلام في البلاد . اذ كانوا هم الذين يؤدون الفريضة ومعهم عدد قليل

---

(1) Barth, H. OP. cit. P. 582.

من رعيتهم وكان حكام البرنو - كانم هم أول من ادوا فريضة الحج من سلاطين السودان الاوسط والغربي (١) .

وكان الطريق بين مصر وبرنو حافلا بالنشاط والحركة ولا تنقطع منه القوافل معظم شهور السنة وذلك لقدوم الحجاج المسافرين الى الاراضي الحجازية ، ولقد مات من سلاطين برنو سلطانين في مصر وهما في طريقهما الى أرض الحجاز (٢) .

ولقد كان الحج من الاسباب الرئيسية في أنتشار الثقافة الاسلامية في برنو إذ نجد أن كثيرا من علماء مصر وثقافتها كانوا يأتون الى برنو من اجل العمل على نشر الثقافة الاسلامية ، صحبة لقوافل الحجاج القادمة من مصر الى بلادها (٣) .

وليس هناك شك في أن الحجاج ، قد تأثروا بالبلاد التي مروا بها ، وهم في طريق الذهاب والعودة الى الاراضي المقدسة ، وأنهم اقتبسوا كثيرا من مظاهرها الثقافية والحضارية وأنهم احضروا بعض الكتب الدينية التي تشرح وتفسر المذهب المالكي ، الذي كانوا يتخذونه مذهبا لهم ، وأنهم قاموا بشراء نسخ من القرآن الكريم من مصر أو الحجاز أو طرابلس ، لكي يقوموا

---

(١) Trin inqban, J.S.: The inflence of islam open A Afica.P.64.

(٢) الفاطر بيصلي : تاريخ وحضارة السودان الشرقي والاوسط ، ص١٢٢ .

(٣) سر الختم عثمان : العلاقات بين مصر والسودان في العصور الوسطى ص١٢٢

بالقاهرة لهما طوال رحلة الطريق التى كانت تستغرق وقتا طويلا فى الذهـــــاب والعودة وأن الحجاجْ كانوا يعودون بكثير من الفوائد الادبية والثقافية والدينيـــة التى كانت تنتشر فى البلاد التى يمروا بها (١) .

ولقد حرص السلاطين اشد الحرص على تأدية هذه الفريضة لما لها من اثــر ثقافى وحضارى وكسبا للعلم والمعرفة . فنجد السلطان على بن الحاج عمر . ( ١٦٤٥ ـ ١٦٨٤ ) يقوم بتأدية فريضة الحج ثلاثة مرات اثناء فترة حكمــه وهذا يوضح مدى الاهتمام والرغبة فى تأدية تلك الفريضــة (٢) .

وكذلك السلطان ادريس الوما رغم اشتغاله بالحروب التى كان يخوضهـــا ضد أعدا يرغمون منهم الوثنيين فانه استطاع أن يحصل على فسحة من الوقـــت لكى يقوم بتأدية فريضة الحج وذلك لايمانه العميق بأهمية تلك الفريضه . وقـــد عادت هذه الزيارة التى قام بها الى الاراضى المقدسة بالنفع الكثير على البـــلاد وكانت سببا فى الحصول على الاسلحة الحديثة التى ادخلها السلطان ادريـــس الوما فى جيشه . وكان اول من ادخلها بلاد السودان (٣) .

بل انه مما يذكر أن البرنويين انفسهم كانوا يدعون للاسلام ويحضرونه أثناء رحلتهم على الاقدام لتأدية فريضة الحج وكانوا يعتقلون اعترافهم للقبائل الاثيوبية من الغرب على ساحل البحر الاحمر فى الدعوة للاسلام (٤) . ويطلبـــون

---

(١) Trimingban, J.S. : Anistory of islom in west Africa P. 115.
(٢) Bentb, H. : OP. eit. P. 598.
(٣) Ahmad ibn fertua. : OP. cit. P. 38
(٤) [illegible]

جهودهم العظيمة على ادخال كثيرا من أهالى البلاد التى كانوا يمرون بها وهم فى طريقهم الى السودان الشرقى حيث القبائل الوثنية التى كانت تقطن هذا الطريق ولا سيما القبائل التى كانت تسكن جنوب بحيرة تشاد و وادای وبرنو .

وشجع ملوك برنو المحلية على رحيل بعض العلماء الى الجامع الازهر وتشجيعهم الى مكة ودمشق وبغداد وتزودهم بالعلوم الاسلامية والثقافة العربية . ثم عودتهم الى بلادهم واشتغالهم بتدريس القرآن وعلوم الحديث وشرح القاموس . وذلك بعد تأديتهم لفريضة الحج وتزودهم بالمعرفة والتعاليم الاسلامية بعد مقابلتهم للعلماء فى مكة والمدينة والقاهرة (١) .

وكذلك فانه أثناء حج السلاطين فانهم اتصلوا اثناء مرورهم بمصر بالسلاطين المماليك . وبوجوه القوم والعلماء والفقهاء . وكانت لهم معهم اتصالات قوية ولاسيما فى كل موسم حج كان سلاطين برنو . يرسلون الهدايا الى سلاطين مصر (٢) .

ومن أثر الاتصال بين اهالى تلك الديار وبلاد الحجاز وغيرها من الدول . الاسلامية العربية واختلاطهم بالعرب فى موسم الحج . أن تمكن العرب من حمل تلك الشعوب على أتخاذ لغتهم وحضارتهم . وكان من جزء هذا الاتصال بين

---

Palrer, R. : OP. cit .P. 33. (١)

(٢) حسن احمد محمود : نفس المرجع . ص ٢٠٨ .

وفود برنو الذاهبة لتأدية فريضة الحج أن اعتنق هذا الشعب معتقدات العرب وعاداتهم وطباعهم وفن عمارتهم . وقد ظل نفوذ العرب الحضاري والثقافي مسيطرا على البلاد التي تسرب اليها وكان هذا التأثير فيها (١) .

ومن طريق الحج وصلت تآليف المصريين الى بلاد السودان ومنها برنو . وكانت أغلب هذه التآليف تدور حول فقه المالكية . وأن مؤلفات السيوطي وغيره من العلماء المصريين عامة في هذه البلاد . وكان طلاب برنو الوافدين الى الازهر الشريف ومدارس مصر يأتون صحبة قوافل الحجاج . وكانوا يدرسون فقه الامام مالك والعلوم الاسلامية العربية . ويذكر أن أعظم نشاط قام به أفراده في ميدان الدعوة الدور العظيم الذى قام به أفرادا أكتسبوا حظا من التعليم الديني والثقافة العربية الاسلامية أو حجوا البيت وجاوروا في أماكنها المقدسة . فقد كان هؤلاء الحجاج بعد رجوعهم الى بلادهم يفتتحون المدارس ويقومون بتحفيظ القرآن الكريم . وتعليم الاطفال . مبادئ الدين الاسلامي واللغة العربية ومعاني السور القرآنية (٢)

واستفاد هؤلاء الحجاج القادمين من برنو ودول غرب القارة الافريقية لتأدية فريضة الحج استفادة كبيرة وعظيمة من مصر ومن مرورهم بها . الا أن الثابت تاريخيا أن اختيارهم طريق مصر لم يكن لمجرد العبور أو المرور الى الاراضي الحجازية . بل لاحساسهم العميق بأهمية مصر في حياتهم فقد قصدها الحجاج منطلقين ومتوقين لمشاهدة هذا المركز الحضاري وللتزود بالثقافة العربية الاسلامية (٣) .

---

(١) لبون ، جوستاف : حضارة العرب ، ص ١٠٩

ومن هنا يمكن القول أن مصر ، وهى فى هذا الموقع لملتقى قوافــــل الحجاج القادمين من الشمال الافريقى وبلاد السودان الغربى والاوســـط قد ساهمت بدور هام فى نشر الثقافة العربية الاسلامية فى برنو وتركت تأثيرها القوى على الحياة الثقافية بها .

كذلك كان الحج كان احدى الوسائل الهامة فى تعميق العقيدة الاسلامية لدى شعوب تلك المنطقة وأيضا عاملا قويا فى نشر الثقافة العربية الاسلاميــة اذ أن الحجاج كانوا يعودون الى بلادهم وهم أكثر حماسا للعمل من أجــــل العقيدة الاسلامية ومن أجل نشر الثقافة العربية الاسلامية والمحافظة على الدين القويم ونبذ البدع والخرافات التى علقت بالدين الاسلامى الحنيف .

---

(١) حسن احمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٦٧ .

(٢) عبد المنعم عثمان : نفس المرجع ص ٣٨ .

## ج ٤ الطرق الصوفية وأثرها في الحياة الثقافية

لقد كان للطرق الصوفية أثر كبير في نشر الاسلام وثقافته العربية الاسلامية في برنو بل إن أثرها فاق كل المؤسسات الثقافية والمساجد في نشر الاسلام ومبادئه السمحة ... اذ نجد أن تلك الطرق وقد عملت بمختلف الوسائل على تعميق الثقافة العربية الاسلامية بين مواطني برنو عن طريق علمائها وأتباعها من بعض الشيوخ والأنصار والدعاة الذين كانوا يعيشون فترة من الزمن في زواياها المنتشرة في الصحراء، والذين كانوا يعتنقون أفكارها ويعملون على نشرها. ولقد تأثرت برنو في تاريخها المتأخرة بعدة طرق صوفية منها الطريقة السنوسية، والقادرية، والتيجانية والمهدية وقد تركت كل هذه الطرق الصوفية بصماتها في الحياة الاسلامية في برنو.

### أ- الطريقة السنوسية

تنتسب الطريقة السنوسية الى مؤسسها الشيخ محمد علي السنوسي، وهو الزعيم والمصلح الذي استلهم تعاليم الدعوة الوهابية في محاربتها للبدع، وقد استمد الشيخ السنوسي مؤسس الطريقة هذه التأثيرات الدينية أثناء

أقامته بمكـــة لطلب العلم وقت استيـــلاء الحركة الوهابية عليها ، فتأثر بهم وتتلمذ على أيدى علمائها وتأثر بمذهبهـــم [1] ولما عاد الى بلاده عمل ـــــ خلال وجوده على أن يقنع المسلمين فى النواحى التى أقام فيها تلك الزاوية وعمـــل على أن يضم اليه كثيرا من الانصار ، وأن ينشر تعاليمه بين السكان [2].

لذا كان طريقته قد أثرت تأثيرا قويا واسعا وسط الصحراء ، وانتشرت الزوايا الـ التى تدين للسنوسية فى برنو ، وتركت تأثيرها على الحياة الثقافية والدينية علـــى الالاف من الموالين لها فى تلك البلاد بل أكثر من ذلك أن هؤلاء الموالـــين للطريقة السنوسيـــة كانوا يحاولون كل يوم كسب الانصار للطريقة والعمل على تشجيع ، انتشارها بين أهالى برنو وخاصة فى الجزء الشمالى من البلاد ، والقرب من الزوايا وقد لا لاقت هذه الطريقة نجاحا عظيما وساهمت فى نشر الثقافة العربية الاسلامية بـــين السكان [3]

وكانت تأثيرها فى بادئ الامر محدودا ، اذ أنها لم تؤثر الا فـــى الاجزاء الشمالية من كانم ـ برنو ، وهى الاجزاء التى تجاور الصحراء الليبيـــة والواحة التى كان يقيم فيها صاحب الطريقة وهى واحة جغبوب ولكنها سرعان ، مـــا انتشـــرت الطريقة فى برنو وانضم اليها أعداد كبيرة من المريدين والدعاة [4].

---

(١) حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية فى افريقية ، ص ٢٢

(٢) Triminqham ,J.S. : Ahistory of islam in west Africa P. 159.

(٣) Trim inqham, J.S.: Ib Id.P. 160.

(٤) Triminqham, J.S.: The influence of isham open Africa.P. 122.

ولم يتوقف نشاط الطريقة في كسب المريدين والاتباع والموالين لها ، بل أنها عملت من خلال الزوايا التي انتشرت في أنحاء متفرقة في الصحراء علـى نشر الاسلام وثقافته بين القبائل الوثنية التي تلجأ الى الجلوء من المناطـق الاسلامية والتي لم يصل اليها الاسلام بعد ، ومن خلال نشر الاسلام فانهـا كانت تنشر الثقافة العربية الاسلامية واللغة العربية ، وتخليص الاسلام مـن الشوائب التي علقت بين القبائل ، وقد ساعدهم على ذلك ، ما أجمع عليه أغلب ائمة المسلمين من عدم جواز ترجمـة القرآن ، فكان لابد لمن يتعلمـه ويحفظه أن يقبل على تعلم اللغة العربية والتي كان يقوم بتعليمها السنوسيـون وأيضا عدم القراءة بغير اللغة العربية في الصلاة وعلى ذلك فقد كان كل داخل في الاسلام أن يتعلم حفظ ما يقوم به صلاته ثم يمضي الى تعلم اللغة العربيـة ليزداد تفقها في الدين (١) .

وعمل انصار الطريقة على ادخال الاعداد الكبيرة من الوثنيين فـي الاسلام وتعليمهم اللغة العربية ، وأن كان نفوذ الطريقة السنوسية لم يصـل الى مثل نفوذ الطرق الاخرى التي وجدت لها أنصار كثيرين في البلاد ، ولكن ليس هذا يعني أن تأثيرها كان ضعيفا في البلاد ، ولكن أنصارها لم يكونـوا

---

(١) حسن احمد محمود : نفس المرجع ، ص ٥١ .

من الكثرة بالقياس إلى الطرق الصوفية الاخرى التي تنافسها (١).

ولا يستطيع أحد أن ينكر انها كانت من الطرق القائمة في البلاد وأنها كانت تتمتع بنفوذ روحي على كثيرا من المريدين وانها ساعدت على تعميق الشعور الاسلامي لدى الوطنيين وساعدت على نشر الثقافة العربية الاسلامية (٢).

على أن الطريقة كانت كل يوم تكسب لها انصارا جددا، وذلك بالعمل الدؤوب والنشاط الذي لا يكل، والذي كان يقوده شيخ الطريقة وبذلك فانها نجحت في أن تضم الى صفوفها رؤساء القبائل وزعمائها (٣).

ولكن قبل سقوط الاسرة السيفية فان هناك عوامل ساعدت على انتشارها في برنو - كانم وبداي، ذلك أن امير وادي محمد الشريف، والذي كان قد تعرف على السنوسي وصادقه اثناء اقامته الاولى في مكة، ثم أنه لما عاد الى بلاده وتولى السلطنة ومن ثم فانه قام بالعمل على نشر الطريقة السنوسية بين قومه (٤)، واستخدام كل الوسائل الممكنة للعمل على نشرها خارج نطاق وادي والتوسع في نشرها غربا في كانم - برنو، وباجرمي، ولكن الفرنسيين بدخولهم الى وسط افريقيا، وضعوا حدا لنشاط الطريقة السنوسية في وسط الصحراء، بل عملوا على محاربتها، وتدمير الزوايا التي كانت منتشرة في صحراء كانم (٥)

---

(١) ديهان، هوبير : نفس المرجع، ص ١٤٠.
(٢) عبد الرحمن زكي : المسلمون في العالم، ص ١٣١.
(٣) ابراهيم طرخان : نفس المرجع، ص ٦٢.
(٤) احمد صدقي الدجاني : الحركة السنوسية رسالة ماجستير، غير منشورة اداب القاهرة، ص ٧٠.
(٥)

ذلك أن هذه الزوايا التي كانت تنتشر على عرض الصحراء ، قاومت الاستعمار الفرنسي وتقدمه داخل القارة الافريقية ، وحاولت ان تمنع تقدمه ولذلك حدثت بينهما عدة حروب ، واستطاع الاستعمار أن يضع نهاية لزحف الزوايا وانتشارها نحو الجنوب ، وأن يحصر نشاطها ، وبذلك كان اتباعها لم يعد يمثلون ثقلا سكانيا منسجما ، بل صاروا عبارة عن مجموعات قليلة من السكان متناثرة وسط الصحراء (1) .

ولكن الطريقة عادت ووجدت طريقها الى برنو واستطاعت أن تكسب ارضا جديدة ، وذلك عندما استرد سلاطين برنو الكانميين عرش بلادهم المفقود ، وكانت هذه الاسرة الحاكمة في برنو قد لاذت بالفرار بعد سقوطها على يد رابح الزبير ، واستقرت بين قبائل التبو ، بعد أن طرد عن عرشها وفي الفترة التي قضتها بين هذه القبائل وهي فترة تناهز عشرة سنوات انضمت هناك الى الطريقة السنوسية السائدة ، ولما تغيرت الظروف السياسية في برنو ووجدت الاسرة الحاكمة الطريق مفتوحا امامها عادت الى برنو ، وفي ركابها الطريقة السنوسية ويعتبر سلطان برنو الشيخ البكري أول من أدخل الطريقة السنوسية الى برنو ، وإن كانت الطريقة قد انتشرت منذ فترة طويلة

(1) دائرة المعارف الاسلامية : مادة برنو ، ص ٥٨٣ .

من اتباع العصبانى كانم وأقامت لها عدة زوايـــا ولا سيما فى الشمال [1] .

وليس هناك شك فى أن الطريقة السنوسيـة ، قد عملت بكل الطرق والوسائل على نشـــر الاسلام بين القبائل الوثنية التى كانت لا تزال تسيطر على الفطـرة ، بل انها عمقت المفاهيم الاسلامية فى نفوس المسلمين ، وعملت على تخليـــص الدين الاسلامى الحنيف من الشوائب والبدع التى علقت به ، وأيضا من خـــلال هذا كله بأنها عملت على نشر الثقافة العربية الاسلاميـة فى كل مكان وصلـــت اليه تعاليمهـــا .

---

(١) على ابوبكر : نفس المرجـــع ، ص ١٢٥ .

## ب / الطريقة القادرية

أسس هذه الطريقة الشيخ عبد القادر الجيلاني ، وكان ذلك في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي ، وقد أنتشرت الطريقة القادرية انتشارا واسعا في مساحة تمتد من برنو شرقا الى منحنى نهر النيجر غربا ، وقام انصارها بنشاط عظيم ومجهود شاق في أنشاء الزوايا والربط والمدارس ، وارسال البعوث ، والتبشير بين الوثنيين ، وقد انطلقت في تأدية رسالتها بالجهود السلمية ، وعملت على نشر الاسلام وثقافته العربية (١) .

وكان لهذه الطريقة الدينية ، الفضل الاعظم في نشر الدعوة الاسلامية في السودان الاوسط والغربي ، وذلك للجهود الموفقة التي بذلها دعاة الاسلام من المرابطين في تلك المنطقة واغلبهم من اتباع الطريقة القادرية (٢) .

وقد عمل الاتباع على كسب الانصار للطريقة ، ونشر التعاليم الاسلامية والثقافة الاسلامية العربية ، وقد كانت هذه الطريقة من اشهر الطرق التي انتشرت في البلاد ، وكانت تقوم على مذهب الامام مالك ، وهو المذهب السائد بين شعب البرنو والكانم (٣) .

---

(١) حسن احمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٦٦ .

(٢) ديشان ، هوبير : نفس المرجع ، ص ٢٣٦ .

(٣) أبراهيم طرخان : نفس المرجع ، ص ٦٢ .

وكان لها الفضل السبق في البلاد ، اذ كثر انصارها دون الطرق الاخرى ، وأصبح كثيرا من التلاميذ والعلماء والائمة والفقهاء من انصار الطريقة القادرية ، وحاولت أن تجد لها انصارا هناك (1) .

على أن هناك اشارات تشير الى أن الطريقة القادريه لم يكن انصارها وحدهما من الكثرة في برنو ، وذلك بالنسبة الى الطريقة التيجانية ، الا انها كانت تحاول أن تكتسب كل يوم انصارا جدد لها (2) .

على أنه لا يستطيع أحد أن ينكر فضل الطريقة القادرية في نشر الاسلام وثقافته الاسلامية في سواحل القارة الافريقية ، فلقد كان لها نشاط عظيم في التبشير في سواحل القارة وخاصة المناطق التي كانت تقع الى الجنوب من برنو ، حيث استطاع الاسلام أن يجد صدى لها في نفوس كثيرا من أبناء القارة لدرجة أن الفولانيين عندما اعتنقوا هذه الاجزاء عملوا على التقرب الى رجال الطرق الصوفية ، وذلك لكي يستتب لهم الامر ، وذلك لما يتمتع به هؤلاء الزعماء من احترام ونفوذ كبير لدى شعوبهم (3) .

---

(1) Trimingham, J.S.: islam in west Africa P. 96.

(٢) دائرة المعارف الاسلامية : مادة برنو ، ص ٥٨٣ .

(٣) محمد عبده مخلوف : الاسلام في غرب افريقيا ، نهضة افريقيا ، عدد ٤٩ ، ٥٥ .

وقد انتشر دعاة الطريقة فى المراكز التجارية ، والمدن الكبرى ، حيث قاموا بفتح المدارس لتعليم القرآن الكريم واللغة العربية والثقافة الاسلامية ، وذلك فى الاقاليم الوثنية التى كان الاسلام لم يصل اليها بعد (١) .

وصلت الطريقة على نشر عقيدتها وتسلسلها بين الافريقيين فى تلك المناطق واستطاعت أن تكسب اعدادا كبيرة من الانصار ، وبذلك فانها استطاعت ان تقوم برسالتها فى نشر الاسلام وتحسين طاعتهم لدى شعب برنو ، بل أنها استطاعت أن تساهم مساهمة كبرى فى نشر الثقافة العربية الاسلامية وبذلك فانها اثرت فى الحياة الثقافية لشعب برنو ، تأثيرا قويا وساهمت بجانب الطرق الاخرى فى نشر الثقافة العربية الاسلامية لدى سكان البلاد .

---

(١) Trimingham, J.S.: A history of islma in west Africa P. 159.

## حـ/ الطريقـــة التيجانيـــة

اذا كانت الطريقة السنوسية والقادرية قد أثرت في الحياة الثقافية لشعب برنو وساعدت على نشر الثقافة العربية الاسلامية ، فانه كان بجانب هاتين الطريقتين طريقة أخرى صوفية استطاعت أن تنتشر في البلاد ، تلك هي الطريقة التيجانية ، والتي أصبحت هي السائدة دون الطريقتين الاخريين (١) .

وقد اتخذت هذه الطريقة طابعا حربيا في نشر رسالتها ومن هنا فانها استطاعت أن تكسب لها انصار كثيرين وأن يكون نفوذا واسعا في بلاد السودان الاوسط والغربي (٢) .

وكانت الطريقتين السنوسية والقادرية في برنو ضعيفتين الى جانبها ، وذلك أن أكثر أهل البلاد ، كانوا من أنصار الطريقة التيجانية حتى لقد أصبحت هي المذهب الشائع في البلاد واعتنق فكرتها معظم الاهالي وكثر الدعاة لها بين القبائل والمدن والقرى (٣) .

وذلك لان مبادئها كانت تدعو الى الشدة في نشر الاسلام وثقافته بعكس القادرية التي كانت تدعو الى التساهل والتسامح في نشر طريقتها بين الاهالي (٤) .

---

(١) Trimingham, J.S.: The influence of islam upon Africa P. 122.

(٢) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص ٩٤ .

(٣) ديشان ، هوبير ، نفس المرجع ، ص ١٣٦ ـ ١٣٩ .

(٤) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٩٨ .

ورغم أن الطريقة التيجانية ، لا تستند الى الشدة فى نشر مطالبها ولى جعل مريديها يخضعون لنظام صارم من الانضباط والخضوع فى تنفيذ الاوامر وما يطلب منهم من أعمال ، فان أحد سلاطين برنو قد أعتنق هذه الطريقة ناشرا لها فى البلاد وأطلق العنان للمريدين لكسب أنصارا لها وساعدها بكل الوسائل وذلك لازدياد انتشارها فى البلاد (١) .

على أنه مهما يكن ، فان الطرق الصوفية التى أنتشرت فى البلاد قد عملت على نشر الديانة الاسلامية وثقافتها التى كانت تعتمد على اللغة العربية فى تحفيظ القرآن وقراءته ، وفى رواية الاحاديث وفى تفسير الايات القرآنية وفى القاء الاحاديث والمواعظ ، وفى شرح المسائل الفقهية ، وكل هذه الامور ساعدت على نشر الثقافة الاسلامية العربية فى البلاد وأصبحت الاجزاء التى انتشرت فيها تلك الطرق اسلامية عربية ولكن هذه الطرق الصوفية عمتها نهضة شاملة قادت الى الانتشار ، وزاد نشاطها واتخذت أعدادها فى نشر رسالتها واستطاعت هذه النهضة الاسلامية التى صاحبت هذه الطرق تخليص الدعوة الاسلامية من الركود (٢) .

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية : مادة برنو ، ص ٢٨٣ .

(٢) حسن أحمد محمود : نفس المرجع ، ص ٢٤ .

## د / الطريقة المهديـــــة

وبجانب هذه الطرق التي انتشرت في البلاد ، وجدت المهدية طريقها الى برنو، ركب رابح الزبير ، الذي دفعته انتصاراته الى أن يقوم بالدعـــوة للمهدية في البلاد التي أخضعها لنفوذه وحكمه ، وكان أن رأى بعض القبائـــل أنه ورث سيف النصر عن المهدي وصدقته القبائل التي أصبحت تحت سيادتـــه وانتشرت الطريقة في برنو [1] .

وأن هذا لا ينفي أن المهدية دخلت برنو قبل دخول رابح اليهـــا ، وذلك بعض القبائل التي أعجبت بطريقة وكيفية استيلائه على مقاليد الامور فـــي السودان وكثرة أنصاره وبذلك فان الطريقة تخطت حدود السودان الشرقـــي الى الاقاليم الواقعة غرب مثل وادى وادماوا وبرنو ، وساعد على ذلك أن خليفـــة المهدى عبد الله التعايشي كانت اسرته اصلا من بلاد التكرور ، وقد دخـــل في المهديـــة بعضا من أهل التعايشي [2] .

ولقد عملت كل هذه الطرق الصوفية ، على نشر الاسلام وثقافته بـــين شعب برنو ، بل أنها وقفت في وجه الاستعمار الفرنسي الذي حاول أن يقتلع العقيدة الاسلامية من نفوس اهالي البلاد ، ومن هنا فانه يمكن القول أن برنو

---

(١) على ابوبكر : نفس المرجع ، ص ٢٤ .

(٢) Triningham, J.S.: The influence of islam open Africa P. 78.

قد وصلت الى مكانة في السودان ، جعلتها اضافة للحضارة السودانية ، اذ أنها أخذت من العرب ، ليست عربية ، وأخذت من [illegible] الزنوج ولم تكن زنجية ، تختلف عن كليهما وتتميز بطابعها الفريد [1] .

وعلى هذا فان بربر وصلت الى مرحلة من التقدم الثقافي والحضاري الاسلامي جعلتها رائدة الحضارة الاسلامية في بلاد السودان .

---

(١) شريف محمد شريف : نفس المرجع ، ص ٢٤ .

# (( الخـــاتمـــه ))

فى هذه الدراسه يتضح أن سلطنه برنو الاسلاميه ، والتى كانت كانم ـ برنو قبل القرن الرابع عشـر الميلادى ـ ثم صارت بعد ذلك برنو ـ كانم ـ فبعد أن كانت برنو جزء من الكانم أصبحت الكانم جزء من برنـو ـ كانت سلطنـه طبعـت بالحضاره العربيه الاسلاميه وكان لها طابعها المميز فى ملائمـه هذه الحضاره العربيـــه الاسلاميـه الوافـده من الشمال والشمال الشرقـى مع تقاليـدهـا وقيمتهـا الأفريقيـه ، فعلى الرغم من أنهـا أخذت عن العرب ثقافتهـم الا أنهـا لم تكن عربيـه وأختلفت عن زنج الزنوج ، ولم تكن زنجيـه بل كانت لها حضارتهـا وثقافتهـا المتميزه ، على الرغم من أن الحضاره العربيه تركت بصماتهـا القويه وواضحه فى تلك البـلاد .

وقد ساعد على ذلك اتصالها المستمر بالعالم الاسلامى والهجرات العربيـــه الواسعـه واستقرار الأعـداد الكبيره فى القبائل العربيه وأنصارهـم فى برنـــو وعملهـم على نشر الاسلام وحضارتـه .

وكانت هناك عده عوامـل ساعدت على صبغ البلاد بالصبغـه العربيه الاسلاميـه وتأثرهـا بالحضاره الاسلاميه منها أن برنـو ، قد ارتبطـت بعده روابـط قويـه مع كل البلاد الاسلاميه المعاصره لها . وأنها قد فوجئت وجنت ثمرات هذا الاتصـال مكان من جراء اتصالها بمصـر أن رحبـت مصر بطـلاب برنـو فى الجـامـع الأزهر وأفردت لها رواقـا عرف باسـم رواق البرنيـه وأجزل لهم السلاطـين العطـاء والمنح وساعدوهـم على اكتسـاب المعرفـه والحضاره الاسلاميـه العربيـه وذلك حتى اذا ما عادوا الى بلادهـم فانهـم يحفظـون لمصـر كرمهـا وفضلهـا العلمى والحضارى وكان هؤلاء يتولـون قياده بلادهـم نفسهـم

من يتولى الأمور القضائيه والاداريه والتنظيميه ، ومنهم من يتولى شئون التعليم والأمانه والوعظ والافتاء .

وحبت برنو بتلك الثقافه الاسلاميه العربيه وعملت من جانبها على أن تشارك مصر فى أداء رسالتها الثقافيه والحضاريه والقائمه على مذهب الامام مالك. وتجلى ذلك واضحا فى قيام أهل برنو بانشاء مدرسه بالقاهره كانت من أشهر المدارس بها . وعرفت بمدرسه بنى رشيق . وذلك لكى تؤدى هذه المدرسه رسالتها الاسلاميه ولكى تشارك قلعة الحضاره العربيه ومناره الموقه من تثقيف أبناء السودان الذين يوفدون اليها بالتزود للثقافه العربيه الاسلاميه .

ولم يقف حكام مصر وسلاطينها موقفا سلبيا من أهل برنو بل عملوا على توفير الراحه والاستقرار للتجار الكارميه فنجد السلطان العادل أخو السلطان صلاح الدين الأيوبى ، يأمر ببناء فندق للتجار الكارميه على ساحل نيل مصر ببولاق. وذلك لكى يكونوا لهم مقرا وكانوا يسترحون فيه . ولكى يستطيعوا أن يمارسوا نشاطهم التجارى. بل أكثر من ذلك فانهم منحوا التسهيلات اللازمه فى كل الموانى والبلاد العلويه المصريه مثل الاسكندريه وعيذاب ودمياط وغيرها من موانى البحر المتوسط والأحمر وسمح لهم باقامة نقابه تجاريه عليها رئيس منهم ليدافع عنهم وعن حقوقهم. وقابل التجار الكارميه هذا الكرم بالمساهمه فى بناء اقتصاد البلاد وذلك بما كانوا يدفعونه من ضرائب وتبرعات وما كانوا يقومون من أعمال التعمير والانشاء وفى المساهمه فى تحمل نفقات بعض الحملات الحربيه من أعداء مصر .

وذلك لما كانوا يتمثلونه فى مصر وكونها قلعه الحضاره الاسلاميه وحصن الاسلام والعروبه . وأيضا فقد حفظ ديوان الانشاء المصرى نماذج لمكاتبه سلاطين برنو وهذا دليل قوى على عمق الصلات والروابط بل ان السلاطين مصر كانوا يتابعون الأحداث التى تجرى فى برنو وفى غيرها من بلاد السودان الغربى والأوسط وذلك لما كان لهم من نفوذ سياسى واسع فى تلك البلاد . ومن هنا فان مصر استحقت الثره الوقوره والعظيمه التى كان ينظر بها اليها سكان برنو . وليس أدل على ذلك الرساله التى بعث بها سلطان برنو مع لابنه عمه صحبه قافله للحج الى سلطان مصر المملوكى السلطان الظاهر برقوق فى أواخر القرن السابع عشر الميلادى (١٣٩٣) يشكو فيها عرب خدام . وهجومهم على بلاده وساعدتهم أعداء البلاله على قتل السلاطين وطردهم من ديارهم وديار أجدادهم . ولهذا كانت الدافع الى ارسال تلك الرساله ما كانت تتمتع به مصر فى مكانه عاليه وقدره على تأديب هؤلاء الأعداء الذين نشروا الفساد على أرض برنو كما جاء فى رساله سلطان فى البلاد .

وكان لموقع مصر فى طريق الحج دور هم فى الاتصال مع برنو ذلك أن سلاطين برنو وحكامها وأمرائها كانوا يخرجون كل عام فى موكب حافل الى الأرض الحجازيه وأنهم كانوا يمرون بمصر ويستقرون بها فتره من الزمن ينالون فى ثقافتها وحضارتها وذلك لأن الحجاج برنو وبقيه بلاد السودان يقصدون مصر متطلعين ومتشوقين لمشاهده ذلك المركز الحضارى المشع من جميع جوانبه وكان المرور بمصر والاستقرار بها من احدى الدوافع على حرص سلاطين برنو على القيام بتأديتهم فريضه الحج وذلك لأن برنو كانت

من أول البلاد السودان التي دخلها الاسلام وكان سلاطينها أسبق سلاطين السودان الى تأديه فريضه الحج كانوا أسبق من مالى وسنغالى وغانا .

وليس أدل على حرص سلاطين برنو على تأديه تلك الفريضه فى وجود بعض السلاطين قاموا بتأديه جزء الفريضه ثلاث مرات منهم السلطان ٠ ٠ على بن تلحاج عمر ( ١٦٤٨ - ١٦٨٤ م ) والذى قام بتأديه تلك الفريضه فى أعوام ١٦٤٨ ، ١٦٥٦ ، ١٦٦٧ م وكان من جراء تلك الاتصالات أن وفد على برنو كثيرا من العلماء المصريين صحبه القوافل الحجاج ورحلت الكتب الدينيه والاسلاميه التى كانت تدرس فى مصر الى مدارس ومراكز برنو العلميه .

ولم ترتبط برنو بمصر فقط بل ارتبطت لكل من ليبيا وتونس ومراكش وذلك لأن هذه البلاد كانت منفذها الى العالم الخارجى وكانت الطرق الصحراويه الممتده عبر الصحراء هى حلقه الاتصال والتى ساعدت على قيام الصلات وطيده بينهما وقد تجلى على ذلك اتصال سلاطين برنو الهدايا و السفارات الى كل من حكام ليبيا وتونس والمغرب.

وارتبطت بلاد غرب القاره وفد اليها العلماء من مالى وسنغاى ومارست برنو دورا سياسيا ونفوذا قويا على امارات الهوسا ووسعت حدوده غربا وفرضت سيطرتها على كثيرا من الاجزاء التى نفذتها سنغاى ومالى وأدت دورها فى مساعده تلك الشعوب ولم تقف مكتوفه الأيدى أمام الزحف المراكشى فى الشمال والذى أنهى وجود سنغاى عام ١٥٩١ م . وذلك بقيام السلطان ادريس الوما بارسال قواته العسكريه لمساعده أقاربه حكام سنغاى .

وارتبطت برنو بالأقاليم الشرقيه وادى واجرى وسودان وادى النيل ووجدت تتار

تدل على أن برنو فرضت نفوذها على دارفور وكردفان ، واتصلت ببلاد العراق والحجاز وتركيا .

وقام جيشها بفرض سيطرة برنو على الأقاليم المجاورة وذلك عن طريق الحملات العسكرية الكبيرة التي كان يقوم بها السلاطين وكذلك فان برنو ساهمت بجزء من قواتها العسكرية في الصراع الدائر في اقليم الأندلس بين المسلمين والمسيحيين وعبرت مضيق جبل طارق وقاتلت الى جانب قوات المسلمين .

وعملت برنو على نشر الاسلام ورسالته السامية بين الشعوب الوثنية التي كانت تسكن الى الجنوب والشرق منها . ورغم أن سكان برنو لم يكونوا أصل دعوة للاسلام الا أن تاريخهم كما أشار الى ذلك أحمد بن فرطو يشهد على أنهم بذلوا جهودا جبارة في نشر الاسلام وثقافته الاسلامية بين القبائل التي كانت تجاورهم وخاصة سكان الغابات الوثنيين وأن الحملات التي كان يقوم بها سلاطين البلاد لم تكن من أجل جانب الرقيق كما أشار الى ذلك الكتاب الفرنسيين المسيحيين . بل ان كل هذه الحملات كانت من أجل نشر الاسلام ورسالته السامية وليس أدل على ذلك من أن السلطان على غازى أول سلطان بدعم قوة برنو يخير أحد زعماء القبائل تهرها بين أعناق الاسلام أو القتل ذلك الزعيم الذى الاسلامى عقيدة له ولقبيلته كذلك ألم يقبل السلطان ادريس الوما أقوى سلاطين برنو على يد أحد الوثنيين وهو يجاهد الكفار سكان الغابات وألن يكن هو الذى أرسل للها السلطان المغرب الأقصى يطلب الأسلحة النارية كن أجل نشر الاسلام عقيدتنا ومجاهدة الكفار كما أشار الى ذلك في رسالته المرسلة عام ٩٩٠ ق . هـ ١٥٨٢ م .

كذلك ألم يكن نظام الحكم القائم في برنو نظام حكم شورى قائم على أساس الشورى وذلك عملا بما جاء في القرآن الكريم وقوله تعالى . وأمرهم شورى

بينهم وقوله تعالى . وشاورهم فى الأمر وأيضا ألم تكن مكاتبات السلاطين ومراسيمهم وقوانيهم لتصدر باللغه العربيه وألم تكن نظم الضرائب والشئون الماليه للبلاد قائمه على ما جاء به الاسلام من ذكاه وجزيه وعشر كذلك ألم يكن جيش برنو يسير على نظم جاء بها قادته من الشرق والشمال الاسلامى وألم تكن الأسلحه والخيول وكل معدات وأدوات الحرب قادمه فى العالم الاسلامى .

من كل هذا تستطيع القول أن برنو ارتبطت بالعالم الاسلامى العربى ولو لم تكن الظروف الصعبه التى مر بها العالم العربى الاسلامى وما أصابه من ضربات على أيدى المغول والتتار والصليبيون والمسيحيين فى الأندلس لكانت تلك المنطقه محل الدراسه اليوم جزء من العالم العربى الاسلامى الناطق باللغه العربيه لغه الضاد .

وأما كان هذا لا ينبغى وجود أعداد كبيره جدا اليوم من المسلمين والناطقين باللغه العربيه فى شمال نيجيريا .

(الملحـــق رقم "١")

(رســم المكاتبة الى سلطان برنو)

القلقشندى : صبح الاعشى فى صناعـــة الانشـــا

ج ٨ ، ص ٧

أدام الله تعالى نصر الجناب الكريم ، العالي الملك الجليـــل ، الكبير العادل ، الغازي ، المجاهد ، الهمام ، الاوحد ، المظفر ، المنصور ، عز الاسلام ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، جمال الملـــوك والسلاطين ، ظهير الامام ، عضد أمير المؤمنين ، فـــلان يدعو له بما يناسبـــه .

(( ملحق رقم " ٦ " ))

نص الرسالة المرسلة من سلطان برنو

" السلطان عمرو بن عثمان " الى سلطان مصر

المملوكي : السلطان الظاهر برقوق

---

القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة الانشا

ج ٨ ، ص ١١٦ – ١١٧

---

" بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما ، الحمد لله الذي جعل الخط ترسلا بين الاباعد ، وترجما بين الاقارب ، ومصافحة بين الاحباب ومؤنسا بين العلماء ووحشة بين الجهال ، ولولا ذلك لبطلت الكلمات وفسدت الحاجات ، وصلوات الله على نبينا المصطفى ، ورسولنا المرتضى ، الذي أغلق الله به باب النبوة وختم ، وجعله آخر المرسلين ، بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، ما لاحت البرق وما غاب الشروق الجليل ، ثم بعد ذلك ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم .

من المتوكل على الله تعالى ، الملك الاجل ، سيف الاسلام ، وربيع الايتام ، الملك المقدام القائم بأمر الله ، المستنصر بالله ، المنصور في كل حين وأوان ودهر وزمان ، الملك العادل ، الزاهد ، التقي ، الانجد ، الامجد ، الشمشم فخر الدين ، زين الاسلام ، قطب الجلالة ، سلالة الكبراء ، كهف الصدور ، مصباح الظلام ، ابي عمرو عثمان ، الملك بن ادريس الحاج امير المؤمنين ، المرحوم

كرم الله ضريحه وأدام ذريته . هذا اللفظ وارد على لسان كاتبنا لا لنا ولا نحوا .

الى ملك مصر الجليل . أرض الله المباركة . أم الدنيا . سلام عليكم . أعطر من المسك الاذفر . وأعذب من ماء الغمام واليم . وأد الله ملككم وسلطانكم . والسلام على جلسائكم وفقهائكم وعلمائكم الذين يدرسون القرآن والعلم وجماعتكم وأهل طاعتكم أجمعين .

وبعد ذلك فانا قد أرسلنا اليكم رسولنا وهو ابن عمي ادريس بن محمد . من أجل الجائحة التي وجدناها وملوكنا فان الاعراب الذين يسمون جذاما وغيرهم قد سبوا احرارنا من النساء والصبيان . وضعفاء الرجال . وقرابتنا وغيرهم من المسلمين . ومنهم من يشركون بالله ويمارقون الدين . فغاروا على المسلمين فقتلوهم قتلا شديدا لفتنة وقعت بيننا وبين اعدائنا فبسبب تلك الفتنة قتلوا ملكنا عمر ابن ادريس الشهيد . وهذا اخونا ابن ابينا ادريس بن ابراهيم الحاج . ونحن بنو سيف بن ذي يزن . والد قبيلتنا العربي القرشي . كذا ضبطناه من شيوخنا . وهؤلاء الاعراب قد افسدوا في أرضنا كلها في بلد برنو كافة حتى الان . وسبوا احرارنا وقرابتنا من المسلمين ويبيعونهم لجلاب مصر والشام وغيرهم . ويختدمون ببعضهم . فان حكم مصر قد جعله الله في أيديكم من البحر الى اسوان . فانهم قد اتخذوا متجرا . فابعثوا الرسل الى جميع ارضكم

وأمرائكم ووزرائكم وقضاتكم وحكامكم وعمالكم . وأصحاب أسواقكم يظلون يحتسبون ويكلسون فاذا وجدوهم فلينزعوهم من أيديهم . وليعلقوهم . فان قالوا . نحن أحرار نحن مسلمون فصدقوهم ولا تكذبوهم . فاذا تبين ذلك لكم . فاطلقوهم وردوهم الى حيهم وسلامهم .

قال بعض الاعراب يفسدون في أرضنا ولا يصلحون . فانهم الجاهلون بكتاب الله وسنة رسولنا فانهم يتبعون الباطل . فاتقوا الله وأطيعوه ولا تعقدوا لهم ليسترقوا ويباعوا .

قال الله تعالى " والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر " وقال الله تعالى لنبيه عليه السلام " فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم " وقال الله تعالى " ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض " وكان عليه السلام يقول " السلطان ظل الله في الارض يأوي اليه كل مظلوم " وقال " المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا الى يوم القيامة " وقال " المؤمن أخو المؤمن لا يظلمه ولا يسلمه الى آخره " وفي الحكمة وهي الفرائض الامر بالمعروف على كل من بسطت يده في الارض . أراد به السلطان . وعلى كل من تصل يده الى ذلك أراد بذلك القضاة والحكام والامراء . فان لم يقدر فبلسانه . أراد بذلك الفقهاء والعلماء . فان لم يقدر فبقلبه أراد بذلك عامة المسلمين " .

اطال الله بقائكم في أرضكم ، فاجزوا الاجراء بالجهد ين من عرقهم .
قال الله تعالى " الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وأن الله لمع المحسنين
وقال عليه السلام "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " وقال في الحكمة لولا السلطان
لاكل الناس بعضهم بعضا " وقال تعالى لنبيه داود عليه السلام " يا داود انا
جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك
عن سبيل الله ، أن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد ، بما
نسوا يوم الحساب ، والسلام على من اتبع الهدى " .

(( ملحق رقم "٣" ))

## برنو وسكانها

- من كتاب انفاق الميسور بذكر بلاد التكرور
لصاحبه : محمد بلو ، ص ١٠ .

برنو هي بلدة ذات أنهار وأشجار ، وجبال واسعة عامرة بالمساكن قبل هذا الجهاد ولم يكن في هذا القطر أوسع منها ، وأكثر عمارة ويسكنها البربر والعرب المذكورين والفلاتيين ، وفيها مماليك البرابرة الذين يعرفون بقي والجوش ، وهم الذين طردهم حمير من اليمن بعد افريقين وتبع وسبب مقامهم باليمن على ما زعموا ، أن افريقين وتبع ، استغاث به أهل الشام حين أكثر البرابرة الفساد فيها واستنصره عليهم وغزاهم ففتت جموعهم وسبا منهم ذراريهم ، ولما رأى نجدتهم استبقى ذراريهم عنده مماليك ، يستخدمون بهم فلما مات ومضى برهة قاموا على حمير ، فاقتتلوا فطردتهم حمير من اليمن ، واستوطنوا الحبشة من أرض جهة ، ثم وقعوا كانم واستوطنوها ووجدوا في هذا البلد عجما تحت حكم أخوانهم التوارك يقال لهم أمكيتا فغلبوهم على البلد ، وأقبلت دولتهم أيام اختطاطهم البلد حتى ملكوا ، أقاصي البلاد من هذا القطر ، وكانت وادي وباقرمي قبل تحت سلطانهم وكذلك بلاد حوس بفتح الحاء وباء الاها من بلاد بوشه بفتح الباء وإسكان الواو ثم خضعت شوكتهم فيه حيث من سلاطينهم كثيرون وتظاهروا بالخير والاسلام وإقامة الحدود والشريعة في أوائلهم جدا ، وبقيت آثار الاسلام كثيرة ، وقد انتشر فيها الاسلام انتشارا في سلاطينهم ووزرائهم وعامتهم ، بل لا يوجد في هذه البلاد عامة محققون بقراءة القرآن وتجويده وحفظه وكتابته منهم ، ولم تزل العامة هكذا حتى قام هذا الجهاد .

لكن حدثونا أن سلاطينهم وامراءهم اليوم مواطن يركبون اليها ويذبحون لها ويرشون بالدماء على أبواب بيوتهم ولهم بيوت معظمة فيها حيات واشياء يذبحون لها ، ويعملون للبحر كما كانت تعمل القبط ايام الجاهلية .

وليس في ذلك أشياء يختصون فيها بهم وقرابتهم وسلاطينهم واشياخهم ولا يحضرها الا غيرهم ويسمون ذلك عادة البلد ، ويزعمون ان ذلك صدقات يستعينون بها على جلب المصالح ودرء المفاسد ، فاذا لم تفعل تلك العادة بطلت مملكتهم وقلت ارزاقهم وضعفت شوكتهم وقد رأينا هذه العوائد ، كابرا عن كابر ، ولم يبلغنا عن أحد من سلاطينهم وعلمائهم بالقاها بلغوا ، أبطال تلك العوائد الا ما كان من الموفقين عن لا يشاركهم في امورهم من الحرب والفلاة ، فانهم لم يزالوا ينكرونهم على فعلها ويكفرونهم ، ولا شك في كفرهم وأن كان علمائهم يدعون أنهم لا يعبدون بذلك الاشراك ، ولا يعتقدون . التأثير لهم كفار لان هذه الاصنام من الاشجار والمياه والاماكن التي يذبحون لها ، كانت اصنام أجدادهم الذين لم يسلموا قبل فهم في ذلك مقلدون لانهم وأن تظاهروا بالاسلام والخير بعد ذلك لان الاسلام في هذه البلاد انما ورد به التجار والمسافرون ، فاخذه من أخذه منهم ، فمن الناس من خلص دينه كما يخلصون الناس من خلطة بما ينافيه وكان غالب ملوك هذه البلاد من هذه القبائل ، لانهم اخذوا بالاسلام وهم يقرون بالتوحيد ويصلون ويصومون ، لكنهم لم يفارقوا ، احوال أجدادهم الاولين ولم يتركوا من عوائدهم شيئا فكل من خالطهم علم بالضرورة انهم يقصدون بها لا يصدر الا عن كافر فبعضهم من قبل التقليد وبعضهم من جهل نفسه ، قال شهاب الدين في نعوم الرياشي شيخ الشهاب ، من أهل السودان ، قوم مسلمون ، ومنهم قوم كفار ، يعبدون الاشجار ومنهم كفار يعبدون الماء . .

## (( ملحق رقم "٤" ))

## نص البيعة التي أرسلها السلطان المنصور بالله أبو العباس ، سلطان المغرب الى سلطان مراد السلطان ، بمبايعته في عام ٩٩٠ هـ ١٥٨٢ م

---

من كتاب : الاستقصا في أخبار المغرب الاقصى ، لصاحبه أحمد خالد الناصري ج ٥ ، ص ١٠٦ – ١١٠

---

الحمد لله الذى أطلع كلمة الحمد منارا ، يسامى في مطالعها النجوم ، وأزاح بها من شمس الهداية الظهيرة ، غياهب الغباوة المدلهمة ، وسحائب النكاية المركوم ، وحض على الفلاح بها داعى التوفيق الذى تعمر للفلاح كتائب الهويت والسعي للسعادة ، أجلها العلم وشرف هذا الوجود والعالم الموجود بالخلافة البهية ، والامامة العلية التى حركت الوجود الى قبلتها المشروعة واستبان الحق بطلوع الصباح في هالتها ، وآل قضاؤه لدعوتها السموعة ، وضخ بها ولقيها القراء دول السيف التى هى بسيف النبوة المرهفة مقطوعة ، وبلسان السنة مدفوعة ، وقوضت مبانى الادعاء التى هى على غير أساس الشرع الصحيح مرفوعة ، وفرق بكلمتها المجموعة على التوحيد فرق التثليث ، التى هى على مشاقة الله ورسوله تابعة ومتبوعة ، وخلع بظهورها على أعطاف الحنيفية السمحة رداء الفخر الفضفاض ، واستقل بتأييدها الدين الاحمدى ، فسيف الانفة والاغماض ، وأمار للدعاوى من بأسها المروع بلسان الحجة القضاء ، وفجر للمؤمنين ينبوع رحمتها الجارى على حصا عدلها الرضراض ، ومهد بسيفها الفضاء الآفاق ، والاقطار فسيدا الأول من حكمه الامتزاج بهلا بأنوارها المتألقة سدف الجهالة

التي أولهم جوحا ولهم وأسعد الوجود بمنشها والذي ليده في أكناف مجدها ونهم ونفسي لها بتراسم الارضيون طبها ان جاء الله الى عيسى بن مريم • والصلاة والسلام على مولانا محمد • الذي تضافرت البراهين القاطعة على صدق رسالته البارعة • ونهج للدين القويم طريق الحق الجلي • وبادئه الفارعة موسوع لحق أمن به مناهل الهدى النيرة الزلال ومواردة العذبة ومشارعه بني الرحمة وشفيع الامة وعلى آله وأصحابه الكرام ائمة الهدى ومصابيح الظلام والدعاء لمولانا السلطان الهمام امير المؤمنين بن امير المؤمنين نجل سيد المرسلين وخاتم النبيين وسليل الوحي والمبطلين وبعد ••••••

فانه لما أذن الله في ليل الجهالة أن ينجاب • وفي شمس الحق الوهاجة أن ترفع عنها السحاب عن الثغر الغلق الجلباب • وأن يعود الى الشباب في التجاح والاستقامة أن يفتح لها الباب • وفي الامارة أن تستند الى السنة والكتاب • وتتعلق من الشرع بأسباب تدارك الله • سبحانه الوجود • وأمر العالم الموجود • وأسطالت الانوار المشرقة للانوار والتجوه بطلوع شمس الخلافة النبوية والامامة الهاشمية العلوية • فنافست على أديم البسيطة أنوارها • وارتفع الى حيث البها والفرقدين منارها • وابلج بالاصباح نهارها ولاحت في سماء المجد بدورها وأقمارها • وكادت تشبه نجوم السماء اتباعها وأنصارها وانتشرت في الآفاق والاقطار على البعد والقرب مآثرها • وهزت عطف الزمان • انباء مناقبها وأخبارها • فتناخر بمركبها على أكتاف العصور بمجدها الزاهر وتيارها خلافة ينتمي الى النبوة عنصرها • ويهبط من رسالة الوحي اسطرها وينابط بعروشها الوثقى خنصرها • وأمامه على وليها • والله نصيرها والمجد بدرها الذي حياه منيرها وسريرها •

والحمد لله الذي اصطفى من هذه الدوحة النبوية العلياء والشجرة الطيبة الهاشمية التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ، أئمة ألقى الله له في القلوب حبا جميلا ، وولى جعله الله على مرضاته سبحانه علامة ودليلا وخليفة استخلفه فكان يحسن الرعي ، لخلقه وعباده كفيلا ، واقتفى من بأسه وبسالته لحماية حمى الشريعة حساما صقيلا ، مولانا أمير المؤمنين وخليفة الله في الارضين وسليل خاتم النبيين ووارث الانبياء والمرسلين المفترضة طاعته على الخلق اجمعين والمنوه بامامته المقدسة على العالمين ، محمد الذي والاه مرجعه الله للناس ، أمير المؤمنين ، والمنصور بالله ابا العباس صلوات الله عليه وعلى آله الخلفاء الراشدين ، والائمة الطيبين الطاهرين ، وخطيب بأنفاس الفترة لحوبهم اجمعين امامهم تهتز لذكره اعطاف المنابر ، وتتقلد من شرف دعوته ابهى من تلك الجواهر ، وتتعطر البلاد بالكيل عرفه الزاهر ، وتسكن العباد تحت ظل رحمته الوارف الزاهر ، أبقى الله أيامه الغر بقاء يصحب النصر دوامه ، ويخلد له ولاعقابه هذا الامر الكريم الى يوم القيامة ، ولما طلعت أيده الله على هذه الاصقاع الزنجبية طلائع امامته البهية وهلالته ولاحت في سمائها شهب علائمه الحنيفة الدالة على فخامة عزه وجلالته وثبت لجده الايات البينات التي تشهد له بتراث الرسالة وتقضي له على الاسلام وعلى الانام بحكم الولاء والكفالة وأوضح الله سبحانه للناس من أمثال وجوب طاعته والاقتداء بامامته والانقياد لدعوته وتلقيه بيعته ما جاء به كتابه الحكيم وورد به سنة نبيه الكريم ، كما قال عليه السلام " ما تزال الخلافة في قريش ما بقي منهم اثنان " وكما ورد في صحيح الخبر ان الخلافة في قريش والقضاء في الانصار والحبشة الاذان ويدل على هذا تعاضد الخبر والعيان فلا ناكر ان ليس في المعمور على هذا الشرط غيره أيده الله في شأن تشخيصه لنيل الشرع أنه امام الجماعة حقا المستحق

مربطها والوارث للخلافة النبوية والحريص على بيضة الاسلام أن يحوطها وأن القائم بهذا الامر على الاطلاق غيره هدى ومحاولة من اذن الشرع بهدى . فيعلم لذلك أن الرجوع الى الحق نعمة واستهان بها غير وعلم أن امارة لا تكافى فى الشرع محلها المشروع منبوذة ومرفوضة . وموجبها لذلك مخلوع ومرفوض . فاتقه بالنبذ الآثار صحيح الاخبار وسنترف الى أرض الله العناية ويقف من الشرائع المشروعة حيث مراتب الرعاية ومنتهى الغاية .

الرئيس ابو العلاء ادريس أيده الله أنتدب من وقعت به عطية التوفيق على حضرة الاخلاص والتصديق وأخذ بزمام السعادة والى حيث الفوز . برضا الله ورضا رسوله حقيق مولانا به صاحب وثيق عروض الامال أنيق . وباع الراحة والاطمئنان حقيق الى تقلــــد أمام بيعة الجماعة أمير المؤمنين المنصور بالله زاده الله تقديسا وتعريفا التى توسد أن عاه الله على تقوى الله ورضوانه وتشهد قصدها الكريم ملائكة الرحمن . وأمر اسعده الله أن . يؤدى فرضها المسدد من أرضها عمان وحقها الذى توجه به خطاب الشرع العــــام الى القاصى والدان . ونشر سنتها المشروعة فى مقصده وما يليه من الاصقاع والبقـــاع بالسودان تقلدا يستحق . ان شاء الله بأنواره ويشرف به للعز الممكن على مناره ويحمـــد به بالجميل حزوة ناره وتنتظم به فى اتباع الحق زمر أنصاره ويجتلى به صورة اسعاده ويستوجب من الله عوارف صنعه وأحسانه ويرهف به للعدو على الغرابة حد سيفه وسنانه ويقـــرع به لرضا الله ما بابالقبول ويتضاعف له ببركته العمل المقبول . ويستنشق بمشهده هذا الكريم نواسم النبوة ويجود لديه الزمان للصبا والقوة ويرفع ره مقاع الانابة على قواعد الشرع . الوثيقة ويعدل به فى كل الاحوال من المجاز للحقيقة . وتسنى له ب وجه القصد والا سنى

والخاتمة الحسنى ، والاسوة الحسنة بامامى بنى العباس السفاح والمنصور ومهدى سنتها التى نقلها ثقات الاعلام واصدور فى جامعتها الامام الخليفة المهدى الاكبر ، سليل سيد المرسلين محمد مولانا امير المؤمنين الذى رأى امام دار الهجرة أنه يرث الخلافة النبوية أدلى أحق من منصب الامامة على شرطها اعرف ، وسيرها ونصرها السيف منذ ذلك للمتقدم باتيه الله بهذه الاثار الشريفة ، والمناصب المنيفة العلم والقصد ، وأنجز له فيها ارادة صادق الوعد ، وساعده فيه الصالحة له السعد تباعه اعلى الله يده على الامن والامانة ، والعفاف والديانة والعدل الذى يشيد للمجد اركانه ، ما بعثت شاهدة على عقدها الكريم ، أكرم الله اتباعه وجميع أشياعه بحكم الوفاق والائتلاف والمواثيق الشديدة الوثاق ، وجميع الايمان الصادقة الايمان ، وأعطوا بها صفقة ايديهم ورفع بها الضمير هاديهم ، طالبين ان يد الله فيها فوق ايديهم وأمضوها على السمع والطاعة والانتظام فى سلك الجماعة ، أمضاء يدينون به فى السر والجهر ، واليسر والعسر ، والرخاء والشدة والايمان المنعقدة ، والتزموا شروطها حفظا ، واستوعبوها حسا ولفظا بنيات خالصة صادقة

وقد تكفل الله لهم بالخير عاقبة وسعادة بالحسنى لاحقة ابرموا عقدها وأحكموا عهدها ، وجددها ، على حكم الكتاب والسنة والجماعة والاخذ بسنتها وأطلقوها عن اعقاب وأحقابها الى احقاب الى يوم القيامة وأقتراب الساعة لا يلحق عقدها الكريم فسخ ولا يعتريه بحول الله ضيم ولا يتطرق اليه تقصير ولا نكث ولا يشوبه من الشبهات بحث ، وأجمع على هذا اسعده الله بالمواثيق المستفيضة والايمان اللازمة المغلظة هو واخوانه اجماعا عربيا ، وحتموه على انفسهم حتما مقتضيا وأعقدوه واعتقادا ابديا ورضوا على التراسل بمشهد هذه المبارك افرادا وأزواجا ، ووحدانا وأفواجا وأشهدوا على الوفاء به بايمانهم

الصادق البرور • ومواثيقهم الثلجة للصدور • قائلين بالله الذى لا اله الا هو الملك
القدوس العليم بالخفيات والخبير بالاجال والنيات وجميع الرسل الكرام والانبياء وملائكة
الرحمن فى الارض والسماء على أنهم أن حادوا عن هذا السبيل وأنقادوا عليه عاد وامعى
التبديل • أو انحرفوا عن المنهاج وسننه فهم براء من حول الله وقوته ومن دينه وصحته
ومستوجبون لعذابه وغضبه وسخطه ونقمته • وبعداء من رحمته ومن شفاعة نبيه الكريم
يوم القيامه لاجله • وأنهم خالصون لربقة الاسلام وخارجون من سنة الرسول عليه السلام •
اعلنوا بهذا اعلانا تقصد به التجرى واداء بشروطه الجاريه • على مذاهب التقوى وأحكامه
اللازمه لكلمة التقوى استرضاء للمولى جلاله النبوية الامامه الصحية رياضة للنفوس
على بيعتها المباركة الميمونه النقيه وأستيفاء لشروطها واتمامها الواجبة المستحبه
والشدوه مبتهلون الى الله بالقلوب الخاشعة ومتضرعون الى بابه الكريم بالادعية
الخاشعة فى أن يحرمهم خير هذا العقد الكريم والعهد العميم بدءا وختاما وأن يمنحهم
بركته تصحيحهم حالا ودواما • لا رب غيره ولا خير الا خيره وأشهد على نفسه وعلى رعيته
الرئيس ابو العلاء ادريس • أسعده الله وأكرمه • وبتاريخ المحرم الحرام عن
عام تسعة وتسعمائة من الهجرة النبوية • انتهى •

## المصادر العربيـــــة


١ـ الادريسي ( محمد بن محمد ت ٥٦٠ هـ ) نزهة المشتاق في اختراق الافاق ليدن ، ١٨٩٣ م .

٢ـ ابن بطوطه ( ابوعبدالله محمد بن عبدالله . ت ٧٧٩ هـ )
تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، ٢ جزء . القاهرة ١٩٣٨ م .

٣ـ ابن حجر العسقلاني ( شهاب الدين احمد . ت ٨٥٢ هـ )
الدرر الكامنه في أعيان المائه الثامنه . الهند ، ١٣٥٠ هـ .

٤ـ ابن حوقل ( ابوالقاسم ) . صورة الارض ، ليدن ، ١٩٣٨ م .

٥ـ ابن خلدون ( عبدالرحمن بن محمد . ت ٨٠٦ هـ )
العبر وديوان المبتدأ والخبر ، القاهرة ، ١٢٨٤ هـ .

٦ـ ابن دقماق ( ابراهيم بن محمد . ت ٨٠٩ هـ )
الانتصار بواسطة عقد الامصار . القاهرة ، ١٣٠٩ هـ .

٧ـ ابن سعيد المغربي . بسط الارض في الطول والعرض . تطوان ، ١٩٥٨ م

٨ـ الاصطخري (ابواسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي )
المسالك والممالك . القاهرة ، ١٩٦١ م .

٩ـ التنبكتي ( محمود سعـد ) تاريخ الفتاش في أخبار البلدان وأكابر الناس .
باريـــس ، ١٩١٣م.

١٠ـ التونسي ( محمد بن عمر )
تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، تحقيق خليل عساكر ، مصطفى مسعد ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .

١١ـ الدمشقي ( شمس الدين ابي عبدالله محمد )
نخبة الدهر في عجائب البر والبحـر . ليبزج ، ١٩٢٣ م.

١٢ـ الزياني ( سليمان رشد الحنفي )
كنز الجوهر في تاريخ الازهر . القاهرة ، ١٣٢٠ هـ .

١٣ـ السلاوي ( احمد خالد )
الاستقصا في اخبار المغرب الاقصى . الدار البيضاء ، ١٩٥٥ م .

١٤ـ السيوطى ( جلال الدين بن عبدالرحمــــن ٠ ت ٩١١ هـ )
حسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهــرة ٥ القاهرة ٥ ١٩٦٥ م ٠

١٥ـ عبدالرحمن السعدى ؛ تاريخ السودان ٠ باريس ٥ ١٨٩٨ م ٠

١٦ـ القلقشندى ( احمد بن على ٠ ت ٨٢١ هـ ) ٠
صبح الاعشى فى صناعة الانشا ٠ ١٤ جزء ٥ القاهرة ٥ ١٩١٤م ٠

١٧ـ محمد بلـو ؛ انفاق الميسور بذكر بلاد التكرور ٠ لندن ٥ ١٩٥١ م ٠

١٨ـ السعودى ( أبوعبدالله محمد الباجى )
الخلاصة النقية فى أمراء افريقية ٠ تونس ٥ ١٨٦٦ م ٠

١٩ـ المقدسى ( محمد بن محمد ٠ ت ٣٨٠ هـ )
احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ٠ ليدن ٥ ١٩٠٩ م ٠

٢٠ـ المقريزى ( تقى الدين احمد بن على ٠ ت ٨٤٥ هـ )
السلوك لمعرفة دول الملوك ٥ تحقيق محمد مصطفى زيادة ٠ القاهرة ٥ ١٩٣٩ م ٠

---

## المراجـع العربيـة والمعربـة


١- ابراهيم على طرخان : امبراطورية غانا الاسلامية . القاهرة ، ١٩٧٠ م .

٢- ابراهيم على طرخان : الاسلام واللغة العربية فى غرب افريقيا ( مقال ) مجلة اداب القاهرة ، العدد ٢٧ .

٣- ابراهيم على طرخان : البرتغاليون فى غرب افريقيا ( مقال ) مجلة اداب القاهرة العدد ٢٥ .

٤- ابراهيم صالح بن يونس : تاريخ الاسلام وحياة العرب فى امبراطورية كانم - برنو . الخرطوم .

٥- احمد سويلم العمرى : الافريقيون العرب ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

٦- احمد صدقى الدجانى : الحركة السنوسية ( رسالة ماجستير ) . اداب القاهرة

٧- ارنولد توماس : الدعوة الى الاسلام ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرون ، القاهرة ١٩٤٧ م .

٨- بوركهارت : رحلات بوركهارت فى بلاد النوبة والسودان ، ترجمة فؤاد اندراوس ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .

٩- حامد عمار : علاقة مصر بالبلاد الافريقية فى العصور الوسطى ( رسالة ماجستير ) اداب القاهرة ، ١٩٤٥ م .

١٠- حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية فى أفريقيا ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .

١١- حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ، القاهرة ، ١٩٥٧ م .

[illegible]

١٢- ديشان هوبير : الديانات فى افريقيا السوداء ، ترجمة احمد صادق حمدى . القاهرة ، ١٩٥٦ م .

١٣- سر الختم عثمان : العلاقات بين مصر والسودان فى العصور الوسطى ، ( رسالة ماجستير ) ، أداب القاهرة ، ١٩٥٩ م .

١٤- سعيد عاشور : المجتمع المصرى فى عهد سلاطين المماليك . القاهرة ، ١٩٦٢ م .

١٥- سلجمان : السلالات البشرية فى أفريقيا . ترجمة يوسف سعد ، القاهرة ، ١٩٥٩ م

١٦- شوقى الجمل : تاريخ العلاقات المصرية الافريقية . محاضرات معهد الدراسات الافريقية . القاهرة . ١٩٧٢/٧١ م .

١٧- شوقى الجمل : تاريخ سودان وادى النيل . ٢ جزء . القاهرة . ١٩٧٢ م .

١٨- شريف محمد شريف : توطين العناصر الافريقية فى السودان ( مقال ) مجلة اداب القاهرة العدد ٢٤ .

١٩- صبحى لبيب : التجارة الكارمية وتجارة مصر فى العصور الوسطى ( مقال ) المجلة التاريخية العدد الثانى . القاهرة . ١٩٥٢ م .

٢٠- صلاح صبرى : افريقيا وراء الصحراء . القاهرة . ١٩٦٠ م .

٢١- دائرة المعارف الاسلامية : مادة بيرنو .

٢٢- عبد الرحمن زكى : الاسلام والمسلمون فى غرب افريقيا . القاهرة . ١٩٥٩ م .

٢٣- عبد الرحمن زكى : الاسلام والمسلمون فى شرق افريقيا . القاهرة . ١٩٥٨ .

٢٤- عبد الرحمن زكى : افريقيا الاسلامية . القاهرة . معهد الدراسات الاسلامية .

٢٥- الشاطر بصيلى عبد الجليل : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والاوسط . القاهرة ١٩٧٢ م .

٢٦- عبد الرحمن زكى : جمهورية نيجيريا الجديدة ( مقال ) . مجلة المجلة . العدد ٤٧ . ١٩٦٠ م .

٢٧- عبد اللطيف حمزه : الحركة الفكرية فى العصرين الايوبى والمملوكى الاول . القاهرة . ١٩٤٧ م .

٢٨- عبد المجيد عابدين : قبائل من السودان الاوسط والسودان الشرقى . الخرطوم . ١٩٧٢ .

٢٩- عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية فى السودان . القاهرة . ١٩٥٣ م .

٣٠- عبد المجيد عابدين : صور من وحدة الفكر العربى فى افريقيا . القاهرة .

٣١- عطيه القوصى : تجارة مصر فى البحر الاحمر منذ فجر الاسلام حتى سقوط الدولة العباسية . ( رسالة دكتوراه ) اداب القاهرة . ١٩٧٣ م .

٣٢- على ابوبكر : الثقافة العربية فى نيجيريا ( رسالة دكتوراه ) ، اداب القاهرة ، ١٩٦٨م .

٣٣- ليون جوستاف : حضارة العرب ترجمة عادل زعيتر ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .

٣٤- محمد عبدالمنعم خفاجى : الازهر فى الف عام ، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ .

٣٥- محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، القاهرة ، ١٩٥١ م .

٣٦- محمود ابوالعلا : دراسات فى جغرافية العالم الاسلامى ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .

٣٧- مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .

٣٨- مصطفى مسعد : سلطنة دارفور ( مقال ) المجلة التاريخية ، العدد ١١ ، ١٩٦٣م

٣٩- مصطفى مسعد : الاسلام وحركة الفلان ، الاصلاحية فى غرب افريقيا ، ( مقال ) مجلة جامعة ام درمان ، العدد الاول ، ١٩٦٨ م .

٤٠- مكى شبيكه : السودان عبر القرون ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .

٤١- مكى شبيكه : مملكة الفونج الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

٤٢- محى الدين خليل : لغة البقارة فى غرب السودان ( رسالة دكتوراه ) اداب القاهرة

٤٣- محمد عبده مخلوف : الاسلام فى غرب افريقيا ( مقال ) مجلة نهضة افريقيا ، العدد ٢٤

٤٤- نعيم زكى سليمان : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ( رسالة دكتوراه ) اداب القاهرة .

٤٥- نعيم قداح : افريقيا الغربية فى ظل الاسلام . ١٩٦٩م

٤٦- نقولا زياده : الرحالة العرب ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .

٤٧- آدم متز ، ادم : الحضارة العربية فى القرن الرابع الهجرى ، ترجمة / محمد عبدالهادى ابوريده ، القاهرة ، ١٩٤٨ م .

٤٨ - وزارة الاوقاف وشئون الازهر : الازهر تاريخه وتطوره ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .

=====

## ثانيا : المراجع الأجنبية


1. Anderson, J.N., Islamic Law in Africa, London, 1964.
2. Alexander, B., From Nigeria to Nile.
3. Arkell, A.J., A history of the Sudan.
4. Ahmed Ibn Furtua: History of Mai Idris Alooma of Bornu.
5. Barth, H.: Travels in North and Central Africa. 3 vols., London, 1965.
6. Bovill, E.W.: The golden trade of Moors, London, 1958.
7. Bovill, E.W.: Carvans of the old Shara, London, 1933.
8. Carbou, H., Le region du Tchad et du Ouadai, Paris, 184
9. Coleman, J.: Nigeria, Back ground to nationalism, Berkeley, 1960.
10. Cooley, W.: The Negro land of the Arabs, London, 1891.
11. Columbia Encyclopaedia.
12. Crowder, M., The story of Nigeria, London, 1955.
13. Denhom, and Clupperton, Travels in Northern and Central Africa, London, 1926.
14. Encyclopaedia Britannica, Art. Kanem. Chicago, 1960.
15. Encyclopaedia of Islam, Art. Bornu.
16. Hodgkin, T., Nigerian perspectives, London, 1960.
17. Hogben, J., The Muhammaden Emirtes of Nigeria, London, 1930.
18. Gervis, P, of emirs and pagans, London, 1962.
19. Johnoston, H., A History of colonization of Africa.
20. Kuper, H., Urbanization and immigration in West Africa, Los Angeles, 1965.
21. Leo Africanus: A History and description of Africa.
22. Lyon, G., Travels in Northern Africa, London, 1821.
23. Macmichool, A.H., A history of the Arabs in the Sudan, 2 Vols., London, 1922.

24. Mcewan, J.H., Africap from the early time to 1800.

25. Meck, C.K., A Sudanese Kingdoms, London, 1931.

26. Meeh, C.M., The Northern Tribes of Nigeria, 2 vols., London, 1952.

27. Meak, C.K., Tribal of Studies in Northern Nigeria, 2 vols., London, 1931.

28. Murdack, G.P., Africa, its people and their culture History, New York, 1959.

29. Halt, The Cambridge History of Islam, 2 vols., Cambridge,19

30. Mandour El Mahadi, A short history of the Sudan, London,19

31. Oliver, R., The dawn of African history, London, 1951.

32. Oliver, and Fage, A short history of Africa, London,1965.

33. Palmer, R., The Bornu Shara and Sudan, London, 1936.

34. Palmer, R., Sudanese memoires, London, 1967.

35. Shinnie, M., Ancient African Kindgoms, London, 1968.

36. Trimingham, J.S., A history of Islam in West Africa, London, 1962.

37. Trimingham, J., Islam in West Africap London, 1959.

38. Trimingham, J.S., Islam in the Sudan, London, 1949.

39. Trimingham, J.S., The influence of Islam upon Africa, London, 1968.

40. Trimingham, J.S., The Christian Church and Islam in West Africa.

41. Urvoy, I., Histoire de l'empire de Bornu, Paris, 1949.

42. Urvoy, J. Histoire des populations du Sudan central, Paris, 1936.

43. Lebouf, A., Les population du Tchad, Paris, 1959.

44.Vischew, H., Across the Shara from Tropli to Bornu.

45. Word, E.W., A history of Africa, London, 1960

46. Lewis, L. M., Islam in Tropical Africa, London,1966.